الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني

-دراسة في انعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية (633-962هـ/1235-1554م)-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الإسلامي الوسيط

إعداد الطالب :

ناصري محمد

إشراف الأستاذ الدكتور:

بلعربي خالد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. بوشنافي محمد	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د. بلعربي خالد	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د. شخوم سعدي	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د.قاسمي بختاوي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د.هادي جلول	أستاذ محاضر-أ-	المركز الجامعي - عين تيموشنت	عضوا مناقشا
د.بالأعرج عبد الرحمن	أستاذ محاضر-أ-	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1441-1442 هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

الحمد لله تعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل المتواضع.

أتوجه بجزيل الشكر لمشرفي الأستاذ الدكتور خالد بلعربي على مرافقته لهذا العمل طيلة مشوار البحث، والذي سهر على تصحيحه وتوجيهه؛ والشكر موصول أيضا لأعضاء لجنة التكوين في الدكتوراه الذين سهروا على تكويننا ومرافقتنا طيلة مدة البحث؛ كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول تقييم هذا العمل المتواضع والذي لاشك أنه سيكتسي حلة بهية بملاحظاتهم السديدة؛ وأتوجه بجزيل الشكر أيضا للدكتورة نصيرة كبير على تجشمها عناء تصحيح الأطروحة لغويا.

الإهداء

أهدي هذا العمل لروح جدتي أمّا الزهرة رحمة الله عليها والتي كانت آخر دعواتها لي قبل مفارقتها للحياة بالتوفيق في دراستي.

كما أهديه لأمي العزيزة وأبي العزيز؛ وخالي العزيز المهندس الحاج شيخ ناصري؛ وأهديه أيضا لكل أخواتي، وأخي شيخ، وأبناء أخواتي عبد الرحمن، ومحمد، ونوح، وخيرة، وحفصة.

كما أهديه لزملائي في الدفعة: عباس رشيد؛ سماحي محمد؛ بكارة حنان

مقدمة

انهارت الدولة الموحدية عقب انهزامها في معركة حصن العقاب التي شكلت نقطة تحول في المسار الحضاري للغرب الإسلامي، كان من أبرز نتائجها على الجانب الذهني تفشي النزعات الانفصالية والتي كان لها تأثير مباشر على الخارطة السياسية لبلاد الغرب الإسلامي؛ فأصبح الحديث عن دول وسلطات وعواصم، بدل دولة واحدة بسلطة وعاصمة واحدة. والقطيعة بين العهد الموحدي وما بعده لم ترتسم على الجوانب المذكورة آنفا فقط، بل تعدتها إلى تغير في أرضية قيام الدولة، حيث غابت الإيديولوجيات والدعوات الدينية والحركات المذهبية، وعجزت عن فرض حضورها لدى العصبيات القبلية التي لم تر مستساغا للالتزام بها؛ لعل هذه أبرز الملامح التي ميزت الغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، وهو ما منح فرصة لقبيلة بني عبد الواد لملئ الفراغ، حيث سارع يغمراسن لإعلان انفصاله وتشكيل مظاهر الدولة باتخاذه تلمسان عاصمة لدولته، كما استهل في تثبيت نظم الحكم؛ إلا أن الطريق لم يكن مفروشا بالورود، خاصة في ظل الأجواء التنافسية بين العصبيات الناشئة، الحفصيون شرقا، والمرينيون غربا، دون إهمال القبائل الداخلية سواء البربرية أم العربية، فضلا عن موقع تلمسان والمغرب الأوسط عامة الواقع بين كفي كماشة؛ هذان المحددان فرضا طابع الحرب شبه الدائمة في المغرب الأوسط: اعتبارات التنافس، وضريبة الموقع المميز؛ نضيف لها عاملا آخر لا يقل أهمية عن سابقيه، ونعني بذلك نمط عيش القبائل الزناتية وحتى العربية، والذي تميز بالظعن واتباع نمط الاسترزاق القائم على النهب والسلب، أو ابتغاء الرزق في ظلال الرمح، والتطلع لمعاش الآخر كما وصفهم عبد الرحمن بن خلدون.

في هذا الإطار تندرج دراستنا الموسومة ب"**الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني**"كمحاولة منا لاستجلاء أوضاع الدولة الزيانية وسط دوامة الحرب التي اصطلى واكتوى بنارها معظم سلاطينها؛ ولعل من بين أسباب اختيار هذا الموضوع بالذات نجدها تكمن في محاولة التعرف على كيفية تعامل السلطة الزيانية مع الحرب، والتوصل إلى معرفة ما إذا كانت قدرا مسلطا عليها للعوامل الآنفة الذكر، أم أنها استثمرت في الحرب وفق نمط الإنتاج الحربي، إضافة إلى السعي لاستكشاف انعكاساتها على المجتمع ومعاشه؛ بالتالي فالغاية من اختيار هذا الموضوع لا تسعى إلى سرد أخبار الدولة الزيانية، ولا حروبها فقط، بقدر ما تسعى للغوص في المخلفات التي لا شك أن المجتمع تأثر بها بنصيب وافر.

من خلال اِطّلاعنا المحدود على الدراسات الأكاديمية حول موضوع الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني تمكنّا من التوصل إلى البعض منها والتي تناولت ضمن مباحثها بعض فصول الدراسة، فتقريبا كل من تطرق للأوضاع السياسية للدولة الزيانية تناول حروبها، لكن بصفة محدودة مقتصرا على أشهر

المعارك كمعركة إيسلي وتلاغ، كما أنهم تناولوها بقالب سردي، وفي هذا الإطار نخص بالذكر مذكرة ماجستير من إنجاز الطالبة حياة مشري والموسومة ب"انعكاسات الفتن والحروب على مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين 7-8هـ/ 13-14م والتي نوقشت بجامعة عبد الحميد مهري بقسنطية سنة 2015 تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلالي؛ وأطروحة دكتوراه معنونة ب"انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م) للطالبة حسيبة عمروش والتي نوقشت سنة 2018 بجامعة المسيلة تحت إشرف الأستاذ الدكتور مفتاح خلفات؛ وهي رسائل تستحق التنويه، لها وعليها ككل جهد بشري؛ إلا أني حاولت في دراستي تناولها في قالب نظري يسعى لتفسير الأحداث التاريخية بالخلفية الاقتصادية وفق ما اصطلح عليه بنمط الإنتاج الحربي أو اقتصاد المغازي، كما حاولت التّميّز عنهم باللّجوء إلى لغة الأرقام بتقديم معطيات إحصائية عن عدد المعارك لدى كل سلطان، وضد كل خصم، فضلا عن عدد الحصارات.

إن نجاح قيام الدولة العبد الوادية في ظروف صعبة بعد عدة معارك طاحنة خاضها مؤسس الدولة، لا يعني أنها سلمت من الحرب وعاشت في استقرار سياسي، بل بالعكس، فقيامها كان نقطة تحول تميزت بتكثيف الحملات العسكرية على تلمسان وأحوازها ومدن المغرب الأوسط، بحكم أن تلمسان تحولت إلى عاصمة ذات إشعاع اقتصادي ساهم في خلق الثروة لها، من هنا فإشكالية هذا الموضوع ترتكز أساسا على ثنائية من ناحية الممارسة وأحادية من حيث المعني بها، ونعني بذلك الإنسان، فهو من خاض الحروب في ساحات القتال ببزته العسكرية وأسلحته، وهو من سيتأثر بها باعتباره خلية المجتمع، أو بعبارة أخرى فإنها ترتكز على حجم حضور الحرب ومدى آثارها على نفسية ومعيشة المجتمع.

لمناقشة الإشكالية المذكورة آنفا وجب تفكيكها لمجموعة من التساؤلات على النحو التالي:

كم معركة خاضها الجيش الزياني؟

هل حقا المرينيون كانوا أشد أعداء بني عبد الواد؟ كم مواجهة جمعت بين الغريمين؟

أوصى يغمراسن خلفه بتركيز حملاتهم على النواحي الشرقية للمغرب الأوسط، وهل لغة الأرقام تؤكد ذلك؟

ما مدى حضور الحرب على المستوى الداخلي؟

هل كان الجيش الزياني في مستوى الحضور المكثف للحرب؟

ما هي أبرز انعكاسات الحصارات على الغذاء؟

ما مدى حجم عمليات النهب التي ارتكبت في حق ساكنة المغرب الأوسط خلال الفترة مدار البحث؟

هل كان المزارع وأرضه ضحية حسابات الجيش والإقطاع؟

ما هي أبرز الانعكاسات الديمغرافية والذهنية للحرب؟

كيف تعامل المثقف مع السلطة في ظل هذه الظروف؟

اشتملت خطة الموضوع على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، فقد عنون الفصل الأول بـ "كرونولوجيا المواجهات العسكرية للدولة الزيانية" والذي اشتمل على عنصرين، الأول تضمن إحصائيات حول الحروب الزيانية المرينية مع رسومات بيانية تعبر عن مستويات صراع كل سلطان مع السلطة المرينية، كما قدمنا فيه أيضا معطيات إحصائية عن الحروب الزيانية الحفصية، مع جداول توضيحية ورسومات بيانية، أما العنصر الثاني فقد خصصته للحروب الداخلية مع القبائل العربية والبربرية، فضلا عن الحروب الأسرية، مع معطيات إحصائية كما جاء في العنصرين السابقين.

الفصل الثاني كان بعنوان "الجيش الزياني: الحضور والتنظيم" حيث قسمناه إلى ثلاثة عناصر، الأول منها تطرقنا فيه إلى التركيبة العرقية للجيش الزياني، ومدى الحضور العسكري لمختلف القبائل المساندة للسلطة الزيانية، في حين خصصنا العنصر الثاني بتسليط الضوء على إدارة الجيش، فقد تطرقنا فيه لديوان الجند وتعداد الجيش في بعض المعارك، مع تقديم بعض الأرقام التي استقيناها من مصادر المرحلة حول تعداد مقاتلي بعض القبائل، ومدى حضور الحشود الإضافية في المعارك، كما عرّجنا على رواتب الجنود والمقاتلين، أما العنصر الثالث والمعنون بتقسيم الجيش، فقد تناولنا فيه بالحديث عن تعبئة الجيش وفرقه المقاتلة وغير المقاتلة كالفعلة والكفلاء والجواسيس، كما أشرنا فيه إلى قادة الجيش.

خصصنا الفصل الثالث بالتفصيل في الحديث عن الآثار الاقتصادية للحرب، موزعة على ثلاثة عناصر، الأول تطرقنا فيه بالحديث عن انعكاسات الحروب على الغذاء وحتى الماء، أما العنصر الثاني حصرنا فيها عمليات النهب التي عانت منها ساكنة المغرب الأوسط، في حين خصص العنصر الأخير للحديث عن الحرب

والأرض، والذي عالجنا فيه إشكالية الزراعة ووقوعها ضحية للحسابات الإقطاعية التي تحولت إلى أراضي رعوية.

الفصل الرابع كان حول الآثار الاجتماعية والذهنية مقسم عبر ثلاث عناصر، أما الأول منها عالجنا فيه الترسبات الذهنية للحرب، أما العنصر الثاني تطرقنا فيه لعمليات القتل الفردية والجماعية التي وقعت خلال العهد الزياني، في حين خصص العنصر الثالث لبحث وضعية النخب العلمية في حالة الحرب وتعاملهم مع البلاطات المتناحرة ومواقفهم من الصراعات العسكرية.

تنوعت المادة العلمية لمعالجة هذا الموضوع بين مختلف أنواع المصادر، على اختلاف مشاربها، سواء مصادر التاريخ السياسي، أو كتب التراجم والمناقب، أو الجغرافيا والرحلات، أو النوازل الفقهية:

كتب التاريخ السياسي:

يكتسي هذا النوع من المصادر أهمية لا يمكن التغاضي عنها بالرغم من كل ما يقال عن تحيز كتابها للبلاطات وتوجيه مسار الكتابة في جوانب مضيئة للسلطان، إلا أنها وضعت أمامنا مادة لا يمكن الاستغناء عنها، على الأقل يمكن وضعها أمام ميزان النقد الموضوعي، ومن بين أهم المصادر التي اعتمدتنا عليها في هذا المجال:

زهر البستان في دولة بني زيان: وهو في الأصل كتاب لمؤلف مجهول، رجح محققه أنه ينتمي لسلك موظفي البلاط الزياني، والكتاب مؤلَّف من ثلاثة أسفار، إلا أن يد الضياع طالت السفرين الأول والثالث، ولم يبق سوى السفر الثاني، وكان الفضل للدكتور عبد الحميد حاجيات الذي اكتشفه أثناء إعداده لرسالته حول فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، ليحققه وينشره، الكتاب عبارة عن تاريخ حولي لخمس سنوات الأولى من حكم أبي حمو موسى الثاني 760-764هـ/1359-1363م ويكتسي أهمية معتبرة بحكم أنه كان شاهد عيان في الكثير من الأحداث التي رواها أو سمعها من صانعيها، فضلا عن أن أخباره تتميز بالتفصيل والدقة، زيادة على إيراده للكثير من القصائد الشعرية التي انفرد بذكرها، الكتاب أفادني في الفصل الأول خاصة في إحصاء المعارك والغارات التي خاضها أبو حمو الثاني، كما استفدنا منه في الفصل الرابع في العنصر المتعلق بالقتل، فقد أمدنا بعدة أخبار عن عمليات قتل حدثت خلال الفترة التي تحدث عنها.

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: لمؤلّفه يحي بن خلدون، كاتب السلطان أبي حمو موسى الثاني، الذي أمره بتأليف كتاب يخلد أمجاد الدولة الزيانية، الكتاب يتكون من ثلاثة أقسام، القسم الأول خصصه للحديث عن قبيلة بني عبد الواد وأنسابها وتاريخها قبل قيام الدولة العبد الوادية ومجالاتهم التي استقروا بها، كما وصف تلمسان وجغرافيتها، وقدم ترجمة لـ 109 متصوف وعالم ينحدرون من تلمسان أو مروا عليها، وتطرق أيضا لتاريخ تلمسان من الفتح إلى العهد الموحدي؛ أما القسم الثاني فخصّصه للحديث عن السلاطين الذين سبقوا فترة أبي حمو الثاني ابتداءً من يغمراسن إلى غاية السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت، والقسم الثالث تناول فيه بمنهج حولي فترة حكم أبي حمو الثاني من سنة 760هـ/1359م إلى سنة 777هـ/1376م وقد استفدنا كثيرا من هذا المصدر المهم في كل فصول الأطروحة، لأن مادته وإن غلب عليها التاريخ السياسي، إلا أنها لم تخْلُ من إشارات مهمة عن بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، كحالة ساكنة تلمسان خلال الحصار المريني الأول وأسعار المواد الغذائية، وأيضا الإقطاعات التي منحها أبو حمو الثاني للقبائل العربية.

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لمؤلفه عبد الرحمن ابن خلدون، وقد اعتمدنا على جزئه الأول المتمثل في المقدمة الثرية بالرؤى والتحاليل المدققة حول أحوال المجتمع والعمران والبدو، حيث أبان فيه عن احترافية في تفكيك نمط عيش الحضر والبدو، وتمكن من تفكيك بنية النظام الاقتصادي واكتشف أن أصل الصراع تقف خلفه دوافع اقتصادية متمثلة في الصراع بين منتحلي المعاش الطبيعي وهم الفلاحون والتجار وبين منتحلي المعاش غير الطبيعي وهم القبائل البدوية المتنقلة التي تعيش على نهب الفلاحين والتجار؛ وقد أفادتنا كثيرا هذه التحليلات في التوصل إلى خلفيات الحرب الدائرة بين مختلف القبائل والتي هي حرب اقتصادية بالدرجة الأولى، كما استفدنا من جزئه السادس في الفصل الثاني خلال التطرق للقبائل العربية المشاركة في العهد الزياني، أما الجزء السابع فقد استخدمناه في كل فصول الأطروحة لاشتماله على الكثير من الأخبار ذات الطابع السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: لمؤلّفه محمد بن عبد الجليل التنسي المتوفى سنة 899هـ/1494م، الكتاب مكون من عدة أقسام، ما يهمنا منها هو القسم السابع المخصص لتاريخ بني زيان، حيث عنونه بـ "في بيان شرف بني زيان وتتابع دولتهم إلى دولة المتوكل فخر الزمان" والذي تحدث فيه عن التاريخ السياسي لبني عبد الواد من جابر بن يوسف إلى غاية محمد المتوكل الذي ألف الكتاب شكرا له بعدما غمره بعدة امتيازات لم يذكرها لنا التنسي، وقد استفدنا من هذا المصدر المهم رغم أنه متحيز في كتاباته بحكم أنه تاريخ ملوكي لا

يهدف إلى تقديم الحقائق كما هي بقدر ما يهدف لتلميع صورة البلاط الزياني، إلا أن هذا لا يمنع من الانتفاع والاستئناس به في مقارنة الأخبار التي أوردها مع بقية المصادر، وتكمن أهميته أيضا في تسليطه الضوء على الحصار المريني لتلمسان، وقد انفرد باعتماده على مصدر مفقود وهو "دُرَر الغرر" وللأسف لم ينقل منه الكثير.

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: لمؤلِّفه علي بن أبي زرع الفاسي، الذي كان حيا في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة الثالث عشر للميلاد، الكتاب مخصص للحديث عن تاريخ المغرب من عهد الأدارسة إلى غاية العهد المريني وبالضبط توقف عند سنة 726هـ/1326م، وقد أفادنا كثيرا، فقد أورد عدة معلومات حول المعارك التي جرت بين بني عبد الواد وبني مرين.

كتب المناقب والتراجم:

المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن: لمؤلِّفه ابن مرزوق الخطيب المتوفى سنة 781هـ/1380م، ألَّفه كعربون شكر وامتنان للسلطة المرينية، حيث خصصه بالتفصيل في سيرة السلطان أبي الحسن المريني والأحداث السياسية في عهده، وقد أمدنا بقدر كبير في الفصل الثاني للمقارنة بين رواتب مرتزقة الجيش المريني مع مرتزقة الجيش الزياني، وأيضا استقينا منه مادة متعلقة بنشاط الجوسسة، إضافة إلى تفصيله في الوقائع التي صاحبت الحصار المريني على تلمسان والنهب الذي ارتكبه الجيش المريني في حق ساكنة تلمسان.

المناقب المرزوقية: لابن مرزوق الخطيب، وقد انتهى من تأليفه سنة 763هـ/1361م، وهو عنوان موضوع من قبل المحققة سلوى الزاهري لأنه كان بدون عنوان، يشتمل الكتاب على تراجم لسلفه، وبالخصوص جدّه ووالده، وهو ثري بالإشارات التاريخية المتعلقة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن السياسية، فقد استفدنا منه في نشاط الجوسسة حيث انفرد لنا بتقديم معلومة عن وجود جاسوسة في البلاط المريني، وهي عبارة عن جارية مهداة من عثمان بن يغمراسن للسلطان المريني، فضلا عن إيراده لأخبار مهمة عن اعتقاله وسجنه، وهي إشارات أفادتنا في المبحث الخاص بالحرب والمثقف.

مناقب التلمسانيين: لمؤلِّفه محمد بن يوسف الثغري التلمساني، الكتاب مخصص لمناقب أبي عبد الله الشريف وولديه، إلا أن المطّلع على مضمون الكتاب يجد أنه لم يلتزم بموضوع الكتاب، بل قدم لنا عدة استطرادات تفيد الباحث في التاريخ الاجتماعي والثقافي، فقد وجدنا فيه إشارة مهمة حول الأغذية خلال

فترات الندرة والأزمات السياسية، فضلا عن استفادتنا منه في المبحث المتعلق بالحرب والمثقف، فقد كان أبو عبد الله الشريف ممن خاض تجربة السفارات في فترة أبي حمو الثاني، وقد رصد ذلك المؤلف.

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لمؤلّفه ابن مريم المتوفى سنة 1014هـ/ 1605م، الكتاب مخصّص لتراجم علماء تلمسان خلال العهد الزياني سواء عاشوا أو ولدوا بها، والتي بلغ عددها 182ترجمة، يكتسي هذا الكتاب أهمية لاشتماله على الكثير من الأخبار ذات الشق الثقافي بالدرجة الأولى وهو ما مكننا من الاستفادة منها في الفصل الرابع، فضلا عن الأخبار التي سردها في ثنايا سير المترجم لهم، وهي إشارات حول التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ما منحنا فرصة في الاستئناس بها في الفصل الثالث.

كتب النوازل:

الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة: لمؤلّفه أبي زكريا عيسى بن موسى المازوني المتوفى سنة 883هـ/1483م وهو كتاب في غاية الأهمية، فهو يعتبر من المصادر الدفينة التي تكن موجهة لاسترضاء السلطان، مما يمنحها الكثير من المصداقية. إضافة إلى أنها ألفت بغرض فقهي وليس تاريخي، فضلا عن الجوانب التي عالجتها، فكتاب الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة هو كتاب متعلق بالحياة اليومية لمجتمع المغرب الأوسط، فقد حوى المئات من النوازل في شتى مناحي الحياة، وهو ما ساعدنا في إنجاز الموضوع، خصوصا أن المازوني عاش في القرن التاسع، وهو قرن سيطرة القبائل العربية واضطراب الأمن، وانتشار الحرابة في الطرق والقرى والمداشر، وقد رصد لنا ذلك في عدة نوازل تستفتي حكم التعامل مع الظَّلَمة، وجواز قتالهم دفاعا عن النفس؛ كما استفدنا منه بصفة معتبرة في المبحث المتعلق بالحرب والأرض، بفضل النوازل العديدة حول الإقطاعات والمصادرات التي تمت خلال الفترة مدار البحث. جدير بالذكر أنّنا اعتمدنا على نسخته المخطوطة إضافة إلى التحقيق الذي نشره الأستاذ مختار حساني.

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب: لمؤلّفه أبي العباس الونشريسي، المتوفى سنة 914هـ/1504م وهو مبوب حسب مناهج التبويب في كتب الفقه، مثله مثل الدُّرر المكنونة، وقد نقل الونشريسي الكثير من النوازل من المازوني وأضاف عليها نوازل أخرى، افادنا الكتاب في الفصل الرابع خصوصا.

كتب الرحلات:

وصف إفريقيا: للحسن الوزان الملقب بليون الإفريقي، المتوفى بعد سنة 957هـ/1550م، يكتسي الكتاب أهمية، فمؤلِّفه زار تلمسان وأحوازها وعدة مدن من المغرب الأوسط، وقدم وصفا مهما عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلمسان، ولكل المدن التي زارها، وهو ما استفدنا منه في كل فصول الأطروحة تقريبا.

رحلة ابن خلدون: وهي القسم الأخير من كتابه العبر، ضمنها تعريفا بنفسه وبشيوخه والعلوم التي درسها والوظائف التي تقلدها، كما تضمنت عدة أخبار عن الأوضاع السياسية خلال القرن الثامن للهجرة، فضلا عن التفصيل في علاقته مع شيوخ القبائل العربية، وهو ما ساعدنا في الفصل الثاني في تتبع أنساب القبائل العربية وتحالفاتها مع السلطة الزيانية في عدة معارك.

المراجع:

لعل أهمها كتاب الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، لمؤلِّفه حميد تيتاو، وهو كتاب جد قيم كان لنا خير دليل في إنجازنا لرسالتنا هذه، وذلك بفضل المقاربات المنهجية التي استعان بها، فضلا عن التحكم الجيد في المادة العلمية، وتوزيعها في مباحث تعبر عن عمق الإشكاليات التي طرحها في مقدمة الكتاب، الذي هو في الأصل رسالة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش؛ كما اعتمدنا على مراجع أخرى قيمة عالجت تاريخ الدولة الزيانية بصفة عامة، أو في إحدى جوانبها، أو خلال فترة من فترات سلاطينها، وأهمها تلمسان في العهد الزياني للدكتور عبد العزيز فيلالي، والدولة الزيانية في عهد يغمراسن للدكتور خالد بلعربي، وكتاب تاريخ الدولة الزيانية لمختار حساني، دون نسيان كتابات المؤرخ الألمعي الأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش، فضلا عن مراجع أخرى تفاوتت نِسَب الاستفادة منها حسب مقاربة وتأصيل كل طرح فيها،وهي مذكورة في القائمة البيبليوغرافية.

اتبعنا المنهج التاريخي من خلال جمع المادة العلمية من مظانها الأصلية، ثم تفريغها في بطاقات وتبويبها حسب خطة البحث المعدة لذلك، ثم غربلتها بالاستناد للمنهج المقارن ونقد المعلومة انطلاقا من الظروف التي تؤثر على المؤرخ في تقديمها في قالب أقرب للصحة، بسبب أن مؤلِّفها ينتمي للبلاط وهو ما جعلنا نتعامل بحذر مع كل المادة التي قدمها، كما وظفنا المنهج الكمي، فالمطلع على الدراسات التاريخية الحديثة يجد أنها لم تعد تقتصر على السرد، فالاكتفاء به أصبح من الطريقة الكلاسيكية لمعالجة الحدث التاريخي والتي عفا عنها الزمن، كما أنه يقدم الحقيقة التاريخية من زاوية واحدة، عكس اللجوء للمنهج الإحصائي الذي يتيح للباحث

اكتشاف حقائق تاريخية لم يكن السرد ليقدمها له، على أننا وجدنا المادة متاحة للتطويع في شكل إحصائيات، خاصة عدد المعارك التي خاضتها السلطة الزيانية، موزعة حسب كل سلطان وضد كل خصم، وهو ما أتاح لنا التعرف على جبهات القتال التي كانت مشتعلة والتي كانت سبب متاعب للدولة الزيانية، فضلا عن عدد الحصارات وتعداد المقاتلين.

أولى الصعوبات التي واجهتنا تمثلت في شح المعلومات المتعلقة بالانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية، فالمصادر لم تولي نفسها عناء التفصيل في انعكاسات الحرب على المجتمع باعتباره هامشي، مكتفية بسرد أسطر معدودة في أحسن الأحوال تلمح فيها بجمل سردية حجم ما خلفته بعض الحملات من قتل أو أسر أو نهب، وهو ما وضعنا في إشكال تكرار وصف المعارك في الفصلين الثاني والرابع، لأنه يصعب الحديث عن أي انعكاس دون تقديم سياق الحدث الذي جرى فيه سواء كرونولوجيا أو مكانيا بذكر الخصوم ومجريات المعركة، ورغم ذلك حاولنا الاختصار قدر الإمكان لتجنب الحشو، بمساعدة مشرفنا الأستاذ الدكتور خالد بلعربي، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا عجزنا عن السفر لإسبانيا التي تحتوي دور أرشيفها على العديد من الوثائق التي تتحدث عن عمليات القرصنة التي جرت خلال العهد الزياني، إضافة إلى وثائق تتضمن مبادلة الأسرى والتعاون العسكري بين السلطة الزيانية ومملكة قشالة وأراغون.

الفصل الأول: كرونولوجيا الصراع العسكري للدولة الزيانية

أولا: المواجهات العسكرية الخارجية

1-الحروب مع المرينيين

2-الحروب مع الحفصيين

ثانيا: المواجهات العسكرية الداخلية

1-القبائل العربية

2-القبائل البربرية

3-الصراعات الأسرية

أولا: المواجهات العسكرية الخارجية:

1- الحروب مع المرينيين:

تعود أول مواجهة عسكرية بين بني عبد الواد وبني مرين بعد انتقالهما من طور القبيلة وتدثرهما بالغطاء السياسي إلى سنة 647هـ/1249م، ومن المعروف أن الفترة المذكورة شهدت مخاضا عسيرا عاشته الدولة الموحدية عقب هزيمة العقاب[1]، فكان ضعفها السياسي والعسكري مكشوفا لدرجة عجزها عن حماية أراضيها، وهي فرصة أحسنت استغلالها في المغرب الأقصى قبيلة بني مرين الزنانية بعدما "رأوا من اختلال أمر المغرب ما رأوا انتهزوا فيها الفرصة وتخطوا إليها القفر ودخلوا ثناياه وتفرقوا في جهاته"[2]، وكشفوا النقاب عن العداء للموحدين وأكثروا من الغارات والنهب[3].

وسط هذا التغيرات وجدت السلطة الموحدية نفسها مضطرة إلى البحث عن حليف يساندها عسكريا ضد المرينيين، ولم يكن في الساحة السياسية أنسب من قبيلة بني عبد الواد، على الرغم من استغلال شيخها يغمراسن[4] الفرصة هو الآخر وإعلانه الانفصال عنها وانفراده بتلمسان وأحوازها[5]، وتمكنه من تثبيت أركان

---

[1] هي معركة وقعت بين الأمير الموحدي الناصر وألفونس الثامن في موضع يعرف بالعقاب، يقع بالقرب من حصن سالم يوم الإثنين 15 صفر سنة 609هـ/1212م حيث انهزم الجيش الموحدي رغم كثرة تعداده، وهذه المعركة كانت نقطة تحول فاصلة في بداية إنهيار الدولة الموحدية، ليس على المستوى السياسي فقط بل تعدتها للنواحي النفسية والثقافية، الأمر الذي حذا بالمفكر مالك بن نبي إلى أن يتحدث في معظم مؤلفاته عن التراجع الحضاري إنطلاقا من نقطة السقوط التي وسمها بإنسان ما بعد الموحدين، والتي كانت سقوطا سياسيا وحضاريا لازلنا نعاني تبعاته السيئة في الزمن الراهن موسومة بطابع الخمول والسلبية تجاه الإنسان والتراب والوقت. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، صص35-36. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، دمشق، 1981، ص464. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ج1، دار الوعي، الجزائر،2013، صص36-37. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس-عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990، ص283 وما بعدها.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،2000، ص224.

[3] نفسه، ج7، ص224.

[4] مؤسس الدولة العبد الوادية أو الزيانية، ولد سنة 603هـ/1206م، تولى ولاية تلمسان عقب مقتل أخيه أبي عزة زكرار بن زيان سنة 633هـ/1235م حيث أعلن قيام الدولة الزيانية مكتفيا بالدعاء على المنابر للموحدين، تميز يغمراسن بشخصية قوية وصفها لنا ابن خلدون بقوله" كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا الحي بأسا، وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا، وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة، شهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده، وكان مرموقا بعين التجلة مؤمّلا للأمر عند المشيخة، وتعظمه من أمره الخاصة، ويفزع إليه في نوائبها العامة". أما من اتهمه بالجبن فليس له إلا أن نكرر له رأي أحد الباحثين من أن "اتهام يغمراسن بالجبن على وجه الخصوص تهمة رخيصة يدحضها الحق والواقع" عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، صص 105-106. خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية، دار الألمعية، الجزائر،2011، ص216.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص106.

دولته الناشئة بفضل حكمته وإرادته[1]، إلا أن ما شجعه على ذلك كون بني عبد الواد يعتبر العدو التاريخي لبني مرين[2]، فضلا عن أنّ شخصية يغمراسن[3] القوية حتمت عليهم اللجوء إليه حسب أحد الباحثين[4]. وعليه فبعد تغلب أبي بكر بن عبد الحق المريني[5] على فاس[6]، استنجدت ساكنتها بالخليفة الموحدي المرتضى بعدما ضاقوا ذرعا بالمريني[7] فاستعان بيغمراسن لمباغتة المرينيين خلال محاصرتهم لفاس، وكان شيخ بني عبد الواد في مستوى تطّلاعته فقد لبّى نداءه وخرج بجيشه من تلمسان صوب المغرب[8].

إلا أن بعض المصادر قدمت رواية مغايرة لما سبق بخصوص دوافع تحرك يغمراسن إلى المغرب، حيث ذكر ابن أبي زرع أن المرتضى لم يستنجد ببني عبد الواد، مرجعا طمعه في السيطرة على رباط تازا السبب الرئيسي في تحركه إلى المغرب، فهل حقا كان ذلك دافعا لخروج الجيش من تلمسان؟ وواصل مضيفا أنه عسكر قرب تازا، وعقب وصول أخبار تحركه إلى أبي بكر المريني، ترك هذا الأخير حصة من جنده لمواصلة الحصار على فاس، وخرج إلى يغمراسن الذي تراجع إلى وجدة ولاحقه المرينيون، وتواجه الجيشان في إيسلي بنواحي وجدة سنة

---

[1] Amar Dhina, Califes et Souvrains, Entreprise National du Livre, 3bd, Ziroud Youcef, Alger, 1991, p101.Ismael hamet, histoire du maghreb, edition sernestleroux, paris, 1923, p133.

[2] يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة، الجزائر،2011، ص217.

[3] حلاه ابن الخطيب بأبيات مشيدا فيها ببأسه وشجاعته بقوله:

أول أملاكهم يغمور ليث الشرى والبطل المشهور

تثني عليه حومة الميدان ما لامرئ ببأسه يدان

لاقى الجموع من بني مرين كالليث يحمي جانب العرين

ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص70.

[4] خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية (633-681هـ/1235-1282م)، الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص69.

[5] الحاكم الرابع للدولة المرينية، تولى قيادة الدولة بين 642هـ-656هـ/1244-1258م، ولد سنة 603هـ/1206م. ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1972 ص64.

[6] مدينة اعتبرت باتفاق معظم المؤرخين أنها قاعدة المغرب الأقصى، أسست سنة 192هـ/808م على يد ادريس بن ادريس، تنقسم من الناحية الجغرافية إلى مدينتين يفصل بينهما نهر سمي بنهر فاس ينبع من عيون صنهاجة، تتمتع بمقدرات زراعية هامة فالفواكه كثيرة بها وأسعار الحنطة في المتناول بفضل محاصيلها الكثيرة، سكنتها عدة قبائل بربرية، إضافة إلى أنها كانت قطب تجاري في غاية الأهمية حيث حطت عليها القوافل من مختلف المناطق للبيع والشراء، يحيط بالمدينة سور وبها عدة قناطر وأرحاء جاوزت ثلاثمائة وستين. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص435.

[7] ذكر ابن عذارى المراكشي أنه بعد دخول أبي بكر لمدينة فاس جمع ثلاثمائة من وجوه أهلها وأغرمهم ثلاثمائة ألف دينار، وقتل ستة رجال من وجوه القوم. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد بن إبراهيم الكتاني،محمد بن تاويت،محمد زنيبر، عبد القادر رزمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1985، ص397.

[8] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص112.

647هـ/1249م، وأسفرت المعركة عن هزيمة يغمراسن[1] هزيمة ساحقة حسب أحد الباحثين اضطرته للمسارعة إلى العودة لتلمسان[2].

هل استنجد المرتضى بيغمراسن؟ عبد الرحمن بان خلدون صاحب هذه الرواية لا يذكر لنا وجود جنوده في هذه المعركة، كما أن تراجع يغمراسن من أحواز تازة إلى وجدة قد يبين أنه "طمع في رباط تازة"[3]، وبالتالي فإن أبا بكر تفطن لمطامعه، ما يفسر خروجه لمنعه من دخولها، إلا أن الجدير بالذكر أن تازة تقع على طريق فاس، وبالتالي فتحتم على يغمراسن السيطرة عليه لمواصلة تحركه إلى فاس، حتى يضمن الجهة الخلفية ولا يقع بين فكي كماشة، فهل كان حقا ينوي المواصلة إلى فاس إذا تمت له السيطرة عليه؟.

بعد فترة سلم توقف فيها العبد الواديون والمرينيون لتوطيد أركان دولهم، استأنف الصراع العسكري مجددا، فقد تحرك يغمراسن سنة 655هـ/1257م إلى المغرب قاصدا فاس، فخرج إليه أبو بكر المريني بجيشه مجنبا مدينته الخراب في حالة انهزامه، وجرت وقائع معركة بينهما في أبي سليط، انجلت عن هزيمة أخرى ليغمراسن أمام أبي بكر[4]، فكان مضطرا للانسحاب إلى المقرمدة[5] عقب توقف أبي بكر عن ملاحقته بعد ثنيه من طرف أخيه أبي يعقوب[6]، وذلك وفق اتفاق سري بين هذا الأخير ويغمراسن[7] الذي لم ينسحب إلى تلمسان، بل توجه للسيطرة على سجلماسة "لمداخلة من بعض أهلها أطمعته في ملكها"[8] إلا أن أبا بكر

[1] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص76. عبد العزيز الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، 1963، ص75.

[2] Chantal de la Véronne, Yaghmurasan Premier Souverain de la Dynastie Berbére des abd-al Wadides de Tlemcen 633/ 1236-681/ 1283, editions bouchene, France, 2006, p30.

[3] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص75.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص112، ابن أبي زرع، نفسه، ص83.

[5] مدينة على بعد 20 ميلا عن فاس، تقع على نهر يسقي بساتينها المشتهرة بالكروم، خربت في أواخر عهد الدولة المرينية. الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي،محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت،1983، ج1، ص292.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص112.

[7] نفسه، ج7، ص234.

[8] نفسه، ج7، ص234.

المريني سبقه إليها وحصنها، ووصل إليها يغمراسن وعسكر صوب باب تاخنست[1]، وتواجه الجيشان في معارك متقطعة خارج سجلماسة، لم يتمكن من خلالها يغمراسن من اقتحامها، وكرّ راجعا لتلمسان[2].

شهدت السلطة المرينية تغيرا في سدة الحكم بوفاة الأمير أبي بكر بن عبد الحق سنة 656هـ/1258م[3]، ومبايعة أخيه يعقوب بن عبد الحق[4] بفاس[5]، وبعدها بسنة أي 657هـ/1259م تحرك يغمراسن بجيشه إلى كلدامان[6] وتواجه مع الجيش المريني في معركة كان نصيبه منها الهزيمة[7]، لينتقم لهزيمته بإحراق تافرسيت التي "انتسفها وعاث في نواحيها"[8].

كان عرب المنبات أقرب لبني عبد الواد أكثر من بني مرين[9]، وعليه فقد اتفقوا مع يغمراسن ومكنوه من دخول سجلماسة سنة 662هـ/1264م بعدما قتلوا عاملها علي بن عمر، ويعود إصراره للسيطرة عليها إلى دوافع اقتصادية بحتة، بحكم المكانة التجارية الهامة التي تبوأتها[10]، فهي ممر دائم للقوافل التجارية من تلمسان إلى السودان الغربي، ومن هذا الأخير إلى تلمسان وميناء هنين[11]، وفق هذه الاعتبارات كانت السيطرة عليها ضرورة هامة لدولة ناشئة تحتاج إلى مداخيل مالية لتمويل نفسها، خاصة أنه ولى عليها ابنه يحي وابن أخته عبد

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص296.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص112، ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص83.

[3] ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص296، ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص84، عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص234.

[4] يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن وزير بن فجوس بن جرماط بن مرين الزناتي، الحاكم المريني الخامس، ولد سنة 607هـ/1211م، حكم بين 656-685هـ/1258-1286م. ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص85.

[5] نفسه، ص84.

[6] ذكرها ابن خلدون "كلدامان". عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص88، 112،208،235. كما تناقض مع نفسه وذكرها مرتين: الأولى وقعت سنة 647هـ والثانية 657هـ.

[7] نفسه، ج7، ص112،208،235، ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص89.

[8] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص112.

[9] نفسه،ج7، ص114، حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، ص201. أحمد عزاوي، قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، مطبعة الرباط نيت، الرباط، 2010، ص154.

[10] محمد أمراني علوي، سجلماسة وتأثير التجارة في العهد المريني، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2015، صص38-39.

[11] حسن حافظي علوي، نفسه، ص202.

الملك بن حنينة، وهو ما رجحه أحد الباحثين باستغلال يغمراسن هذا المنفذ التجاري للممارسة التجارية لحسابه[1].

استمر الموحدون في سياسة طلب الدعم من بني عبد الواد، فبعد مقتل المرتضى واعتلاء أبي دبوس سدة الحكم سنة 665هـ/1267م[2]، استعان هذا الأخير بيغمراسن[3] "فبعث إليه الصريخ في كشف بلواه ومدافعة عدوه"[4]، وكان موقف يغمراسن واضحا من المرينيين، فهم خصم بني عبد الواد، فخرج إلى المغرب وشن مجموعة من الغارات كبدهم فيها خسائر معتبرة[5].

كانت هذه الغارات سببا في المواجهة الشهيرة بينهما في تلاغ سنة 666هـ/1267م، فكان السلطان المريني مرغما على ترك حصار مراكش[6] والخروج إلى تلمسان لمواجته في معركة انتقامية، إلا أن وقائع المعركة جرت في وادي تلاغ، ذلك أن يغمراسن حشد جيشه وخرج من تلمسان حتى يجنبها الخراب في حالة انهزامه، ولتكون أيضا مفرا وحصنا يلجأ إليه تحسبا لنتائج المعركة، "فالتقى الأبطال بالأبطال واختلط الأمثال بالأمثال وتمازجت الركاب بالركاب"[7] وأسفرت المعركة عن هزيمة يغمراسن[8] وهي هزيمة كان لها أثرها السلبي على الحلف الزياني الموحدي لأن المرينيين تفرغوا للقضاء على الموحدين عقب إلحاق هزيمة بحليفها القوي يغمراسن[9].

---

[1] Kably Mohamed,Société Pouvoir et Religion au Maroc à la Fin du Moyen âge,Paris ,1986 ,p73.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص238.

[3] ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن سبب خلاف أبي دبوس مع المرينيين يعود إلى نكثه للعهد الذي قطعه لهم بعدما أمدوه بالمال والرجال للقضاء على المرتضى. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص238.

[4] نفسه، ج7، ص238.

[5] نفسه، ج7، ص238.

[6] مدينة بالمغرب الأقصى، أسست من طرف الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة 459هـ/1067م بعد أن اشترى أرضها من قبيلة أغمات وشيد سورها ولده علي بن يوسف سنة 514هـ/1120م وسقطت على يد الموحدين سنة 541هـ/1147م، وهي مدينة تتمتع بجودة تربتها وعذوبة مائها كما كثرت بها البساتين والجنات التي تنتج مختلف الفواكه. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.س، صص208-209. الحميري، المصدر السابق، ص540.

[7] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص305.

[8] نفسه، ص305، ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بور سعيد،2001، ص66. عبد العزيز الملزوزي، المصدر السابق، صص83-85. أبو العباس الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، صص25-26.

[9] أحمد عزاوي، محطات في تاريخ المغرب الوسيط، مطابع الرباط نت، الرباط، 2017، ص44.

بالقضاء على الموحدين إثر مقتل ابن دبوس آخر خلفائهم، يكون يعقوب بن عبد الحق قد مهد المغرب تحت حكمه، وهو ما فتح له الباب لمواصلة سلسلة الحملات العسكرية خارج المغرب لتوسيع رقعة دولته، وبالضبط نحو تلمسان عاصمة الدولة الناشئة لافشال جهود يغمراسن لتوطيد أركان دولته، حيث تحرك إليها سنة 670هـ/1271م حاشدا "كافة أهل المغرب من المصامدة والجموع والقبائل"[1]، وعسكر بوادي تافنة، إلا أن بني الأحمر حكام مملكة غرناطة طلبوا منه دعما عسكريا، وهو ما فرض عليه تلبية النداء وعرض الصلح على يغمراسن الذي رفض مصرّا على الانتقام لمقتل ولده في معركة تلاغ في خطاب شديد اللهجة "لا صلح بيني وبينه، أبعد قتل ولدي عمر أصالحه؟ والله لا كان ذلك أبدا، ولا أترك قتاله أبدا حتى آخذ منه الثأر وأذيق بلده التبار"[2].

وبالرغم من أنه كان من الأنسب القبول بالصلح لانقاذ آخر المعاقل الاسلامية بالأندلس إلا أنه لا يجب التغافل عن الظروف النفسية المصاحبة لاصدار مثل هذا القرار، فهو أولا بدوي وشيخ قبيلة يؤمن إيمانا تاما بالثأر لمقتل ولده، كما أنه كان معرضا لسخط شيوخ قبيلته إذا وافق على الصلح، فكيف ستكون نظرتهم لزعيم تنازل لعدوه وتصالح معه ودم ولده هدر بدون انتقام؟ لكل هذه الاعتبارات كان مرغما على رفض الصلح، فلا يمكن اتهامه إذن بقصر النظر وعدم تقديره لأبعاد الأمر حسب أحد الباحثين[3].

واصل أبو يعقوب مسيره إلى تلمسان لملاقاته "في قوة واستعداد وجيوش مالها حصر كأنها الجراد"[4]، وتواجه الجيشان بوادي ايسلي قرب وجدة في معركة حامية الوطيس، كل طرف فيها مصرّ على إذاقة الهزيمة للآخر، فيغمراسن يريد الانتقام لولده عمر، ويعقوب يريد التنكيل بيغمراسن لرفضه مصالحته لنجدة بني الأحمر، فـ "التحمت الحروب بينهما واضطرمت، واشتعلت نار الوغى والتهبت، وشمرت عن ساقها وتنمرت"[5]، وأسفرت المعركة عن هزيمة أخرى ليغمراسن أمام المرينيين، والثانية أمام يعقوب بن عبد الحق بعد هزيمة تلاغ[6].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص115.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص309.

[3] خالد بلعربي، ورقات زيانية، دار هومة، الجزائر، 2014، ص38.

[4] ابن أبي زرع الفاسي، نفسه، ص310.

[5] نفسه، ص310.

[6] عبد العزيز الملزوزي، المصدر السابق، صص88-90. أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج3، صص31-33.

لم يتوقف يغمراسن بعد هذه الهزائم عن شن الحملات على الأراضي المرينية، بل واصل سياسته الرامية إلى محاربة الغريم التقليدي كوسيلة للدفاع، وبذلك تحرك سنة 675هـ/1276م صوب حصن تاونت[1]، وهو من الحصون المهمة في الحدود بين الدولتين، ولأهميته شحنه أبو يوسف بالمؤونة تحسبا لاستخدامه في الصراع، فحاول يغمراسن السيطرة عليه عدة مرات حتى "فرّ من الحصن" حاكمه هارون بن شيخ مطغرة[2].

تواصلت حروب يغمراسن مع المرينيين، فإذا كان هؤلاء قد أبلوا البلاء الحسن في الجهاد بالأندلس، فإن محمد الفقيه[3] قد أقلقته هذه المكانة التي حظي بها أبو يوسف لدى العامة، وهو ما جعله يتحالف مع يغمراسن حتى يشن عليهم حملات يلهيهم بها عن العبور للعدوة[4]، غير أن حملات النصارى اشتدت وطأتها على الأندلس، فاضطر محمد الفقيه إلى الاستنجاد مرة أخرى بالمرينيين، وكان يغمراسن ضحية هذا الاتفاق، ذلك أنهم"أطلعوه على خباء يغمراسن في مظاهرتهم"[5]، فتحرك إليه وهزمه بخرزوزة سنة 680هـ/1281م، وواصل توغله في أراضي بني عبد الواد، وتحالف مع بني توجين وشنوا غارات عديدة على تلمسان وأحوازها[6].

يبدو أن يغمراسن بعد معاركه الخاسرة قد أدرك القوة العسكرية للمرينيين وكثرة أعدادهم وعدتهم خلال صراعه معهم، خصوصا بعد معركة ايسلي، والتي تعتبر حسب أحد الباحثين نقطة تحول في سياسته العسكرية تجاه المرينيين[7] لذا كانت وصيته لخلفه بانشاد السلم مع الغريم الغربي وتجنب قتالهم واتباع سياسة التحصن

---

[1] هو حصن يقع على ساحل مدينة ترنانا، شيد على جبل يحيط البحر به من ثلاث جهات، أما الوصول إليه فلا يكون إلا من الناحية الشرقية، وهو بذلك معقل حصين، والجبل الذي شيد فيه يحتوي على معدن الأثمد، إضافة إلى ممارسة ساكنته للزراعة، حيث يضم عدة بساتين وأشجار ويشتهر بإنتاج الزبيب الذي كان يصنع من التين ورغم تشييده قبل القرن الخامس إلا أنه بقي خلال الفترة مدار الدرس، تتميز هذه المنطقة بارتفاعها وهو ما جعلها محل صراع على السيطرة عليها من الزيانيين والمرينيين، لا زال اسم الحصن يحمل اسم بلدية تابعة لدائرة الغزوات بولاية تلمسان، وقد تغير اسمها مع الزمن من تاونت إلى تيانت. البكري، المسالك والممالك، ج2، تحقيق أدريان فان ليوفن، أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص750.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص245.

[3] محمد بن محمد بن يوسف النصري، لقب بمحمد الفقيه، تولى الوزارة في عهد والده ثم خلفه بعد وفاته، فهو ثاني حكام الدولة النصرية، امتدت فترة حكمه بين 671-701هـ/1238-1272م. لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق وتعليق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، د.ت، ص34. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص234.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص119.

[5] نفسه، ج7، ص283.

[6] نفسه، ج7، ص270.

[7] محمد مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص82.

بأسوار تلمسان وتقوية الجيش الزياني عددا وعدة[1]، ولأهميتها نوردها كما جاءت لأن لها تأثير على سير الحروب الزيانية[2] المرينية "يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفور مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها، فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك، تصّير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك"[3]. وهو ما حاول السير على خطاه ابنه عثمان[4] وخلفه أبو حمو موسى الأول، فتجافى عن لقاء المرينيين، ولم تسجل لنا المصادر مبادرتهما بخوض معارك أو غارات على المرينيين باستثناء الحصار المريني الذي لا يمكن تسجيله على أنه مواجهة عسكرية بين جيشين بحكم أنه ظل في سنواته الثمانية عبارة عن تطويق.

أما في عهد أبي تاشفين الأول فيبدو أنه كان مندفعا بعد عملية الانقلاب التي قام بها ضد والده أبي حمو موسى الأول، حيث تدخل في أمور البلاط المريني ونقض معاهدة السلم التي عقدها معهم، ومن بين التدخلات التي أقدم عليها مساندته أولاد أبي عمر بن السلطان أبي سعيد، حيث أرسل سنة 722هـ/1322م جيشا بقيادة موسى بن علي وهاجم جاجرت[5].

---

[1] هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص198.

[2] جدير بالذكر أنها عرفت تغيرا في اسمها خلال عهد أبي حمو موسى الثاني، الذي غيرها من الدولة العبد الوادية إلى الزيانية نسبة لجدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيان بن يندوكس بن طاع الله بن علي بن يمل بن يزوجن بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله. فضلا عن انتساب أمراء الدولة العبد الوادية كلهم لعثمان بن يغمراسن، أما أمراء الزيانية بدءا من أبي سعيد عثمان الثاني وأبي ثابت الزعيم ينتسبون لأخيه أبي يحي بن يغمراسن. الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، ج1، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990، ص159. سيدي محمد نقادي، إسهامات الإمام الآبلي في الحياة الفكرية للمغرب الكبير تلمسان، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2009-2010، ص18. Henri Fournel, Etude sur la conquéte de l'afrique par les arabes, l'imprimerie impériale, Paris, p1.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص123.

[4] Générale G.Faure-biguet, Histoire de l'afrique Septentrionale sous la domination Musulmane, paris, p186.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص240، عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص146.

وبعدها بتسع سنوات عاود الكرّة على الأراضي المرينية بمهاجمته تاوريرت[1] سنة 731هـ/1331م[2]، ليعيد الكرة عليها سنة 733هـ/1332م مستغلا انشغال أبي الحسن[3] بمواجهة حركة المعارضة التي تزعمها أخوه أبو علي، غير أن تاشفين بن أبي الحسن تصدى له بفضل القوة التي تركها بتاوريرت لحماية ظهر القوات الرئيسية التي خرج بها أبو الحسن لسجلماسة[4] ورجع أبو تاشفين إلى تلمسان[5].

بعد انقطاع الدولة الزيانية عقب سيطرة أبي الحسن المريني عليها سنة 737هـ/1336م[6]، تمكن الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت من إحياء الدولة، مستغلين الظروف الصعبة التي مر بها أبو الحسن بأفريقية وتحطم أسطوله، فعادوا إلى تلمسان، وطردوا منها ابن جرار[7]، وبينما كان السلطان المريني بتونس، أرسل ابنه الناصر ومعه القبائل العربية من سويد والعطاف والديالم[8]، وخرج إليهم أبو ثابت بمساندة أبي عنان المريني[9]، والتقى الجمعان في بلاد العطاف بوادي ورك سنة 750هـ/1349م، وتمكن من هزيمتهم[10]، ليعيد الكرّة عليهم بواقعة أخرى جرت وقائعها في السرسو سنة 751هـ/1350م[11]، ومواجهة أخرى بتيعزيزن بنواحي الشلف

---

[1] مدينة قديمة تقع قرب نهر زاغ، تضم أراضي صالحة للزراعة، كانت تضم ثلاثة آلاف بيت سكنوا بها، إلا أنها عرفت التخريب عدة مرات بسبب التنافس الزياني المريني عليها، إلى أن خربت سنة 780هـ/1378م واستولى عليها الأعراب وفرضوا على ساكنتها الضرائب فهاجروا منها إلى ندرومة، وفي النصف الأول من القرن السادس عشر أصبحت شبه خاوية من الساكنة. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1،صص349-350.

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص74.مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص104.

[2] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص242.

[3] الحاكم العاشر للدولة المرينية، حكم بين 732-749هـ/1331-1348م. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص334 وما بعدها.

[4] محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1987، صص111-112.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص146، يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص242.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915، ص198.أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأحوط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم، ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص73.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص155.

[8] من ولد ديلم بن حسن بن إبراهيم بن رومي، وهم من بني مالك بن زغبة، جدير بالذكر أن بني مالك تضم ثلاثة بطون وهي سويد والعطاف والديالم، هذين الأخيرين سميا الحرث بن مالك، ونرجح أن أصل هذه التسمية نسبة لامتهانهم زراعة الأرض على عكس القبائل العربية الرعوية، تمتد مجالاتهم في القفار حسب ابن خلدون، وكانت سويد أكثر عددا منهم ومن العطاف وهو ما خولها الاعتزاز عليهم، كما نرجح أن الديالمة كانت من القبائل الغارمة لضعفها. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص،ص 59، 65.

[9] الحاكم الحادي عشر للدولة المرينية، حكم بين 749-759هـ/1348-1358م. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص379 وما بعدها.

[10] نفسه،ج7، ص157. يحي ابن خلدون، نفسه ،ج1، ص260.

[11] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص158.

في نفس السنة، انتصر فيها مرة أخرى على أبي الحسن وجموعه من العرب[1]، وكان في مدينة الجزائر عبد الله بن السلطان أبي الحسن مع فلول من بني مرين، فتوجه إليهم أبو ثابت سنة 752هـ/1351م وغلبهم عليها[2].

كانت مواجهة أبي ثابت لمغراوة ورفض شفاعة أبي عنان فيهم بعدما استنجدوا به سببا كافيا لتحركه عازما على إحياء المشروع الوحدوي لوالده الذي لن يتم إلا بالسيطرة على تلمسان فقد كان يسعى دوما للتدخل في شؤون المغرب الأوسط ليثبت نفوذه فيه[3] فكانت بوادر المواجهة تلوح في الأفق قام تحسبا لها أبو سعيد وأبو ثابت بالخروج من تلمسان تجنبا لخرابها صوب بسيط أنكاد بوجدة، والتقى الجيشان سنة 753هـ/1352م وانهزم بني عبد الواد[4]، وفرت الفلول بقيادة أبي ثابت وسار في أثرهم الجيش المريني يلاحقهم، وتواجها بإغيل ان توفلين بأحواز الشلف، حيث هزم بني عبد الواد مرة أخرى[5].

تمكن أبو حمو الثاني[6] من إحياء الدولة الزيانية بعد أفولها لمدة ست سنوات نتيجة توفر عدة أسباب على غرار عجز المرينيين ونكوصهم عن مواصلة الجهاد خصوصا بعد هزيمة طريف، وغزوهم لتلمسان وسيطرتهم عليها[7]، فبعد تمكنه من الفرار إلى تونس حشد العرب وسار في اتجاه المغرب الأوسط لاستعادة عاصمتهم تلمسان، وبما أن المرينيين كانوا يسيطرون على العديد من مناطق المغرب الأوسط، فقد حاض ضدهم العديد من المواجهات ، أولها سنة 759هـ/1358م في ميلة، التي حاصرها ودخلها عنوة[8]، وسار نحو جبل بني ثابت في نفس السنة وقاتل الحامية المرينية به[9]، وواصل السير في تتبع الحاميات المرينية، وأرسل سرية إلى بني وزان[10] في أحواز بجاية، وهزم الوزجوني قائد الحامية المرينية "وفرّ بمن معه ولقيه البتور"[11].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص159. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص261.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص160. يحي ابن خلدون، نفسه،ج1، ص262.

[3] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص31.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص161. يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، صص263-264. القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص198.

[5] يحي ابن خلدون، نفسه ،ج1، ص265. محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، صص154-155.

[6] الحاكم السابع للدولة الزيانية، حكم بين 760-791هـ/1359-1389م. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص162 وما بعدها.

[7] خالد بلعربي، الصراع العسكري الزياني المريني: أسبابه ونتائجه، مجلة الحضارة، العدد 14، جامعة وهران، 2010، ص189.

[8] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص25.

[9] نفسه، ص25. يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص20.

[10] في بغية الرواد: بني ورار. يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص20.

[11] مؤلف مجهول، نفسه، صص25-26.

كما شجعه تغيير في سدة الحكم بالبلاط المريني بوفاة الأمير أبي عنان سنة 760هـ/1359م، فتقدم في جموعه إلى تلمسان، وأرسل سرية بقيادة الحاج موسى بن علي بن برغوث[1] الذي نازل المرينيين بوادي اصطفصيف وهزمهم[2]، وهو ما منحه دفعا للتقدم نحو تلمسان، فجمعته بهم معركة أخرى في تيط وشقوف حتى "هزموهم هزيمة شنيعة حاصدة"[3] واستغل هذا الانتصار وتقدم إلى قنطرة وهران وقاتل الحامية المرينية بها، في معركة ناجحة انجلت عن " هزيمة بني مرين"[4].

يبدو أن أهل تلمسان كانوا يتحينون الفرصة للإيقاع بغريمهم بني مرين الذين سيطروا على مدينتهم، وهو ما تجلى في مساعدتهم لأبي حمو الثاني على استرجاعها، فقد انفرد يحي ابن خلدون برواية مفادها أن فقيهين من فقهائها خرجا ليلا عقب معركة القنطرة في وهران، و " دلوا أمير المسلمين أيده الله على عورات البلد ومخادعه، وأغروه بأجادير لقرب مناله بشيع أهله"[5].

لكن قبل مواصلة الحديث عن مجريات المعارك يجدر بنا أولا التساؤل عن مصداقية هذه الرواية، ذلك أن أبا حمو هو ابن مدينة تلمسان، ومن المؤكد أنه عارف بجغرافيتها وتضاريسها، فكيف يأتيه من يدله على عوراتها؟ ولا يمكن الأخذ بذلك إلا إذا افترضنا وجود تحصينات شيدها المرينيون فأخبروه عن عوراتها، خصوصا أن صاحب زهر البستان الذي فصل في كيفية إحياء أبي حمو الثاني للدولة لم يذكر لنا هذه الرواية.

أيا كان الأمر فإن أبا حمو قسم جيشه إلى قسمين، الأول بقيادته والثاني بقيادة وزيره موسى بن علي بن برغوث، وقاتلا الحامية المرينية بتلمسان، فأبو حمو قاتل باب كشوطة[6] وأمر وزيره بالتوجه لقتال المرينيين

---

[1] أحد وزراء أبي حمو الثاني، إضافة إلى توليه قيادة الجيش الزياني في العديد من الوقائع. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، صص23-24،47.

[2] نفسه، ج2، صص23-24.

[3] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص45.

[4] يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص24.

[5] نفسه ،ج2، ص24.

[6] هو أحد أبواب تلمسان الخمسة، يقع في الناحية الغربية، دفن قربه الشيخ أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي، ويقع قرب هذا الباب كهف كان يتبتل فيه المتصوف أبو عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي، كما بنى أبو حمو داخل هذا الباب مدرسة ابني الإمام، وفيه بايعت العامة أبا تاشفين الأول. وفي العهد العثماني سمي بباب الأرجوحة حيث تحول إلى ساحة إعدام. يحي بن خلدون، نفسه، ج1، ص129،140،167،169،239. WilliamMarcias, Georges Marcias, les monument arabes de Tlemcen, Ancienne Libraire Thorin Et fils Albert Fontemoing, Paris, 1903, p134.

بباب العقبة[1] المواجه لأجادير، وهذا التقسيم كما ذكر صاحب البغية كان بناء على المعلومات التي قدمها الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي وبنو زاغو، والذي كان تحالفهم فاصلا في المعركة، ذلك أنه "فتح أهل أجادير لموسى بن علي بابهم، فدخله على مرين بجنوده"[2] وتقسيمه الجيش إلى قسمين كان بهدف شغل الحامية المرينية في الجهة الغربية حتى يتمكن ابن برغوث من اقتحام تلمسان[3]، وقد كان له ذلك، حيث تمكن من هزيمة المرينيين وفتح باب كشوطة لأبي حمو ودخل تلمسان[4].

بعد تثبيت أبي حمو موسى الثاني حكمه في تلمسان وتنظيم أموره، شرع في استرجاع مدن المغرب الأوسط تحت حكمه، حيث أرسل وزيره موسى بن علي بن برغوث لحصار وهران، إلا أنه فشل أمام الحامية المرينية وانهزم في المعركة[5]، ليتحرك المرينيون من فاس صوب تلمسان لاسترجاعها، غير أن أبا حمو فضل الخروج من تلمسان للصحراء بدل مواجهتهم، وأرسل قبائل المعقل إلى وجدة لقطع الطريق عن المرينيين، فتواجه هؤلاء مع عامر بن إبراهيم بن ماساي حاكم وهران وتمكنوا من إلحاق الهزيمة به[6].

بعد عقده السلم مع المرينيين وعودته لتلمسان، واصل أبو حمو عملياته العسكرية لاستعادة مدن المغرب الأوسط تحت حكمه فأرسل عامله شعيب بن إبراهيم المعطاوي للسيطرة على تنس[7]، وأرسل والده أبا يعقوب في جيش إلى جبل وانشريس لقتال القائد المريني يحيى بن علي بن عبد الرزاق البطوي أين جرت معركة حامية الوطيس ضرب فيها أبو يعقوب " طبوله ورجف وقصد مصافهم وما توقف وضم جناحي جيشه عليهم ولم يثن عنانه إلا بعد التوصل إليهم"[8] لتنتهي المعركة بهزيمة المرينيين وتفرق فلولهم بين مليانة والمدية والجزائر، وهو ما

---

[1] يقع في الناحية الشرقية، دفن قربه الفقيه أبو عبد الله بن عيسى، وأبو زكريا يحي بن الصيقل وأبو جعفر الداودي وابن غزلون، ومن هذا الباب تمكن يغمراسن من الانسحاب عقب دخول أبي زكريا الحفصي لتلمسان سنة 640هـ/1243م. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص153،149،129، 165،226.

[2] نفسه،ج2، ص25.

[3] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص88.

[4] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص25. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص46.

[5] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص47.

[6] نفسه، ج2، ص48. مؤلف مجهول، نفسه، ص60.

[7] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص49.

[8] مؤلف مجهول، نفسه، ص78.

استلزم منه ملاحقتهم، فوصل إلى المدية وجرت له بها مواجهة[1] انتهت وقائعها باستسلامهم لأبي يعقوب وأرسلوا له " يطلبون منه أن ينعم عليهم بالأمان"[2] وعادت المدية تحت حكم الزيانيين.

واصل أبو حمو الثاني تطهير مدن المغرب الأوسط من المرينيين، ورأى أن يدعم والده أبا يعقوب بجيش آخر ليتأتى له تحقيق ما رام إليه، فخرج عبد الله بن مسلم إلى مليانة التي فر إليها يحي بن علي مع فلوله ولجأ إلى حاكمها فارح، فاقتتلوا معهم واستسلموا بعدما أيقنوا بضعف قوتهم أمام الجيش الزياني[3]، وواصلا زحفهما إلى الجزائر التي قاتلاها " فضاق أهل الجزائر لذلك النزول ذرعا، وساءهم ذلك التقرب روعا" وجرت معركة شرسة إلا أنهما عجزا عن اقتحامها، فرجعا إلى مليانة، وعاود أبو يعقوب قتالها، غير أنه فشل مرة أخرى في اقتحامها، وعاد إلى تلمسان لمساندة أبي حمو في تحرك المرينيين إليه[4].

كان من شأن الجزائر وإصرار أبي حمو على السيطرة عليها أن استنجد أهلها بأبي سالم[5] المريني لنصرتهم، فتحرك هذا الأخير للسيطرة على تلمسان، واختار أبو حمو مرة أخرى الخروج إلى الصحراء بدل المواجهة المباشرة، وفضل الالتفاف إلى ثغور المغرب ومدنه لشن الغارات، فهجم على حصن تاوريرت وأوطاط وأجرسيف[6] سنة 761هـ/1360م[7]. كما شن غارات على تامنصرت وثنية تاغروطت[8] ثم واصل هجوماته جنوبا على بلاد ملوية[9]، وتوغل إلى حصن أرجو قرب تازة، ولم تفصله عن صفروي[1] القريبة من فاس سوى بعض الأميال.

---

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص79.

[2] نفسه، ص79.

[3] نفسه، ص85.

[4] نفسه، صص100-101.

[5] الحاكم الرابع عشر للدولة المرينية، حكم بين 760-762هـ/1358-1360م. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص402 وما بعدها.

[6] منطقة تقع قرب نهر ملوية، وهي مدينة كبيرة تضم الكثير من البساتين، ويذكر صاحب الاستبصار أنها كانت قرية حتى نزل عليها المرابطون وعمروها لتتحول إلى مدينة، وفي العهد المريني شيد بها قصر على صخرة عظيمة، واتخذ بنو مرين هذه المنطقة مخزنا لحبوبهم، على أن هجرة القبائل المرينية قد أثرت عليها حيث تراجعت بها البساتين والأشجار المثمرة بسبب طغيان النمط الرعوي، وصف الوزان ساكنة هذه المنطقة بالخشونة وقلة التربية وامتهانهم حراسة الحبوب لشيوخ العرب ولا ندري إذا كان هذا تحاملا عليهم أم حقيقة. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص177. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، صص351-351.

[7] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص104.

[8] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص73.

[9] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص167.

بعد الغارات التي شنّها أبو حمو الثاني على مجالات المرينيين، قام أبو سالم المريني بالعودة إلى المغرب، لكنه نشر بذور الفتنة بين بني عبد الواد، فلم يترك تلمسان على طبق من ذهب لأبو حمو، بل نصب عليها حفيد أبو تاشفين الأول[2]، وبالفعل جرت عدة مواجهات عسكرية بينه وبين أبي حمو[3]، في حين استغل ابن خلوف اليابابي[4] انشغال أبي حمو للسبب الآنف الذكر وهجم على البلاد الشرقية، وشن عدة غارات على قبائل مليكش والثعالبة، وهو الذي اضطر شيخ الثعالبة إلى القدوم إلى أبي حمو " طالبا للنصرة، يشكو له ما لقي من ابن خلوف من القهر والحسرة"[5]، فأرسل له أبو حمو كتيبة بقيادة علي بن أبي عدى، وتواجه معه في متيجة[6]، وتمكن فيها من هزيمة ابن خلوف[7]، كما توجه سنة 761هـ/1360م إلى مواجهة تنس التي كان يحكمها القائد المريني ابن أبي تجلى[8].

بعد عقد السلم بين الزيانيين والمرينيين، لم يستسغ أبو حمو بقاء وهران والجزائر تحت الحكم المريني، فجهز جيشه و "ترحل لوهران رابع يوم من غير توقيف...فكان دخولها عند أذان العصر"[9].

لم تطل فترة السلم كثيرا، حيث نقض المرينيون المعاهدة وجهزوا جيشا لإعادة حفيد أبي تاشفين إلى تلمسان حتى يقوم صراع داخلي في بيت بني عبد الواد، حيث تواجه معهم أبو حمو سنة 765هـ/1364م في وادي مينة، في معركة انهزم فيها وتمكن من الإنسحاب إلى تلمسان[10]، وكردة فعل قام بشن غارات على

---

[1] مدينة تقع قرب فاس، لها سور يحميها من الهجومات العسكرية، تتمتع بشبكة هيدروليكية تضم عدة أنهار وجنات، وهو ما كان له أثر إيجابي في الدفع بالنشاط الفلاحي بها، حيث تكثر بها الجنات التي تنتج مختلف الفواكه والأعناب، ولعل من أكثرها اللوز الذي يحمل إلى فاس لبيعه. مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، ص193.

[2] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص106.

[3] نفسه، صص107-108-109.

[4] ما نعرفه حول هذه الشخصية هو أنه أحد قواد الجيش المريني. نفسه، ص109.

[5] نفسه، ص111.

[6] سهل يقع خارج جزائر بني مزغنة، يبلغ طوله خمسة وأربعين ميلا وعرضه ستة وثلاثين ميلا، يتميز بالمحاصيل الكثيرة من القمح الجيد النوعية. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص37.

[7] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص111. بينما ذكر يحي ابن خلدون أن أبا حمو هو من قاد الجيش لمواجهة منصور بن خلوف اليابابي. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص75.

[8] نفسه،ج2، صص75-76.

[9] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص140.

[10] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص140. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص170.

الأراضي المرينية، مستهدفا ونزمار بن عريف ومحمد بن زكراز[1] حيث استهدف جبل دبدو وقرية تابريديا وتاوريرت وتازا[2].

بعد سبع سنوات من السلم، اندلعت المواجهات العسكرية الزيانية المرينية مجددا، فقد جهز السلطان المريني أبو فارس عبد العزيز[3] جيشا وتوجه به إلى تلمسان، في حين حمل أبو حمو ما خف وزنه وغلا ثمنه وخرج إلى الصحراء، وبعد رجوع قبائل المعقل لطاعته وخلعهم طاعة المرينيين عاد إلى التل متوجها لتلمسان، فتواجه مع الوزير المريني أبي بكر بن غازي بن الكاس في جبل بني يزناسن[4]، وتوجه إلى دبدو وهجم عليه، وأرسل ملك المغرب وزيره لمواجهة أبي حمو، فتواجها في بلحني وانسحب الوزير من المعركة[5]، وتحرك المرينيون إلى أبي حمو وتواجه معهم في معركة خاسرة[6]، وتكررت هزيمته معهم سنة 774هـ/1373م بعدما سرح عبد العزيز المريني جيشا لمواجهته[7].

جدول إحصائي بعدد المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع المرينيين:

الأمير	عدد المواجهات
يغمراسن	11
أبو تاشفين الأول	3
أبو سعيد وأبو ثابت	6
أبو حمو موسى الثاني	37

[1] عبد الرحمن ابن خلدون،المصدر السابق،ج7، ص170.

[2] يحي ابن خلدون،المصدر السابق،ج2، ص149.

[3] الحاكم السابع عشر للدولة المرينية، حكم بين 767-774هـ/1366-1372م.

[4] يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص233.

[5] نفسه، ج2، ص234.

[6] نفسه، ج2، ص244.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص178.

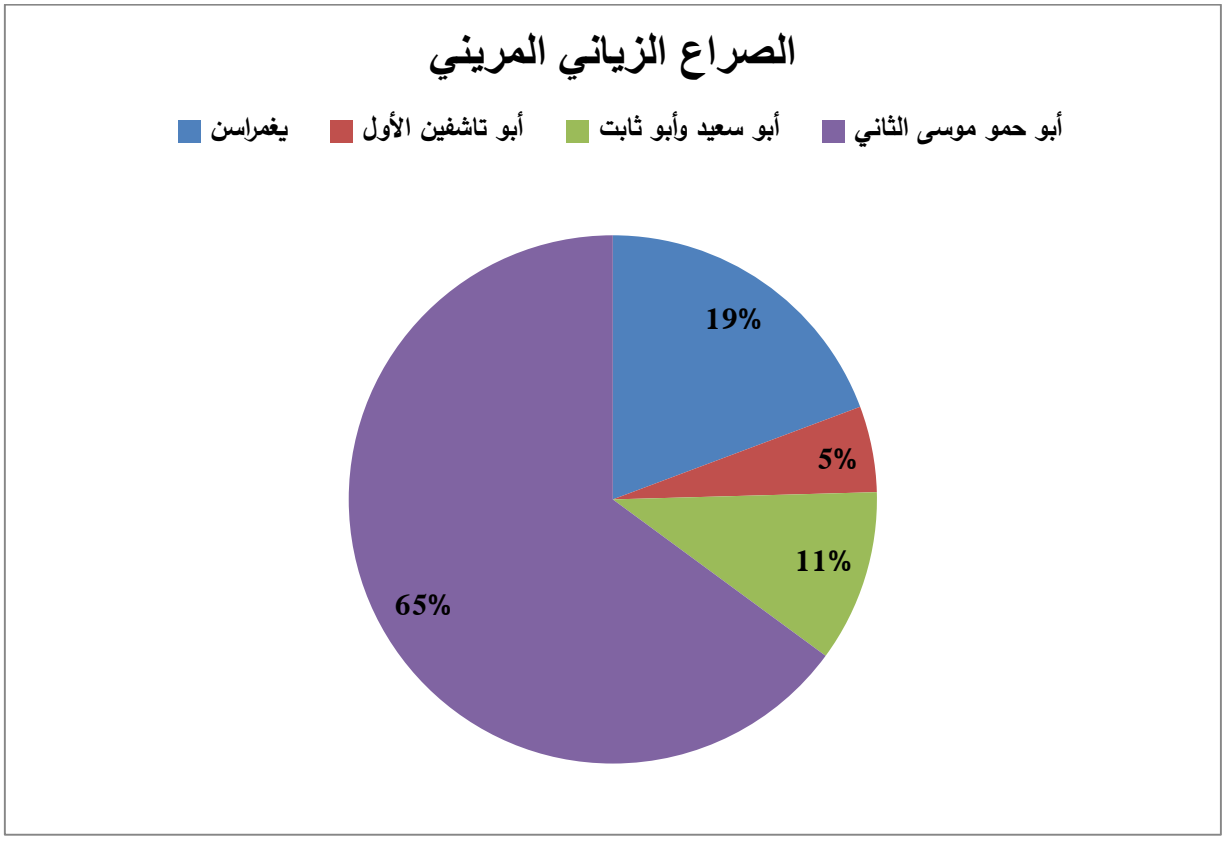

الحدود الفاصلة لتردد المواجهات العسكرية بين الزيانيين والمرينيين:

القرن	عدد المواجهات	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى
القرن السابع	11	شهر	أربع سنوات	ثمانية سنوات
القرن الثامن	46	أقل من شهر	ستة سنوات	تسع سنوات

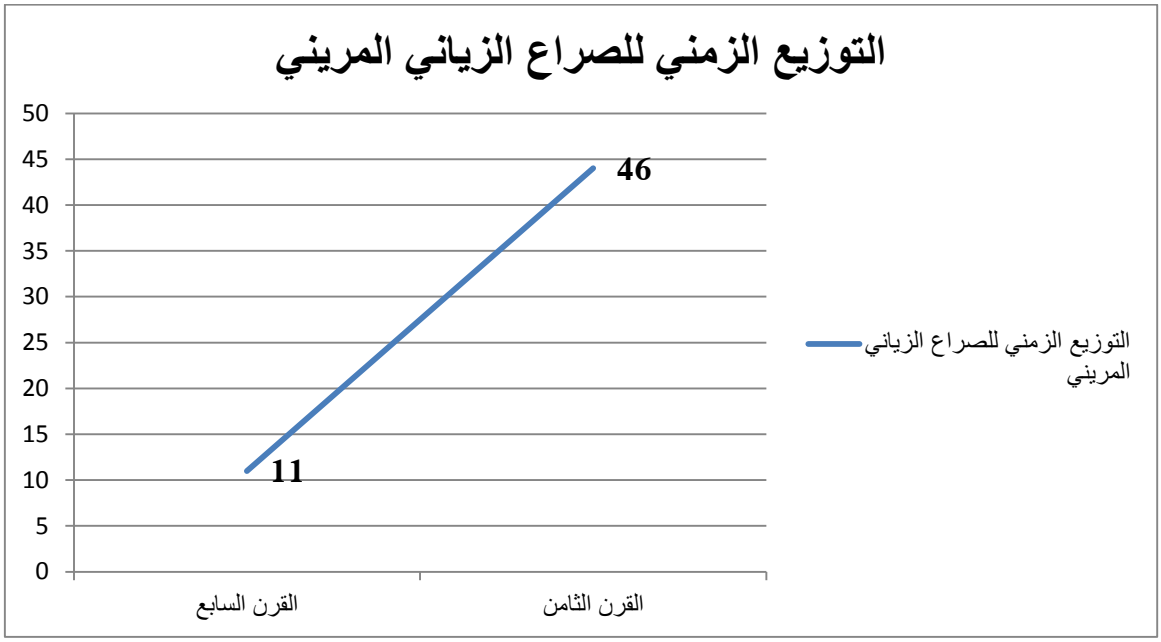

جدول المواجهات الزيانية المرينية:

المجال	السنة	المصدر والصفحة
وادي إيسلي الأولى (وجدة)	647هـ	ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ص65-66. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7،ص112.ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص76.
أبو سليط	655هـ	ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص83. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص112.
سجلماسة	655هـ	ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص83. روض القرطاس، ص296.
كلدامان	657هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص112. ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص89.
تافرسيت	657هـ	ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص89.
سجلماسة	662هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص114.
ثغور المغرب	665هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص238.
وادي تلاغ	666هـ	ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص305.عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، صص238-239.ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ص66. الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،ج3، ص25.

وادي ايسلي	670هـ	ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص128. روض القرطاس، ص310. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص115.
حصن تاونت	675هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص245.
خرزونة	680هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص283. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص336-337.
أحواز تلمسان	680هـ	ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص406. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص209.
جاجرت(بلاد المرينيين)	722هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص240.
تاوريرت	731هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص242.
تاوريرت	733هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص147.
وادي ورك	750هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7،ص157. يحي ابن خلدون، بغية الرواد ،ج1، ص260.
السرسو (بلاد وانشريس)	751هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص158.
تيعزيزن(الشلف)	751هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص159. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1،ص261-262.
الجزائر	752هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص160.
أنكاد(وجدة)	753هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص161. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص263-264.
اغيل ان توفلين (وادي شلف)	753هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1،ص264-265. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص154-155.
ميلة	759هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص25. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص20.
جبل بني ثابت	759هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص25. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص20.

بنو وزان(بني ورار عند يحيى)	759هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص25-26. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص20.
وادي اصطفصيف	760هـ	يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، صص 23-24.
تيط وشقوف(قرب تلمسان)	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص45.
قنطرة وهران	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص45.يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص24.
تلمسان	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص46. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص24-25.
وهران	760هـ	يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص47.
وجدة	760هـ	يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص48.مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص60.
تنس	760هـ	يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص49.
جبل وانشريس	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص77-78.يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص55.
المدية	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص79.يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2،ص55.
مليانة	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص85.يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص56.
الجزائر	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص85-86-87.يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص56.
الجزائر	760هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص100.يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص56.
تاوريرت	761هـ	يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص63.
جبل واشيلاس	761هـ	يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص63.
حصن تاوريرت	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص104.

حصن أوطاط	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص104.يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص73. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص167.
تامنصّرت	761هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص73.
ثنية تاغروطت(قرب فاس)	761هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص73.
حصن أجرسيف	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص104.يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص73. عبد الرحمن ابن خلدون،العبر،ج7، ص167.
بلاد ملوية	761هـ	عبد الرحمن ابن خلدون،العبر، ج7، ص167.
حصن أرجّو	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص104.يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص73.
متيجة	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص111.يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص75.
تاوريرت	761هـ	يحي ابن خلدون،بغية الرواد،ج2، ص74.
وهران	762هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص138.يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص87.
وادي مينة	765هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص140.
جبل دبدو	766هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص149.عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، صص171.
قرية تابريديا	766هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص149.
تاوريرت	766هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص149.
أجرسيف	766هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص171.
جبل بني يزناسن	772هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص233.
دبدو	772هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص234.
بلّحني	772هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص234.
أوماكّرا	773هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص244.

2- الحروب مع الحفصيين:

الصراع العبد الوادي الحفصي كان مبكرا، فقد سعى أبو زكريا لوأد أي مشروع سياسي يقوم في المغرب الأوسط، والأكثر من ذلك كان يتحين الفرصة لينقض عليه[1]، فقد كان يرى في يغمراسن حاجزا لتحقيق مشروعه السياسي خصوصا أن هذا الأخير جمعته علاقات طيبة مع الموحدين آنذاك رغم انفصاله عنهم[2] . وعليه ففي سنة 640هـ/1243م تحرك إلى تلمسان بجيشه، ورغم خروج يغمراسن منها إلا أنه لم يجد من يوليه أمور تلمسان، وليس ذلك خوفا من يغمراسن، وإنما خشية من انقلاب الرعية على أي والي جديد لأن يغمراسن قد استمال ساكنة تلمسان وكسب قلوبهم[3] وانتهت وقائع المعركة بالتفاوض والجنوح لصلح[4]، كان ثمنه اعترافه بسلطة الحفصيين على المغرب الأوسط[5] وتسخير المنبر التلمساني للدعوة الحفصية[6] وبعد وفاة يغمراسن، عمل ابنه وخليفته في الحكم أبو سعيد عثمان[7] بما أوصاه به والده، فآثر عقد السلم مع المرينيين، وركز حملاته وغاراته على الجانب الشرقي للمغرب الأوسط، فكان مضطرا لخلع الدعوة الحفصية[8] وكانت أولى غاراته على بجاية سنة 686هـ/1287م[9]، غير أن غارات المرينيين في الجهة الغربية حتمت عليه توقيف حملاته ضد الحفصيين وتركيز جهوده للدفاع عن حدود دولته من الجهة الغربية، ولهذا فلم تتجاوز حملاته العسكرية الحملة الواحدة.

---

[1] لطيفة بشاري بن عميرة، علاقة بني عبد الواد(بنو زيان،تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن 7-10هـ/13-16م، مجلة أفكار وآفاق، العدد 3، جامعة الجزائر 2، 2012،ص61.

[2] محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، صص141-142.

[3] حسين تواتي، حكامة التسيير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017-2018، ص106.

[4] محمد العروسي المطوي، نفسه، ص144.

[5] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، ص787. واحتفظ لنا أبو بكر بن خطاب بعدة رسائل ديوانية تثبت ذلك. مؤلف مجهول، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب، دراسة وتحقيق أحمد عزاوي، مطبعة الرباط نيت، الرباط، 2008، ص130، 136، 138، 139.

[6] صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص102.

[7] الحاكم الثاني للدولة العبد الوادية أو الزيانية، حكم بين 681-703هـ/1282-1303م. توفي خلال الحصار المريني على تلمسان. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص122 وما بعدها.

[8] عبيد بوداود، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصيةالمرينية، مجلة عصور، عدد 6-7، جامعة وهران 1، 2005، ص192.

[9] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص230. محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص129.

وسار ابنه على نفس السياسة، حيث عاود أبو حمو موسى الأول الهجوم على بجاية سنة 714هـ/1314م، وذلك بعد تلقيه رسائل من أبي يحيى الحفصي[1]، الذي خرج على أخيه وسيطر على قسنطينة وفشل في أخذ بجاية[2]، فأرسل أربعة جيوش لحصارها وشن الغارات على أحوازها، فجيش بقيادة ابن عمه مسعود بن أبي عامر برهوم، الذي كانت وجهته إلى حصار بجاية، وثلاث جيوش أخرى لشن الغارات على أحواز بجاية، بقيادة كل من ابن عمه محمد بن يوسف ومولاه العلج مسامح، وموسى بن علي الكردي[3]، وكانت قسنطينة في طريقهم، ف"نازلوها أياما"[4]، كما شنوا غارات على جبل بني ثابت المطل على هذه المدينة، وواصلوا طريقهم وشنوا غارات على بني باورار[5]، وتمكن من توسيع نفوذه بالصحراء الشرقية على حساب الحفصيين[6].

واصل أبو تاشفين الأول سلسلة حملاته العسكرية على بجاية، حيث خرج إليها بجيشه وحاصرها[7]، وعاد إلى تلمسان بعدما عجز عن اقتحامها لحصانتها[8]، وعاود عليها الكرّة سنة 720هـ/1320م، فأرسل إليها الجيوش وتمكنوا من شن عدة غارات على ضواحيها[9]، وبعدها بسنة أرسل جيشا بقيادة موسى بن علي الكردي الذي ضرب حصارا على قسنطينة انتهى بعودته لتلمسان نتيجة حصانتها المنيعة[10]، ليعود إلى بجاية بعد سنة نفس القائد الذي "دوّخ نواحي بجاية ونازلها أياما وامتنعت عليه، فأفرج عنها"[11]، ووفد سنة 723هـ/1323م حمزة بن عمر بن أبي الليل كبير بدو إفريقية وعبد الواحد بن محمد اللحياني على أبي تاشفين يحثانه على غزو الحفصيين، فأرسل جيشا تحت قيادة موسى بن علي الكردي، وتواجه مع الحفصيين في نواحي

---

[1] لقب باللحياني، ولد سنة 652هـ/1254م، وهو الحاكم الحادي عشر للدولة الحفصية، حكم بين 711-717هـ/1311-1317م. ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، صص85-87. ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968 صص159-160.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ،ج7، ص137.

[3] نفسه، ج7، ص137.

[4] نفسه، ج7، ص137.

[5] نفسه، ج7، ص138..

[6] رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص384.

[7] عبد الرحمن بن خلدون، نفسه، ج7، ص143.

[8] نفسه، ج7، ص143.

[9] نفسه، ج7، ص143.

[10] نفسه، ج7، ص143.

[11] نفسه، ج7، ص143. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص240.

مرماجنة[1] وانهزموا[2]، وعاود الكرّة على بجاية سنة 724هـ/1324م وتواجهوا مع الحاجب أبي عبد الله ابن سيد الناس بخارج جبيرة وهزموه[3].

ووصل وفد آخر لتلمسان يضم مشيخة سليم ممثلة في زعيميهما حمزة بن عمر بن أبي الليل وطالب بن مهلهل، ومحمد بن مسكين الحكيمي ليقنعوا أبو تاشفين على غزو المجالات الحفصية، وكان لهم ذلك، حيث أرفق أبو تاشفين معهم جيشا بقيادة موسى بن علي الكردي، وتواجه مع أبي يحي الحفصي الذي سابقه إلى قسنطينة وتحصن بها، فلم يتمكنوا من اقتحامها بعد حصارها لمدة خمسة عشر يوما[4]، ليعاود عليها الكرة سنة 726هـ/1326م، وتوغل إلى بجاية وحاصرها[5].

بعد اشتداد الحصار على ساكنة بجاية، استنجدوا بالسلطان الحفصي أبي يحي، فأرسل جيشا بقيادة الحاجب أبي عبد الله محمد بن سيد الناس، واقتتل الجيشان سنة 727هـ/1327م بالأربعاء قرب الوادي الكبير، وانهزم الحفصيون[6]، وعاود الكرّة بإرساله جيشا بقيادة يحي بن موسى السنوسي[7] الذي شن غارات على نواحي قسنطينة وبونة[8].

ووفد عليه أيضا حمزة بن عمر وعبد الحق بن عثمان يحفزانه على أخذ بجاية، فأرسل معهم جيشا بقيادة يحي بن موسى[9]، وتواجهوا مع الجيش الحفصي في الواد الشارف بنواحي بلاد هوارة، في معركة انهزم فيها الحفصيون[10]، وفي السنة نفسها تواطأ بعض أهل بجاية مع أبي تاشفين لتمكينه من السيطرة عليها واغتنام فرصة

---

[1] مدينة كبيرة، تضم عدة آثار تدل على قدم تشييدها، تشرف على سهول فسيحة تنتج كميات كبيرة من الزرع ومختلف المنتوجات. مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، ص162.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ،ج7، ص143. يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص240.

[3] يحي ابن خلدون، نفسه،ج1، ص240.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص144. يحي بن خلدون، نفسه،ج1، ص241.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص144.

[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص241.

[7] في بغية الرواد: يحي بن موسى الجمّي. يحي ابن خلدون، نفسه،ج1، ص241.

[8] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص144-145. يحي ابن خلدون، نفسه،ج1، ص241.

[9] أصله من بني سنوس، نشأ في خدمة البلاط الزياني، أسند له أبو حمو الأول في الحصار المريني على تلمسان مهمة توزيع الطعام على حراس الأسوار، وولاه أبو تاشفين الأول حكم منطقة شلف، ليوليه بعدها قيادة عدة حملات عسكرية ضد الحفصيين، وبعد حصار أبي الحسن المريني لتلمسان راسله ودخل في طاعته إلى وفاته. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، صص151-152.

[10] نفسه، ج7، ص145. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2002، صص152-153. يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص242.

غياب الحاجب بن سيد الناس عنها، غير أن هذا الأخير وصلته معلومات بتحرك أبي تاشفين وخيانة من داخل بجاية، فرجع في نفس اليوم الذي وصل فيه أبو تاشفين وقتل العناصر المتواطئة وحصن المدينة، وهو ما حال بينه وبين أبي تاشفين لاقتحامها، ليرجع إلى تلمسان تاركا قائده عيسى بن مزروع الياتكتني في تامزيزدكت يراوحها بالغارات[1].

بعد انقطاع الدولة الزيانية سنة 753هـ/1352م عقب سيطرة أبي عنان المريني على تلمسان، عادت سنة 759هـ/1358م تحت حكم الزيانيين مجددا، بعد إحيائها على يد أبي حمو موسى الثاني، الذي كان مختفيا بتونس، حتى خرج سنة 759هـ/1358م في جموعه من العرب، حيث سيطر بداية على مدينة نفطة[2] الداخلة تحت حكم الحفصيين "فقاتلها قتالا شديدا، فأذاق أهلها وبالا وتنكيدا"[3]، ليواصل تقدمه إلى بجاية سنة 760هـ/1359م، حيث شن عدة غارات على جبل عياض[4].

بعد ثلاث سنوات تجددت الحروب بين أبي حمو موسى الثاني مع الحفصيين، وذلك بسبب خرقهم لمعاهدة السلم التي عقدها معهم، والتي كان من بين شروطها عدم إيواء فلّ من مغراوة كانوا مطاردين من طرف أبي حمو، فحدث وأن الأمير إبراهيم بن السلطان الحفصي افتك بجاية التي كانت تحت حكم المرينيين، وسيطر أبو حمو على الجزائر، فهرب فل مغراوة الذين كانوا بها إلى بجاية فآواهم، رافضا إجابة أبي حمو بل " أساء عذره إجابة"، فسيّر قائده عمر بن موسى المطهري في جيش للسيطرة على تدلس[5]، وحاول الحفصيون استرجاعها، فأخرج أبو حمو وزيره عبد الله بن مسلم للقيام بسلسلة حملات وغارات في الأراضي الحفصية، والتي توجت بسيطرته على مجالات حمزة وبني حسن، فضلا عن مجالات زواوة وأحوازها[6].

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص242. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص145.

[2] إحدى مدن بلاد الجريد، مبنية بالصخر، وهي عامرة بالساكنة، بها مساجد وحمامات وأسواق، ويكثر بها النخيل والبساتين. الحميري، المصدر السابق، ص578.

[3] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص23.

[4] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص21.

[5] نفسه، ج2، ص99-100.

[6] نفسه، ج2، ص100.

بعد انعقاد المصاهرة بين أبي حمو الثاني وأمير بجاية أبي عبد الله وتنازله عن تدلس[1]، توثقت العلاقة بينهما، غير أنه قتل سنة 767هـ/1365م على يد ابن عمه أبي العباس حاكم قسنطينة، فاعتزم الأخذ بثأر صهره وتحرك إلى بجاية، إلا أنه لم يتمكن منها[2].

عرفت الدولة الزيانية في القرن التاسع تراجعا كبيرا، ففي سنة 827هـ/1424هـ جهز أبو فارس حملة للسيطرة على تلمسان بقيادة ابنه أبي عبد الله محمد المعتمد[3] كان من أبرز مميزاته التدخل الحفصي والمريني في شؤون الحكم وتعيينه أمير الدولة بقوة السيف، فكان من يريد الوصول للحكم عليه أن يسترضي أحدهما، وهو ما كان سنة 831هـ/1428م حيث لجأ عبد الواحد[4] إلى الأمير الحفصي أبي فارس[5] ليثبته على سدة الحكم في تلمسان، فأرسل معهم قائده جا الخير بجيش مني بهزيمة خارج تلمسان[6]، وعادا إليها مرة أخرى وتمكن من تثبيته في الحكم بعدما فرّ حاكمها محمد بن الحمراء[7]، ليتدخلوا فيها مرة أخرى سنة 833هـ/1429م عقب مقتل عبد الواحد[8].

جدول المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع الدولة الحفصية:

الأمير	عدد المواجهات
يغمراسن	1
عثمان بن يغمراسن	1
أبو حمو موسى الأول	6

[1] مدينة ساحلية بين بجاية وجزائر بني مزغنة، لها سور حصين، المستوى المعيشي مرتفع بها حيث أسعار الأطعمة ومختلف الفواكه والمواشي رخيصة. الحميري، المصدر السابق، ص132.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص172.

[3] تقي الدين المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ص101.

[4] حكم الدولة الزيانية مرتين: الأولى من 814-827هـ/1412-1424م والثانية من 831-833هـ/1428-1430م. التنسي، المصدر السابق، صص235-246.

[5] الحاكم العشرون للدولة الحفصية، حكم بين 796-837هـ/1394-1434م. ابن الشماع، المصدر السابق، صص112-119.

[6] محمد بن عبد الله التنسي، نفسه، صص243-244. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضوي، المكتبة العتيقة، ط2، تونس،2002، ص128.

[7] حكم الدولة الزيانية مرتين: الأولى بين 827-831هـ/1424-1428م والثانية بين 833-834هـ/1430-1431.محمد بن عبد الله التنسي، نفسه، صص 241-247.

[8] نفسه، ص245. الزركشي، نفسه، ص129.

أبو تاشفين الأول	16
أبو حمو موسى الثاني	9
أبو مالك عبد الواحد	1
ابن الحمراء	2

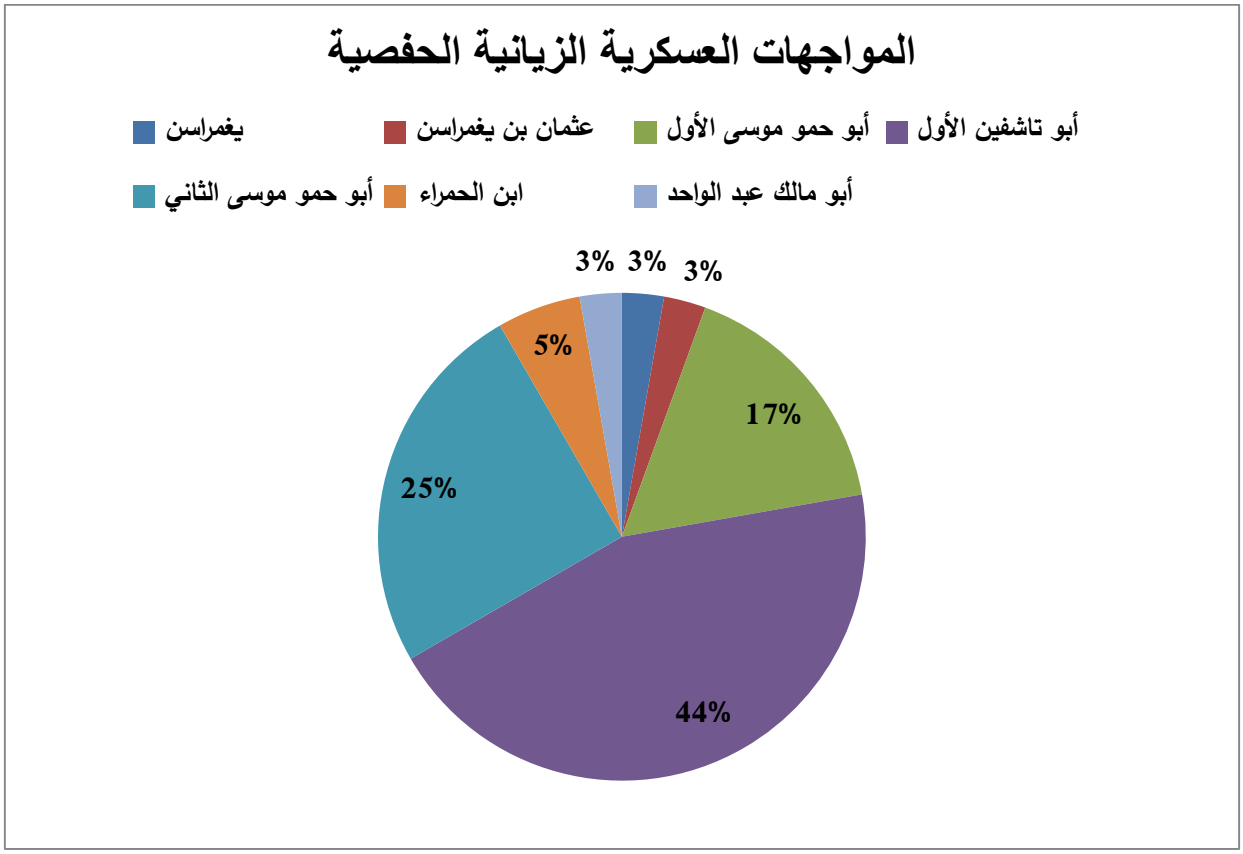

الحدود الفاصلة لتردد المواجهات العسكرية بين الزيانيين والحفصيين:

القرن	عدد الحروب	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى
القرن السابع	1			
القرن الثامن	31	ثلاثة أشهر	خمس سنوات	تسعة وعشرون سنة
القرن التاسع	3			

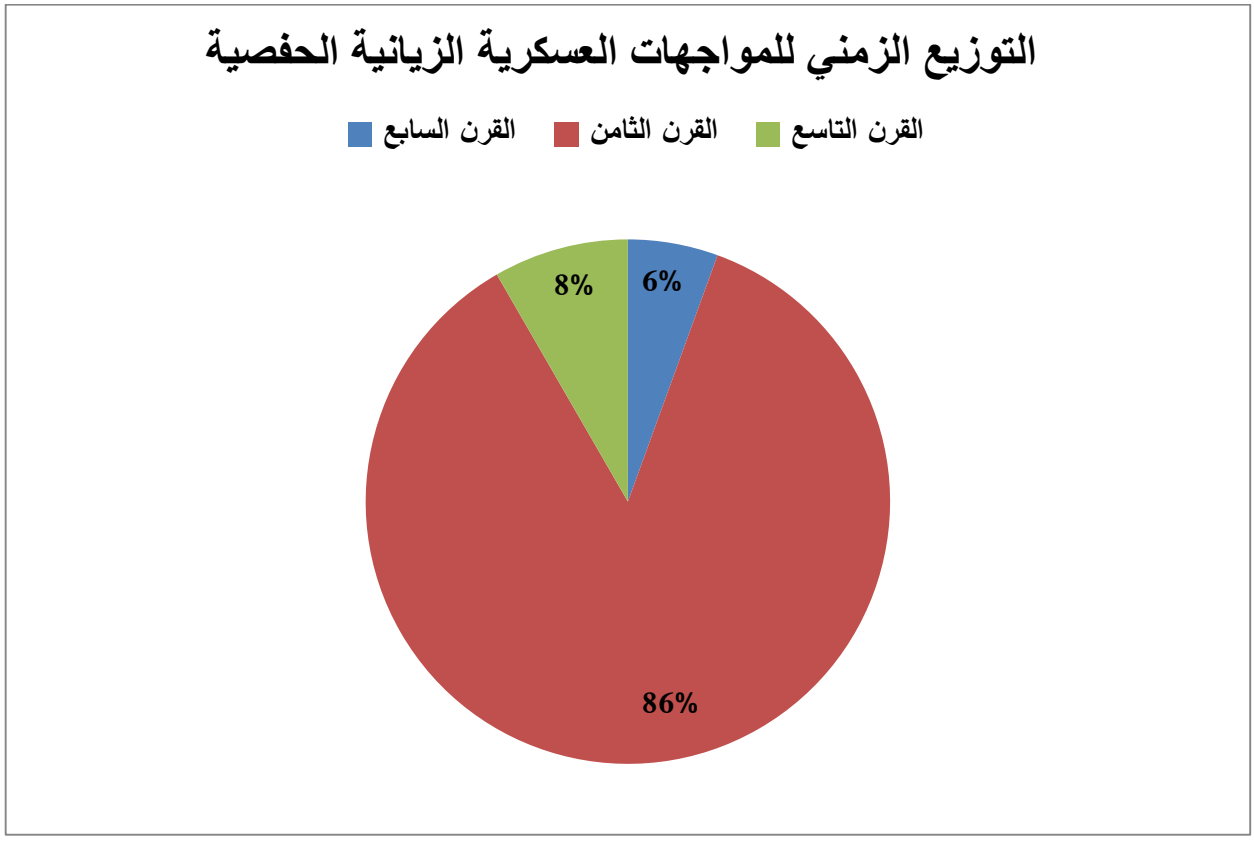

جدول المواجهات العسكرية الزيانية الحفصية:

المجال	السنة	المصدر والصفحة
تلمسان	639هـ	التنسي، نظم الدر والعقيان، ص117.
بجاية	686هـ	التنسي، نظم الدر والعقيان، ص129. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص230.
بجاية	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص137.
بجاية وأحوازها	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص137.
بجاية وأحوازها	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص137.
بجاية وقسنطينة	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص137.
جبل بني ثابت(قسنطينة)	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص138.
بنو باورار	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص138.

بجاية	719هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص143.
بجاية	720هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص143.
قسنطينة	721هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص143.
نواحي بجاية	722هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص143. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص240.
مرماجنة	723هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص143. يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص240.
بجاية	724هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص143. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص240.
تونس	725هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص144.
قسنطينة	725هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص144.
قسنطينة ونواحيها	726هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص144. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص241.
بجاية	726هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص144.
تامزيزدكت(بجاية)	727هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص144. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص241.
نواحي قسنطينة وبونة	727هـ(728 هـ عند يحي)	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص144-145.يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص241.
بجاية	729هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص145.
الدياس(بلاد هوارة)	729هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص145. العمري، مسالك الأبصار،ج4، ص152-153.
بجاية	729هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص242.
الواد الشارف(تونس)	730هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص242.
نفطة	759هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص23

جبل عياض(قرب بجاية)	760هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص21.
تدلس	763هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص99-100. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص207.
حمزة	763هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص100.
بنو حسن	763هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص100
تاغزوت	763هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص100
زواوة ونواحيها	763هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص100
تدلس	765هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص171.
بجاية	767هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص170-171. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص172.
تلمسان	827هـ	المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج7، ص101.
تلمسان	831هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص244.
خارج تلمسان	831هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص244.

نستنتج مما سبق أن السلطة الزيانية عانت بسبب موقعها في الوسط من أطماع المرينيين غربا والحفصيين شرقا، ولم يكن الصراع يهدأ على جبهة إلا ويحتدم بالأخرى، مما فرض على السلطة الاستعداد العسكري الدائم للدفاع عن العاصمة والمدن التابعة للدولة، وإذا حق لنا ترجيح شدة الصراع فإننا لن نتردد في اعتبار الجبهة الغربية كانت مصدر متاعب جمة وهو ما اكتوى بنارها مؤسس الدولة يغمراسن مما جعله يقيم الوضع ويضع سبل استراتيجية حربية لخلفه بتوصيته على تركيز الحملات على الجبهة الشرقية ومناشدة السلم مع المرينيين متى سمحت الظروف بذلك، مع اللجوء إلى أسلوب التحصن بالأسوار بدل المواجهة المباشرة بحكم النقص العددي للجيش الزياني.

ثانيا: المواجهات العسكرية الداخلية:

1- القبائل العربية:

خاضت الدولة الزيانية العديد من المعارك والغارات ضد القبائل العربية، حيث تنوعت أسباب هذه الصراعات بين حملات تأديبية نظرا لتفشي ظاهرة الخروج عن السلطة، فكانت السلطة الزيانية مضطرة لتقليم أظافرهم بسبب المؤامرات التي تحيكها ضدها[1] وبين غارات تكون بدافع اقتصادي[2] فيما اصطلح عليه بنمط الإنتاج الحربي، ففي سنة 696هـ/1297م غزا أبو سعيد عثمان بن يغمراسن العرب، حيث خرج إليهم في الصحراء بجبل حنش معقلهم، فهزمهم وشردهم وعاد إلى تلمسان[3].

وأثناء الحصار المريني الطويل على تلمسان خرجت معظم القبائل العربية عن طاعة بني عبد الواد، فما كان من أبي زيان بن عثمان[4] إلا أن شن حملات عسكرية لاستعادة المناطق تحت طاعتهم، وفي هذا الإطار خرج إلى السرسو لمواجهة سويد والديالم وبني يعقوب الذين كانوا يسيطرون عليه " فأجفلوا أمامه" وتركوا المنطقة[5].

كما خرج أبو حمو موسى الأول سنة 712هـ/1312م إلى متيجة وهزم قبيلة مليكش وأعادها إلى طاعته[6]، ليواصل خليفته أبو تاشفين الأول في الخط نفسه بمواجهته لهم سنة 719هـ/1319م، أين أغار على قبائل رياح بمضاربهم في وادي الجنان قرب بلاد حمزة[7].

وفي إطار حركة إحياء الدولة بعد اختلال معسكر أبي الحسن المريني، عمد الأمير أبو ثابت إلى معقل قبيلة حصين " فاقتحم عليهم الجبل" ودخلوا في طاعته[8]، وواصل توغله إلى بلاد حمزة وأدمج قبائلها العربية في جيشه[9]،

---

[1] أمين كرطالي، سلطة شيوخ العرب بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2017-2018، ص142.

[2] بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 2013، ص252،250.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص231. محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص130.

[4] الحاكم الثالث للدولة العبد الوادية أو الزيانية، حكم بين 703-707هـ/1303-1307م.التنسي، نفسه، ص131.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص130.

[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص236. وهي ليست سيطرة زناتية ذات أبعاد قبلية كما ذكر أحد الباحثين، بل هي سيطرة بدوافع سلطوية منحصرة في بني عبد الواد. بوعقادة عبد القادر، مقاربات في تاريخ المغرب الأوسط، دار الخلدونية، الجزائر، 2019، صص87-88.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص143. يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص239.

[8] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص159.

[9] نفسه، ج7، ص159.

وبعد هزيمتهم على يد أبي عنان، ارتأى أبو ثابت الخروج من تلمسان والتوجه إلى الجزائر، غير أن قبيلة الثعالبة دخلت في طاعة المرينيين ورفضت استقباله " فأخذ الثعالبة في معقلهم أخذا وبيلا"[1].

في إطار حركة أبي حمو موسى الثاني لإحياء الدولة الزيانية سنة 759هـ/1358م قام بسلسلة من المعارك والغارات للوصول إلى تلمسان، حيث أرسل سرية إلى وادي ملال للإغارة على قبيلة أولاد عريف من قبيلة سويد فـ " قصد حيث هم مستقرون، وصبحهم صباحا وهم لا يشعرون"[2]، وفي خروجه لمطاردة محمد بن عثمان بن أبي تاشفين سنة 761هـ/1360م واجه قبيلة سويد بالسرسو أين أرسل سرية لمواجهة أبي بكر بن عريف وهزمه، فيما توجه هو إلى جبل الوانشريس لمواجهة محمد بن عريف، لأن هذا الأخير كان قد اتفق مع أبي بكر في يوم محدد للالتفاف حول معسكر أبي حمو، إلا أنه تفطن لخطتهما وتمكن من إحباطها[3].

وفي سنة 769هـ/1367م جدد الكرّة على العرب، حيث هاجمهم بجبل تيطري غير أن جموع العرب التي كانت في جيشه خانته وانقلبت عليه " لأمر أبرم ليلا لم يشعر الناس به" فكانت الهزيمة من نصيب أبي حمو[4]، ولم تكن هذه الحالة الوحيدة التي تعرض فيها إلى خيانة العرب، ففي سنة 773هـ/1371م أرسلت إليه قبيلة زغبة تطلب الاجتماع به للدخول في طاعته، إلا أنه " نمى إلى علمه الشريف ما أضمروه من الغدر" ففاجأهم وهزمهم بذراع الوسط ولاحق فلولهم الهاربة إلى جبل جزول وهزمها[5].

كما جمع خالد بن عامر[6] مختلف القبائل المعارضة لأبي حمو والمنضوية تحت الدعوة المرينية، سنة 774هـ/1372م، وتوجه إلى تل بني راشد[7] في أحواز تلمسان لمهاجمته، فسير أبو حمو ابنه أبا تاشفين للتصدي لهم، وهو ما نجح فيه، حيث "جلاهم عن القطر بأسره"[8] كما خرجت عن طاعته قبيلة بني عامر ودخلوا في طاعة

---

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص264.

[2] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص31. يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص21. محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص158.

[3] يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص75.

[4] نفسه، ج2، ص195.

[5] نفسه، ج2، ص242.

[6] شيخ قبيلة بني عامر، قتل أخيه شعيب نكاية بسبب تقربه من أبي حمو الثاني. نفسه، ج2، ص127.

[7] إقليم شاسع، يمتد على طول خمسين ميلا وعرض خمسة وعشرين ميلا، جهته الجنوبية يشكل معظمها سهول زراعية تكثر بها زراعة الكروم، أما شماله فمعظمه جبال تضم قرية هوارة ومعسكر. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص26.

[8] يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص261.

المرينيين فسير ابنه أبا تاشفين لمواجهتهم في قلعة هوارة وتمكن من هزيمتهم[1]، ولاحقهم بملاكو " وحمل عليهم حملة واحدة"[2]، كما خرج إليهم أبو حمو سنة 778هـ/1376 وامتنعوا بجبال حصين إلا أنه هزمهم[3]، وواصل توغله إلى حصن متيجة " وأجفلت الثعالبة فلحقوا برؤوس الجبال"[4].

ورغم ضعف الزيانيين وتراجع صراعاتهم مع العرب في القرن التاسع، إلا أن اعتلاء أبي مالك عبد الواحد إمارة الدولة سنة 814هـ/1411م عرف تجدد الصراع، حيث " غزا ملوكهم في عقر دارهم"[5]. كما واصل المستعين صراعه معهم فقد أرسل ابنه المتوكل لاستعادة المناطق الخارجة عن الدولة إلى طاعتها، حيث خرج بجيشه "ومهد متيجة"[6].

جدول المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدول الزيانية مع القبائل العربية:

الأمير	عدد المواجهات العسكرية
عثمان بن يغمراسن	1
أبو زيان	1
أبو حمو موسى الأول	1
أبو تاشفين الأول	1
أبو سعيد وأبو ثابت	3
أبو حمو موسى الثاني	11
أبو مالك عبد الواحد	1
المستعين	1

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، صص 182-183.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق ،ج2، ص305.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص184.

[4] نفسه، ج7، ص185.

[5] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص236.

[6] نفسه، ص251.

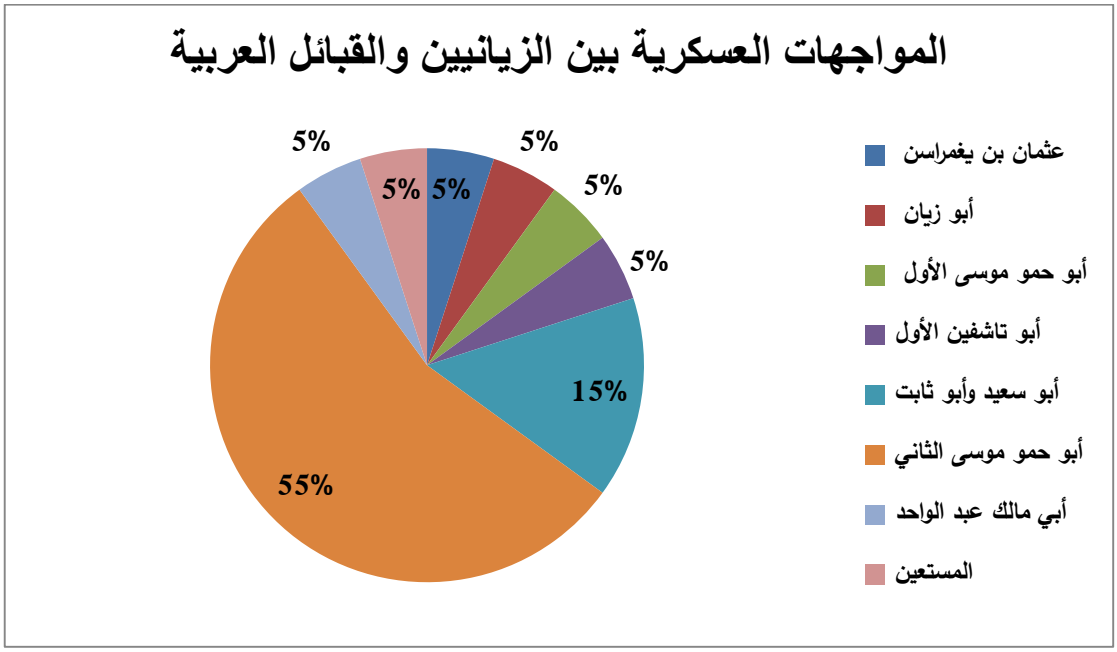

الحدود الفاصلة لتردد المواجهات العسكرية بين الزيانيين والقبائل العربية:

القرن	عدد الحروب	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى
القرن السابع	1			
القرن الثامن	17	شهر	ست سنوات	اثنان وثلاثون سنة
القرن التاسع	2			

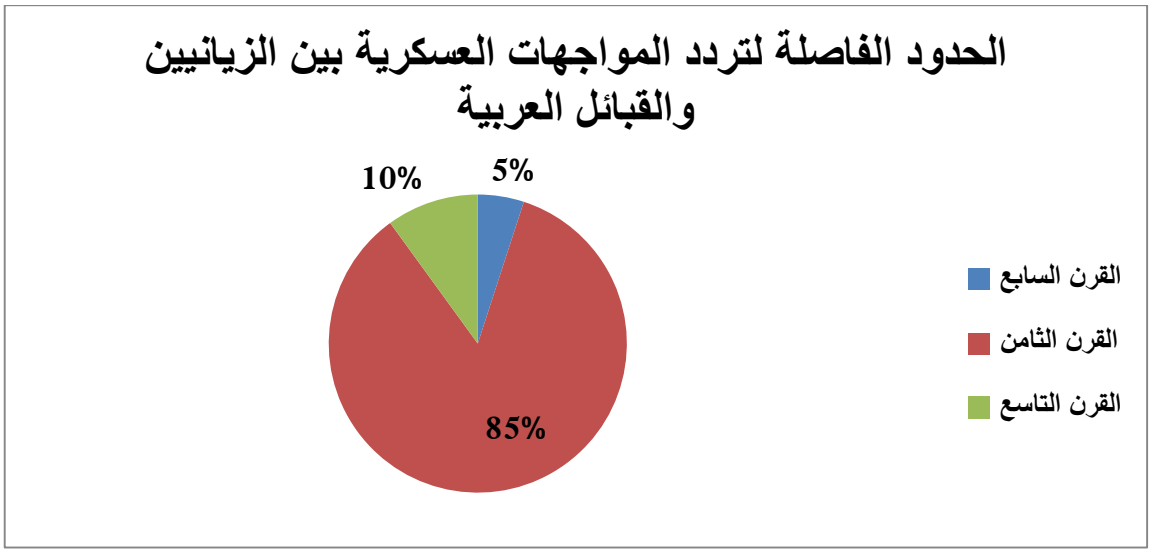

جدول المواجهات العسكرية بين الدولة الزيانية والقبائل العربية:

الخصم	المجال	السنة	المصدر والصفحة
العرب	تغالين	696هـ	التنسي، نظم الدر والعقيان، ص130. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص231. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص124.
العرب	السرسو	706هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص130.
مليكش	متيجة	712هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص236.
قبائل رياح	وادي الجنان(قريبة من بلاد حمزة)	719هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص143، يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص239.
حصين(العرب)	جبل حصين	751هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص159.
العرب	بلاد حمزة	751هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص159.
الثعالبة(عرب)	جبل بني أبي خليل(الجزائر)	753هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص264
أولاد عريف (العرب)	وادي ملّال	759هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص31. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص21. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص158.
العرب	ريغ	759هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص30.

العرب	وارجلاء	759هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص30
سويد	السرسو	761هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص75.
العرب	جبل تيطري	769هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص195.
زغبة	ذراع الوسط	773هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص242.
زغبة	جبل جزول	773هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص242.
بنو عامر	ملاتة-تل بني راشد-	774هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص261.
بنو عامر	قلعة هوارة	777هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص182.
بنو عامر	جبال حصين	778هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص184.
الثعالبة	حصن متيجة	778هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص185.
العرب	الجزائر	//	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص236.
العرب	متيجة	//	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص251.

2- القبائل البربرية:

الصراع الزياني مع القبائل البربرية كان على أشده منذ استقلال يغمراسن بتلمسان وتأسيسه للدولة، وتعود أسباب هذا الصراع لدوافع نفسية في المقام الأول بسبب ما نشأ من تنافس وضغينة كما يقول ابن خلدون " نفسوا عليه ما آتاه الله من العز، وكرمه به من الملك، فنابذوه العهد، وشاقوه الطاعة، وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة"[1]، وهو نفس الرأي الذي خرج به بروسلار[2] فضلا عن الدوافع الاقتصادية، ونتفق مع أحد الباحثين في قوله بأن هذه القبائل كانت تتعامل بنظرة مصلحية مرتبطة أشد الارتباط بالجانب المادي، بحكم أن سيطرة بني عبد الواد على أراضيهم سيضطرهم إلى دفع الضرائب فضلا عن فقدان أراضيهم الرعوية والزراعية ما يدخلهم في مصير مجهول بالانتقال للمناطق الصحراوية القاحلة[3]، وهو ما حتم عليه الدخول معهم في صراع عسكري.

واجه يغمراسن بني مطهر وبني راشد وتمكن من هزيمتهم[4]، وكان من شأن إغراء أبي زكريا[5] لرؤساء توجين ومغراوة بتنصيبهم كدويلات تابعة له حسب أحد الباحثين[6] لمنافسة يغمراسن أن يؤجج صراعه معهم، فبعد عودة أبي زكريا إلى تونس خرج إلى بني توجين وأولاد عباس وأولاد منديل " وجاس خلال ديارهم، وتوغل في بلادهم وغلبهم على الكثير من ممالكهم"[7].

وعقب انهزامه في معركة ايسلي توجه لبلاد بني توجين سنة 647هـ/1249م وشن عدة غارات على حصونهم، وأعاد عليهم الكرّة سنة 650هـ/1252م ونازل أحد حصونهم وهو حصن تافركينت[8]، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل " لم يزل بعدها يثير الغارات على بلادهم، ويجمع الكتائب على حصونهم"[9].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص107.

[2] شارل بروسلار، كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان، عربه وقدمه الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص17.

[3] عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2013-2014، ص100.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص106.

[5] حكم الدولة الحفصية بين 625-647هـ/1228-1249م. ابن الشماع، المصدر السابق، صص54-60.

[6] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص61.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص109.

[8] نفسه، ج7، ص117.

[9] نفسه، ج7، ص117.

وفي سنة 668هـ/1269م اغتنم فرصة الصراع داخل بيت بني منديل بعد مقتل محمد بن منديل على يد أخويه عابد وثابت، فاتفق يغمراسن مع عمر بن منديل على أن يمكنه من مدينة مليانة مقابل أن يسانده على رياسة بني منديل[1]، وهي سياسات كان عليه اتخاذها لأن بني عبد الواد لم يكونوا بذلك التفوق العددي الذي يمكنهم من مواجهة المرينيين ومشاريعهم التوسعية. وفي سنة 672هـ/1273م هجم على تنس وهي أحد معاقل قبيلة مغراوة[2]، بما تمثله من ثقل تجاري خصوصا أنها تتوفر على ميناء مواجه للموانئ الأندلسية، وقد أمكنه منها ثابت مقابل اثني عشر ألف دينار[3].

وعقب تحالف بني توجين مع المرينيين في معركة خرزوزة التي انهزم فيها يغمراسن سنة 680هـ/1281م، خرج إلى بلادهم وانتقم منهم بشنه عدة غارات عليهم[4]، كما جدد ضرباته العسكرية على تنس بشنه غارة عليها سنة 681هـ/1282م[5].

تواصل الصراع العبد الوادي مع القبائل البربرية بعد وفاة يغمراسن، إذ تفيدنا إحدى رسائل أبي بكر بن خطاب عن وقوع معركة بين الجيش الزياني وقبيلة توجين بقيادة محمد بن عبد القوي، والتي انجلت عن هزيمته أمام أبي سعيد عثمان[6]. كما واصلت مغراوة بمختلف بطونها مواصلة شق عصا الطاعة عن السلطة الزيانية، فقد انفصل زيرم بن حماد[7] بقصر برشك، وهو ما استدعى الأمير الجديد عثمان بن يغمراسن إلى إخضاعه، فزحف إليه سنة 684هـ/1285م إلا أن زيرم لما لم يتمكن من الخروج إليه ومواجهته، فإنه امتنع بحصنه[8].

كما جدد عليهم الكرة في معقلهم بمازونة سنة 686هـ/1287م[9]، حيث سيطر عليها وواصل توغله إلى تنس، التي نزل له عنها ثابت بن منديل أمير مغراوة[10]، ليتوجه في رمضان من نفس السنة إلى حصن تافركينت

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص89.

[2] نفسه، ج7، ص118.

[3] عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والغرب الإسلامي، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص32.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه ،ج7، ص117.

[5] نفسه، ج7، ص118.

[6] مؤلف مجهول، فصل الخطاب، صص114-115.

[7] اسمه زيري وتصرفت فيه العامة فتحول إلى زيرم، كان من شيوخ قبائل مجالات برشك، دخل تحت طاعة يغمراسن وسرعان ما خرج عنهم سنة 683هـ إغتيل على يد ابني الإمام بسبب قتله لوالدهما . عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، صص 133-134.

[8] نفسه ،ج7، ص133.

[9] حدد يحي ابن خلدون هذه الهجمة في سنة 688هـ.يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص230.

[10] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه ،ج7، ص123.

وهو أحد حصون بني توجين، حيث تحالف مع قائده غالب الخصي وسلمه له واستولى عليه[1]، وواصل حملاته على مجالات الوانشريس، ففي سنة 687هـ/1288م " نهض إلى توجين، فدوخ بلادهم، وأخذ وانشريس معقلهم"[2]، وواجه بني يدللتن وسيطر على معقلهم قلعة بني سلامة بعدما " أعطوه أيديهم على الطاعة ومفارقة قومهم بني توجين إلى سلطان بني يغمراسن"[3]، كما توجه إلى متيجة وشن عليها غارة[4]، وفي سنة 688هـ/1289م خرج إلى المدية وكان يسكنها أولاد عزيز من بني توجين، وقد تمكن من السيطرة عليها بمساعدة قبائل المدية الصنهاجية الذين دخلوا في طاعته، إلا أنهم بعد سبعة أشهر انتفض عليهم أولاد عزيز واستعادوا حكمها ودخلوا في طاعة السلطة الزيانية[5]، ولما كانت روح نبذ الطاعة متفشية في أوساط القبائل، فإن المصادر سجلت الكثير من حملات التأديب التي قامت بها منها الحملة التي شنها عثمان بن يغمراسن على قبيلة مغراوة لنبذها طاعته وتحالفها مع أبي يعقوب بن عبد الحق المريني في حملاته على تلمسان وأحوازها سنة 689هـ/1290م[6].

كما جدد غاراته على توجين سنة 690هـ/1291م[7]، وفي سنة 693هـ/1293م شن حملة على برشك[8] وافتكها من مغراوة بعد حصاره لها لأربعين يوما[9]، كما "استباح رباط تاسكدلت" بعدما نبذوا طاعته ودخلوا في طاعة المرينيين بعد حركة يوسف بن يعقوب المريني إلى المغرب الأوسط سنة 695هـ/1295م[10]، وفي الإطار نفسه توجه إلى قلعة بني سلامة "فدوخ بلادهم، وحاصرهم بالقلعة، ونال منهم أضعاف ما نالوا منه، وطال مغيبه في بلادهم"[11].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص124.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص230.عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص124.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص124.

[4] نفسه ،ج7، ص123.

[5] نفسه ،ج7، ص124.

[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص230.عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص124.

[7] يحي بن خلدون، نفسه،ج1، ص230.

[8] مدينة صغيرة قرب تنس، تقع على تل ولها سور من تراب يحميها، تكثر بها الفواكه والحنطة والشعير. الحميري، المصدر السابق، ص88.

[9] يحي ابن خلدون، نفسه،ج1، صص230-231. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص124.

[10] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه ،ج7، ص126.

[11] نفسه، ج7، ص126.

بعد نهاية الحصار المريني على تلمسان سنة 706هـ/1306م كان أول ما قام به الأمير أبو زيان هو تجهيزه لحملات عسكرية لاستعادة المناطق التي خرجت عن طاعتهم، وكانت قبيلة مغراوة أول من خرج إليها، واسترجع بلادهم تحت طاعته "استأصلوا مغراوة وأنزلوهم من صياصي الجبال"[1] وعين عليها مولاه مسامح[2]، وواصل أبو حمو موسى الأول استعادة أعمال المغرب الأوسط تحت حكمهم، حيث خرج إلى حصن تفركينت سنة 707هـ/1307م ودخلوا تحت طاعته[3].

بعد نهاية الحصار المريني على تلمسان سنة 714هـ/1314م خرج إلى شلف لمواجهة راشد بن محمد المغراوي الذي عاد من بلاد زواوة ودخل شلف وحشد قومه، ورغم فراره إلى بجاية إلا أن أنصاره بقوا "بمعاقلهم من جبال شلف على دعوته" فخيم أبو حمو بوادي تمل وسرح قطع من جيشه لشن الغارات[4]. وكان من شأن خلافه مع صهره محمد بن يوسف أن لجأ هذا الأخير إلى بني توجين، ورغم أنهم كانوا تحت طاعة أبي حمو إلا أنهم بايعوا محمد بن يوسف وواجهوا أبا حمو في موضع يسمى نهل وتمكنوا من هزيمته[5]، وأمر قائده محمد بن برهوم بالقدوم بعساكره من بجاية التي كان محاصرا لها، وخرج الجيشان إلى مليانة وسيطر عليها، ثم زحف إلى معقلهم بالمدية وشن عليهم غارات عقابا لهم على دعم أولاد عزيز من بني توجين لصهره محمد بن يوسف الخارج عليه[6].

توقفت المواجهات الزيانية مع القبائل البربرية لمدة إثنان وعشرون سنة بسبب ما عرفته السلطة من صراع مع المرينيين وحصارها من طرف أبي الحسن، لتتجدد سنة 749هـ/1348م في إطار إحياء الدولة على يد أبي سعيد وأبي ثابت، فكانت أول مواجهة خاضها أبو ثابت المتكفل بقيادة الجيوش حيث توجه إلى هنين وندرومة معقل قبيلة كومية، التي انفصلت وشكلت حكما ذاتيا لها بقيادة شيخها إبراهيم بن عبد الملك، ويبدو أنه قد حاول إحياء دعوة عبد المؤمن حسب قول يحي بن خلدون "داعيا إلى نفسه برائحة عبد المؤمن بن علي"[7].

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص234.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص130.

[3] نفسه،ج7، ص92. يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص235.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص137.

[5] نفسه، ج7، ص138.

[6] نفسه، ج7، ص139.

[7] نفسه، ج7، ص156.يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص259.

وبعد عزم أبي الحسن المريني إرسال ابنه الناصر لاستعادة المغرب الأوسط، تحالف أبو ثابت مع أبي عنان المريني على مواجهته وطلب مساندة مغراوة وفقا لما تعاهدوا عليه[1] إلا أنهم "قعدوا عن مناصرته" فخرج لمواجهتهم سنة 750هـ/1349م في معركة وقعت بوادي رهيو انجلت عن هزيمة مغراوة وسيطرة أبي ثابت على مازونة[2]، وفي سنة 751هـ/1350م خرج إلى المدية وسيطر عليها[3].

وكرر الهجوم على مغراوة سنة 752هـ/1351م بعد اغتيالهم محمد بن عمر الجمي القادم من تونس وكان ذلك من طرف بني كمي أحد بطون مغراوة، غير أنهم تحصنوا بمعقل أجرواو المطل على تنس لعجزهم عن مواجهته، فحاصرهم فيه عدة أيام " اتصلت فيها الحروب وتعددت الوقائع"، ثم عرج على مليانة وبرشك وشرشال[4] والمدية وأعادها لطاعته[5]، إلا أن الموازين لم تلبث وأن رجحت كفة بني مرين الذين هزموا أبا سعيد وتقبضوا عليه، ففر أبو ثابت إلى الجزائر فاعترضه علي بن هارون المغراوي بوادي شلف "فهزمهم استئصالا"[6].

بعد سيطرة المرينيين على تلمسان وقضائهم على الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت، توقفت الدولة الزيانية سنة 753هـ/1352م وتوقفت معها المواجهات مع القبائل البربرية، لتتجدد مع حركة إحياء أبي حمو الثاني للدولة الزيانية، فقد تميز عهده بكثرة ثورات القبائل البربرية[7] فبعد إرسال أبي حمو لقائده ابن أبي عدى لمواجهة ابن خلوف الياباني غدره قبيل مغراوة وهو ما استدعى الخروج إليهم فـ "صبحهم صباحا وأذاقهم شر نكاله وجلائه"[8]، وهو ما اضطر مغراوة الذين كانوا في الجيش المريني إلى الفرار والتحصن بجبل زاتيما، فلاحقهم أبو حمو وألحق الهزيمة بهم[9]، وأمام ما فعله أبو حمو بمغراوة، ثارت ثائرة جموعهم التي كانت في جيشه، فطلبوا منه سنة 762هـ/1360م أن يصرفهم إلى شلف، إلا أنه تفطن لغدرهم خروجهم عن طاعته حالما يصلون لمجالاتهم فكان توقعه فيهم

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص160.

[2] نفسه، ج7، صص157-158. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص260.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، صص158-159. يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص261.

[4] مدينة أزلية، تتميز بشساعة مساحتها، تفصلها عن برشك عشرون ميلا، وعن جزائر بني مزغنة سبعون ميلا، تضم عدة أنهار وآبار، وتتميز بفاكهة السفرجل، كما تكثر في باديتها المواشي والعسل والحنطة والشعير اللذان يعدان من محاصيلها الأساسية. الحميري، المصدر السابق، ص340.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص160. يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص262.

[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص264.

[7] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص14.

[8] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص112.

[9] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص76.

صحيحا، ذلك أنه بمجرد ما وصل إلى وادي يلل وصله خبر ثورتهم بشلف وقتلهم قاضيه بها وسيطرتهم على تنس، وهو ما استلزم منه الخروج لاستعادتها إلى طاعته وتمكن من دخولها بعد فرار مغراوة إلى الجزائر[1].

لاحظنا من خلال ما توفر لدينا من المصادر توقف معارك وغارات الدولة الزيانية مع القبائل البربرية لمدة اثنتي عشرة سنة، وبالضبط في الفترة الممتدة من 762هـ/1370م إلى 774هـ/1372م، وتزول حيرة الباحث إذا تتبع مسار الجيش الزياني وتحركاته في مجالات المغرب الأوسط، إذ تنوعت حملات أبي حمو الثاني خلال هذه الفترة بين الجهة الشرقية مع الحفصيين وبعض المعارك مع المرينيين والعرب، لتنشط جبهة الصراع مع القبائل البربرية من جديد، إذ يخبرنا يحي ابن خلدون أن أبا حمو سير جيشا بقيادة مولاه عطية بن موسى، برسم مواجهة قبيلة مغراوة في إحدى معاقلها الهامة ألا وهي مدينة مازونة، مع ما تمثله من أهمية في المشروع السياسي للسلطة الزيانية، فهذه ليست المرة الأولى التي يغزوها أمراء الدولة الزيانية، بل سبقتها محاولة عثمان بن يغمراسن سنة 686هـ/1287م، مع أن يحي ابن خلدون في ذاتية مؤرخي البلاط إن صح التعبير وسم هذه الحملة على أنها " تطهير البلاد من دنسهم" ومهما كان الهدف، فإن موسى بن عطية واجههم مرتين في مازونة " هزمهم فيها، ونكث قواهم، فانحلت عرى ضلالهم"[2]، وهو ما كان له أثر في توسع السلطة الزيانية في مجالات مغراوة، ومن القرائن الدالة على ذلك هو عودة تنس وملينة إلى طاعة أبي حمو الثاني خشية من توجهه إليهم بجيوشه[3].

لم تكف مغراوة عن محاولاتها لمعارضة السلطة الزيانية، إذ بعد هزيمتهم أمام أبي حمو، هرب زعيمهم علي بن هارون وتحالف مع خالد بن عامر في هجومه على تل بني راشد، وهو ما استلزم على السلطان الزياني معاودة غزو مغراوة في إطار ما يسمى بالحملات التأديبية، ففي سنة 775هـ/1373م خرج على رأس جيشه ففك حصار العرب وتوجين ومغراوة على تنس التي كان بها مولاه عطية بن موسى، ولاحق فلول مغراوة الذين تحصنوا بجبل يلسيت، وتمكن من الإيقاع بهم وهزيمتهم[4]، وفرت فلولهم إلى متيجة وتحصنوا بها، فلاحقهم أبو تاشفين وحاصرهم بها، وبعد أن طال عليهم الحصار استنجدوا بأبي زيان المعارض لأبي حمو والقبائل العربية من حصين والثعالبة، فجرت معركة انجلت عن هزيمتهم أمام أبي تاشفين[5].

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص81.
[2] نفسه، ج2، ص259.
[3] نفسه، ج2، ص259.
[4] نفسه، ج2، صص261-262.
[5] نفسه، ج2، صص267-268.

ولم يتوقف الصراع عند هذا الحد لأن تمرد مغراوة تواصل بمجرد عودة الجيوش إلى تلمسان، لذلك قام أبو تاشفين بالإقامة في مازونة، ليلحق به أبو حمو ونزلا بتيمزوغت متجهزين لسلسلة غارات على مغراوة، فقد كان أبو تاشفين " يراوحهم بالقتال ويغاديهم" من شوال إلى نهاية سنة 775هـ/1373م[1]، واستمر حصاره لهم حتى ربيع الأول من سنة 776هـ/1374م، وتمكن من اقتحام معقل تيمزوغت عليهم، بعدما باغتهم ليلا في سرية بقيادة ابنه أبي تاشفين[2].

لا ندري سبب سكوت المصادر عن تزويدنا ولو بإشارات ضئيلة حول فصول الصراع بين السلطة الزيانية مع القبائل البربرية بعد فترة أبي حمو الثاني، فهل هو تغاضي من المؤرخين أم أن الصراع خفت وتيرته بعد مقتله؟ لا نملك جوابا شافيا لذلك ولا يمكننا الخروج بأي استنتاج في ظل غياب المعطيات التاريخية، على أن قيام هذا الصراع من جديد بدأ في عهد المستعين، الذي أخبرنا عنه التنسي بأنه سيطر على المدية وتنس وملیانة، وهي معاقل مغراوة وتوجين[3]، ليواصل خلفه المتوكل سلسلة الصراع، حيث سيطر على مجالات بني راشد، وهوارة، هذه القبيلة التي كان صراعها مع بني عبد الواد قليل جدا، ليواصل تحركاته وسيطر على تمزغران ومستغانم ووهران سنة 866هـ/1461م[4].

جدول المواجهات العسكرية لأبرز أمراء الدولة الزيانية مع القبائل البربرية:

الأمير	عدد المواجهات العسكرية
يغمراسن	12
عثمان بن يغمراسن	14
أبو زيان	1
أبو حمو موسى الأول	6
أبو سعيد وأبو ثابت	7
أبو حمو موسى الثاني	10

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص268.

[2] نفسه، ج2، ص286-287.

[3] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص251.

[4] نفسه، ص254.

المستعين	3
المتوكل	5

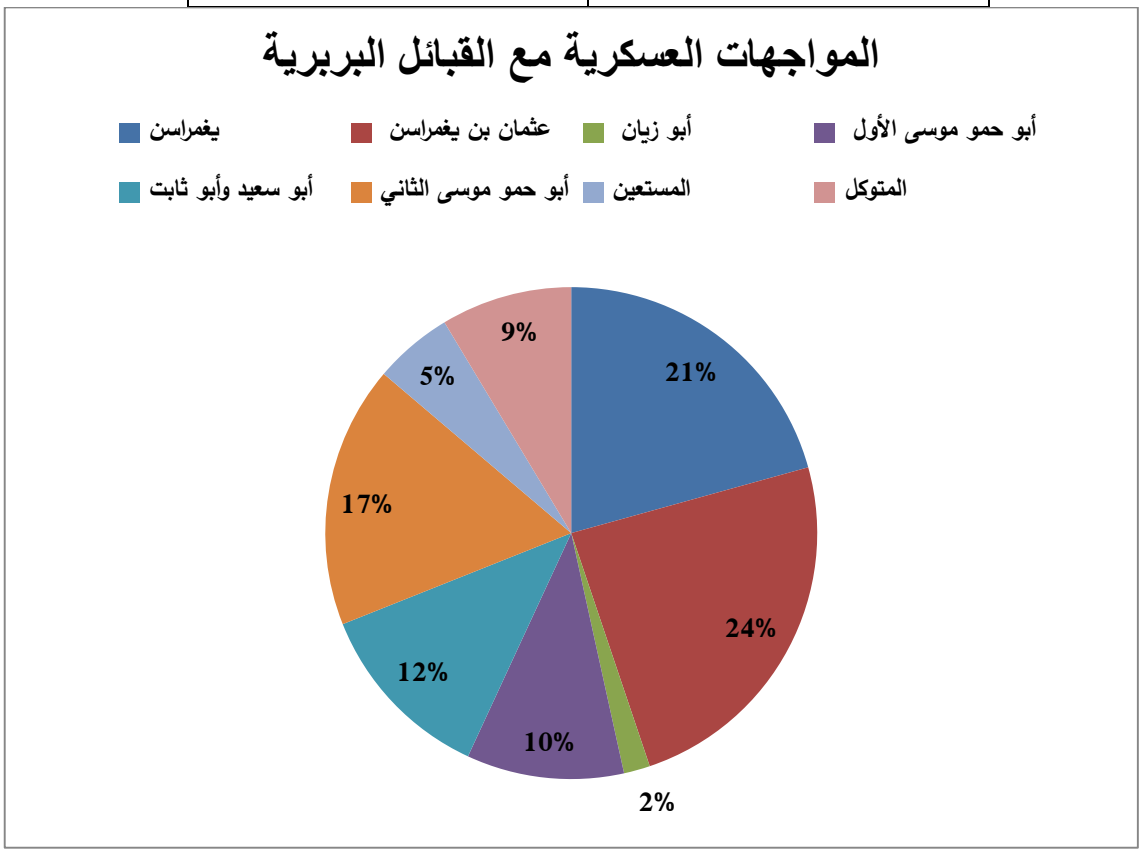

الحدود الفاصلة لتردد المواجهات العسكرية بين الزيانيين والقبائل البربرية:

القرن	عدد المواجهات	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى
القرن السابع	25	أقل من سنة	ثمان سنوات	احدى عشر سنة
القرن الثامن	24	أقل من سنة	أربع سنوات	اثنان وثلاثون سنة
القرن التاسع	8	أقل من سنة		خمس وعشرون سنة

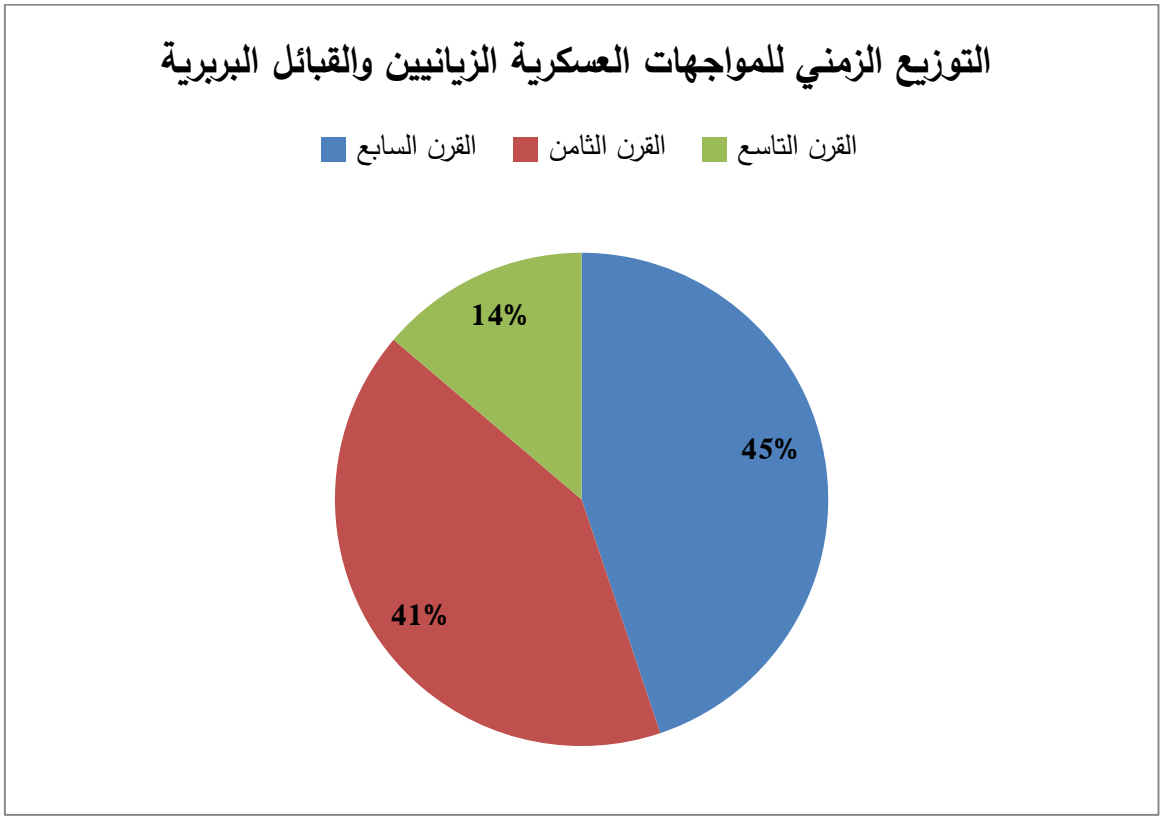

جدول المواجهات العسكرية بين الدولة الزيانية والقبائل البربرية:

الخصم	المجال	السنة	المصدر والصفحة
بعض بطون زناتة(توجين ومغراوة)	بلاد بني توجين ومغراوة	ابتداء من 633هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص107.
بنو مطهر وبنو راشد	//	633هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص106.
أولاد عباس	//	بعد 645هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص109.
أولاد منديل	//	بعد645هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص109.
بنو توجين	//	بعد 645هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص109.

بنو توجين	حصون بلاد بني توجين	بعد 647هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص117.
بنو توجين	حصن تافركينت ببلاد بني توجين	650هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص117.
بنو توجين	بلاد بني توجين	بعد 657هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص117.
مغراوة	مليانة	668هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص89.
مغراوة	تنس	672هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص118.
بنو توجين	بلاد بني توجين	680هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص117.
مغراوة	تنس	681هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص118.
توجين	بلاد توجين	681هـ	مؤلف مجهول، فصل الخطاب، صص114-115.
مغراوة	برشك	684هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص133.
مغراوة	مازونة	686هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص123.
مغراوة	تنس	26 ربيع الثاني 688هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص230. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص123-124.
توجين	حصن تفرجينت	686هـ	التنسي، نظم الدر والعقيان،

			ص129. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص230. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص124.
توجين	وانشريس	687هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص230.
بنو يدللتن(توجين)	قلعة بني سلامة	687هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص124.
مغراوة	متيجة	688هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص123.
توجين	المدية	688هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص230. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص124.
مغراوة	بلاد مغراوة	18 شوال 689هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص230. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص124.
توجين	بلاد توجين	690هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص230.
مغراوة	برشك	693هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص230-231. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص124.
البربر	رباط تاسكدلت	695هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص126.
بنو يدللتن(توجين)	قلعة بني سلامة	697هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص126.

مغراوة	الشلف	706هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص130. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص234.
بنو توجين	تيفرجنيت(بلاد توجين)	710هـ(707هـ عند ابن خلدون)	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص235. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص 92-132.
مغراوة	الشلف	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص137.
بنو سعيد (مغراوة)	جبال الشلف	714هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص137.
محمد بن يوسف وبنو توجين	نهل	قبل 717هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص138.
بنو توجين	المدية	717هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص139.
بنو توجين	مليانة	قبل 717هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص138-139.
كومية	بلاد كومية(هنينوندرومة)	749هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص156. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1 ، ص259.
مغراوة	عدوة وادي رهيو(مازونة)	750هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص157-158. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص260.
مغراوة	المدية	751هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص158-159. يحي ابن خلدون،

			بغية الرواد، ج1، ص261.
مغراوة	بلاد مغراوة	752هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص262. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص160.
مغراوة	مليانة،المدية،برشك،شرشال	752هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص160. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص262. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص153
مغراوة	بلاد مغراوة	752هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص160. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص262.
مغراوة	وادي شلف	753هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص264.
مغراوة	أطار ان وفاطيس	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص112.
مغراوة	جبل زاتيمة	761هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2 ، ص76.
توجين	جبل وانشريس	761هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص75.
مغراوة	تنس	762هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص81. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص115.
مغراوة	مازونة	774هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص259.

مغراوة	مازونة	774هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص259.
مغراوة	جبل بني يلسيت	774هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص262.
مغراوة	بلاد مغراوة	775هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص267-268.
مغراوة	جبل تيمزوغت	775هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص268.
مغراوة	جبل تيمزوغت	776هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص286-287.
مغراوة	المدية	//	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص251.
مغراوة	تنس	//	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص251.
مغراوة	مليانة	//	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص251.
بنو راشد	وطن بني راشد	866هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص254.
هوارة	وطن هوارة	866هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص254.
مغراوة	تمزغران	866هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص254.
مغراوة	وهران	866هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص254.

مغراوة	مستغانم	866هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص254.

3-الصراعات الأسرية:

في بداية هذا العنصر سنطرح إشكالا يفرض نفسه على المتمعن في مصادر المرحلة، هذا الإشكال يتمثل في كرونولوجية بداية هذه الصراعات الأسرية، فدولة بني عبد الواد صحيح أن طريقة التداول على السلطة فيها قائمة على النظام الوراثي، حيث توارث خلف يغمراسن الحكم، لكن هذا النظام لم يكن دوما من الأب إلى الابن، بل كان أيضا ينتقل من الأخ إلى الأصغر منه مثلما كان الحال مع أبي زيان الذي خلفه أبو حمو موسى الأول.

ونجد أن غياب نظام ثابت لولاية العهد حسب أحد الباحثين[1] نتج عنه اختلاف ظروف تداول هذا النمط الوراثي فتسبب في اضطرابات سياسية وعسكرية انضافت إلى سلسلة جبهات الصراع التي كانت مفتوحة في وجه السلطة الزيانية، على أنه لا يجب أن نحصر هذه الأسباب كفتيل لهذه الصراعات، وإنما تداخلت أسباب أخرى اختلفت حسب ظروف تلك المرحلة، من بينها التنافس بين قادة أبي حمو موسى الأول الذين أرسلهم لشن غارات على النواحي الشرقية، وهم صهره محمد بن يوسف، ومسعود بن برهوم وهو أيضا ابن عمه، ومولاه مسامح، وموسى بن علي الغزي[2].

فحدث خلاف بين محمد بن يوسف وموسى بن علي الكردي، جعلت هذا الأخير يسارع إلى العودة لتلمسان أين حرض أبا حمو على صهره محمد بن يوسف، ما جعله يزيحه عن حكم مليانة[3]، فطلب محمد بن يوسف من أبي حمو بعدما أدرك أنه لن يدعه وشأنه، لزيارة أبي تاشفين، وهو ابن أخته، ويبدو أنه كان يدرك جيدا مدى كره ابن أخته لوالده الذي كان كثير التوبيخ لابنه أمام الملأ[4]، ولهذا لما أوعز أبو حمو له بأن يقبض عليه لم

---

[1] حميد الحداد، النفي والعنف في الغرب الإسلامي، إفريقا الشرق، الدار البيضاء، 2013، ص43.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص137. حاجب أبي تاشفين الأول وقائد عسكري، أصله من الأغزاز من بيت بني بابير وهو ابن علي بن حسن زعيم بني بابير، بعد وفاته اصطفاه يوسف بن يعقوب ورباه في بيته ثم حدثت له مع أبيه خصومة فر على إثرها إلى تلمسان أيام الحصار المريني الطويل عليها واستقبله عثمان بن يغمراسن، ورغم أن يوسف بن يعقوب تحدث مع علي ليعتذر لابنه ويستميله للعودة إلا أن موسى رفض ولم يشأ أن يغدر ببني عبد الواد الذين أكرموه ورفعوا منزلته بينهم، وكان هو من أخذ لأبي تاشفين الأول البيعة من الناس بعد قتله لوالده، ورغم نكبته وحبسه في الجزائر بسبب هلال القطلاني الذي كان يحسده ويكيد له التهم، إلا أن أبا تاشفين أعاده لحجابته واستمر فيها لغاية مقتله معه على يد أبي الحسن بعد اقتحامه لتلمسان. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7،صص149-151.

[3] نفسه، ج7، ص138.

[4] نفسه، ج7، ص140.

يمتثل لأمره، ليس حبا في خاله، وإنما كرها في والده، بدليل أنه سيقتل خاله بعد وصوله للحكم، على أنه عاد لمعسكر أبي حمو إلا أنه تنكر له " فاستراب وملأ قلبه الرعب"[1].

فر محمد بن يوسف من معسكره إلى المدية ونزل على عاملها لدى أبي حمو من بني توجين، ويخبرنا عبد الرحمن ابن خلدون أن يوسف بن حسن بن عزيز قد امتثل لأمر أبي حمو القاضي بالقبض عليه وتسليمه له، إلا أن أعيان بني توجين ثارت ضغائنهم تجاه أبي حمو مجددا، ورأوا في دعم محمد بن يوسف فرصة لبث الشقاق داخل قبيل بني عبد الواد، فبايعوا محمد بن يوسف، وفتحت بذلك جبهة صراع جديدة في وجه أبي حمو الأول الذي بادر بوأد التمرد في المهد فخرج إليه سنة 717هـ/1317م وهزمه ببلاد مليكش[2]، ورغم أنه بقي متحصنا في بلاد توجين ما يوحي أنه لم يتمكن من القضاء عليه، وفي عهد خلفه أبي تاشفين خرج لمواجهته سنة 719هـ/1319م وتمكن من هزيمته بربوة توكال بعد تحالفه مع أحد بطون بني توجين[3].

من القرائن الدالة على أن الصراع الأسري على السلطة داخل قبيلة بني عبد الواد كان صراعا مرتبطا بظروف خاصة، وأنه لم يكن متجذرا مع قيام الدولة، هو أن هذا الصراع توقف لمدة اثنتين وأربعين سنة، فمنذ قضاء أبي تاشفين على ثورة خاله محمد بن يوسف، لم تسجل المصادر قيام الصراع مجددا إلا في سنة 761هـ/1359م وكان ذلك من تدبير المرينيين، فبعد دخولهم تلمسان ومخالفة أبي حمو الثاني لهم إلى المغرب خرجوا ولكنهم نصّبوا محمد حفيد أبي تاشفين الأول حاكما على تلمسان، في محاولة منهم بث الصراع داخل بيت بني عبد الواد، وانضمت إليه عدة قبائل من زناتة والعرب إلا أنهم فروا عنه في جبل وانشريس بعد هجوم أبي حمو عليه وتمكن من القضاء على تمرده بعدة عدة وقائع لم تسردها لنا المصادر[4].

كما تمرد عليه محمد ابن عمه الأمير أبو سعيد، فبعد قضاء أبي عنان المريني على أبي سعيد وأبي ثابت، وقع ابنه محمد في ربقة أسرهم إلى أن تمكن من الفرار سنة 763هـ/1361م، لينزل على القبائل العربية التي بايعته، كما دعمه خالد بن عامر نكاية في أبي حمو الذي منح المشيخة لأخيه شعيب، فخيم محمد بن أبي سعيد

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص138.

[2] نفسه، ج7،ص138.

[3] نفسه،ج7، ص142. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص239. محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص143.

[4] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص109.

في نواحي بني ورنيد، وسير له حملة بقيادة وزيره عمران بن موسى وهزمه، وليستأصل شأفته، سير له حملة أخرى بقيادة ابنه أبي تاشفين[1].

وتكررت المواجهة بينهما بالبطحاء[2] سنة 765هـ/1363م أين انهزم أبو حمو أمامه وانسحب إلى تلمسان[3]، وتوسع تمرد محمد بن أبي سعيد وسيطر على المدية سنة 765هـ/1363م، فسير له جيشا بقيادة موسى بن علي بن برغوث خرج به من تلمسان، كما دعمه بجيش ناحية شلف بقيادة عطية بن موسى، وجيش ثالث بقيادة الوزير عمران بن موسى بن فارس، ورغم هزيمتهم له في المدية، إلا أنه انسحب وتحصن بمعقل تيطري وتمكن من إلحاق الهزيمة بجيوش أبي حمو[4]، ولتدارك هذه الهزيمة سير جيشا آخر أرسله إلى الوزير موسى بن علي بن برغوث الذي كان معسكرا بمليانة وسار به إلى المدية لمواجهته وانهزم جيش أبي حمو مرة أخرى بسبب خيانة بني توجين لهم، ذلك أن وقائع المعركة في بدايتها انجلت عن هزيمة محمد بن أبي سعيد، " إلا أن أولاد عمر بن عثمان من توجين كانوا قد شايعوا أبا زيان وقومه، وأضمروا الخداع والانتباذ إليه"[5]، وتوسع أمر محمد بن أبي سعيد وبايعته تنس ومستغانم وتمزغران، وعزم أحلافه من القبائل أن يسيروا معه للسيطرة على تلمسان سنة 768هـ/1366م، فخيم أبو حمو باصطفصيف وجرت معركة كان النصر حليفه فيها[6].

ولم يتوقف تمرد محمد بن أبي سعيد بعد هذه الهزيمة بسبب دعم العرب المتواصل له، ففي سنة 777هـ/1375م حاول السيطرة على مازونة التي كانت تحت قيادة موسى بن عطية، إلا أن هذا الأخير استطاع أن يلحق بهم هزيمة نكراء دون دعم عسكري من أبي حمو الثاني[7].

---

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، صص211-212.

[2] مدينة تقع في سهل يتميز بمقدرات زراعية هامة، حيث تشتهر بإنتاج الحبوب، قام عبد المؤمن بن علي بتوسعة المدينة، ويذكر ابن أبي زرع أن العرب عزموا على اغتيال عبد المؤمن بن علي سنة 555هـ/1160م فأوصل له شيخ الخبر وطلب منه أن ينام في مكانه، وتم ذلك وقتل الشيخ، فوضع عبد المؤمن جثته على الناقة فمشت حتى بركت في موقع البطحاء، فدفنه في ذلك المكان وبنى عليه قبة ومسجد وأمر ببناء مدينة وترك فيها عشرة أشخاص من كل قبيلة لتعميرها، وكانت تقدم ضريبة تقدر ب20 ألف مثقال للسلطة الزيانية. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، صص27-28. ابن أبي زرع، روض القرطاس، صص199-200.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص170.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص179.

[5] نفسه، ج2، ص185. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص174.

[6] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، صص188-189.

[7] نفسه، ج2، ص305.

كما قام صراع آخر بين أبي حمو الثاني وابنه أبي تاشفين الذي اتهمه بتفضيل إخوته عليه، وخرج هذا التنافس إلى العلن بعدما أخبر موسى بن يخلف أبا تاشفين أن والده أبا حمو خرج إلى مليانة للقاء ابنه المنتصر وأنه عازم على توليته الجزائر، في حين أن أبا حمو أخفى هذا الخبر عن ابنه على أنه خرج في بعض شؤونه، فخرج أبو تاشفين بجيشه ولحق والده بالبطحاء فعاد معه إلى تلمسان[1]، وترك أحمالا من المال عند عبد الرحمن بن الكليب مع كتب بتولية المنتصر حكم الجزائر، فكانت القطرة التي أفاضت الكأس، فخلع والده من الحكم وتقبض على إخوته وأشخصه معتقلا إلى قصبة وهران سنة 788هـ/1386م[2].

وبعد تمكن أبي حمو من الفرار واسترجاع قوته، دخل إلى تلمسان وترك ابنه على شلف، فأرسل أبو تاشفين ابنه أبا زيان مع وزيره محمد بن عبد الله بن مسلم، واقتتلا بشلف سنة 789هـ/1387م وانجلت المعركة عن هزيمة أبي تاشفين[3]، وحاول هذا الأخير أن يثني العرب عن مناصرة أبي حمو، وذلك بالهجوم عليهم فأرسل مولاه سعادة مع جيشه في هذا الإطار، إلا أنه هزمه وقبض عليه[4]، فلم يجد أبو تاشفين من حل سوى الاستنجاد بالمرينيين، الذين ساندوه بجيش بقيادة زيان بن عمر الوطاسي فاقتتل مع أبي حمو بنواحي جبل بني ورنيد وانهزم أبو حمو[5].

كان لهذا الصراع أثره الكبير على السلطة الزيانية في القرن التاسع، حيث كان انقلاب أبي تاشفين على والده أبي حمو مقدمة لعدة تمردات، إذ فرّ أبو زيان إلى الجزائر بعد مقتل أبي حمو والده، واستنجد بالعرب وعاد إلى تلمسان للأخذ بثأر والده، إلا أن أبا تاشفين فرق عنه العرب بالمال وخرج إليه ملحقا به هزيمة[6]، كما اضطربت الأوضاع بعد وفاته، حيث تولى ابنه وكان صبيا، فلم تتعدى فترة حكمه شهرا حتى دخل عليه عمه يوسف قادما من الجزائر، والذي ألحق بهم هزيمة وتولى الحكم[7].

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص191.
[2] نفسه، ج7، ص192.
[3] نفسه، ج7، صص192-194.
[4] نفسه، ج7، ص194.
[5] نفسه، ج7، ص195، محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص181.
[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص196.
[7] نفسه، ج7، ص197.

كما هاجم السعيد تلمسان سنة 814هـ/1411م وخلع عبد الرحمن بن محمد بن خولة[1]، ليحدث معه نفس ما قام به، فلم يتجاوز حكمه بضعة شهور إلا وخلعه أبو مالك عبد الواحد بدعم عسكري من المرينيين[2]، وكان عبد الواحد بعد خلعه من طرف ابن خولة واستنجاده بالمرينيين وعدم موافقتهم، أن توجه إلى تونس مستنجدا بأبي فارس الحفصي، حيث أرسل معه جيشا بقياده العلج جا الخير إلا أنهم انهزموا، ليعاودوا عليها الكرة بقيادة السلطان الحفصي، حيث تمكنوا من تنصيب عبد الواحد على السلطة الزيانية[3]، إلا أن ابن خولة استنجد بالعرب وتمكن من الدخول إلى تلمسان والعودة إلى الحكم[4].

وفي سنة 838هـ/1434م هجم أبو يحي بن أبي حمو على وهران وسيطر عليها، " فكانت بينه وبين أخيه السلطان حروب"[5]، ورغم أن السلطان أحمد العاقل عفا عنه بعد خلعه، إلا أن هذا الأخير جمع العرب وهاجم تلمسان سنة 867هـ/1462م وفشل في هزيمة المتوكل[6]، ليتمرد عليه الأمير محمد بن غالية، أين تمكن من إلحاق الهزيمة به قرب جبل بني ورنيد[7].

[1] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص234.
[2] نفسه، ص235.
[3] نفسه، صص244-245.
[4] نفسه، ص245.
[5] نفسه، ص249.
[6] نفسه، ص257.
[7] نفسه، ص258.

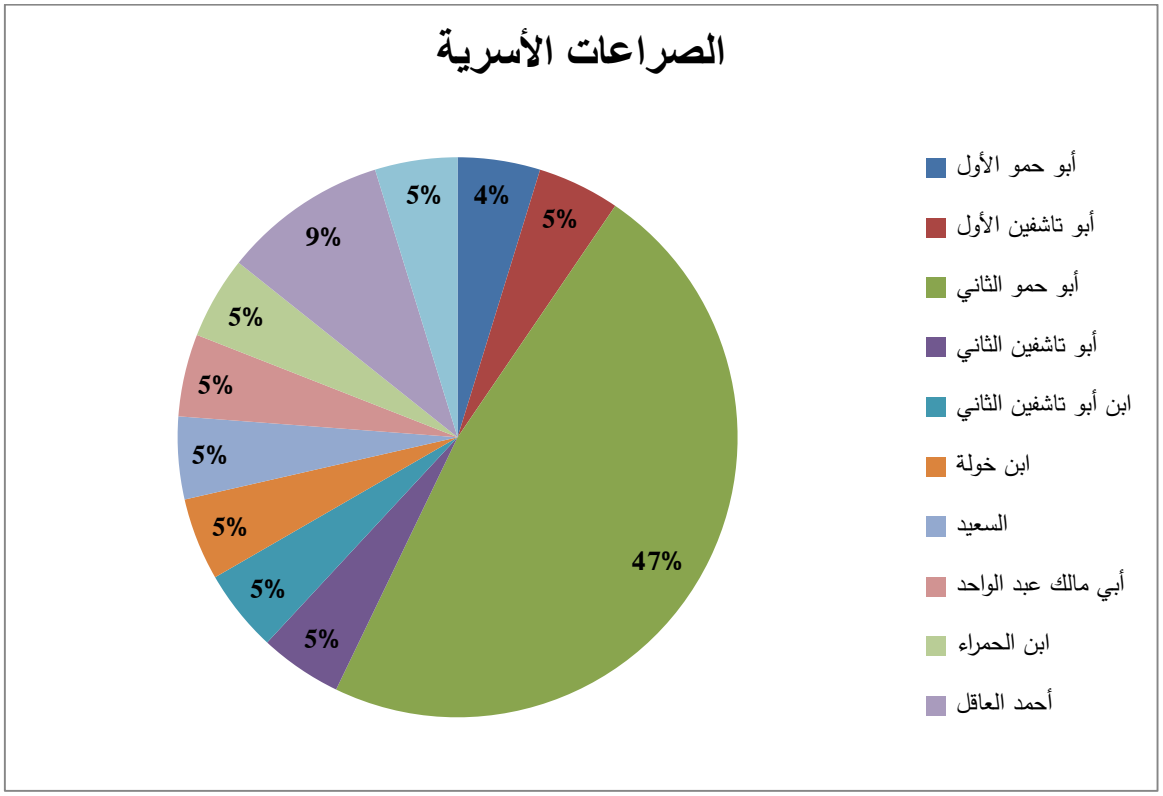

تردد المواجهات العسكرية الأسرية:

القرن	عدد الحروب	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى
القرن الثامن	14	أقل من سنة	تسع سنوات	اثنان وأربعون سنة
القرن التاسع	7	أقل من شهر	ست سنوات	تسعة وعشرون سنة

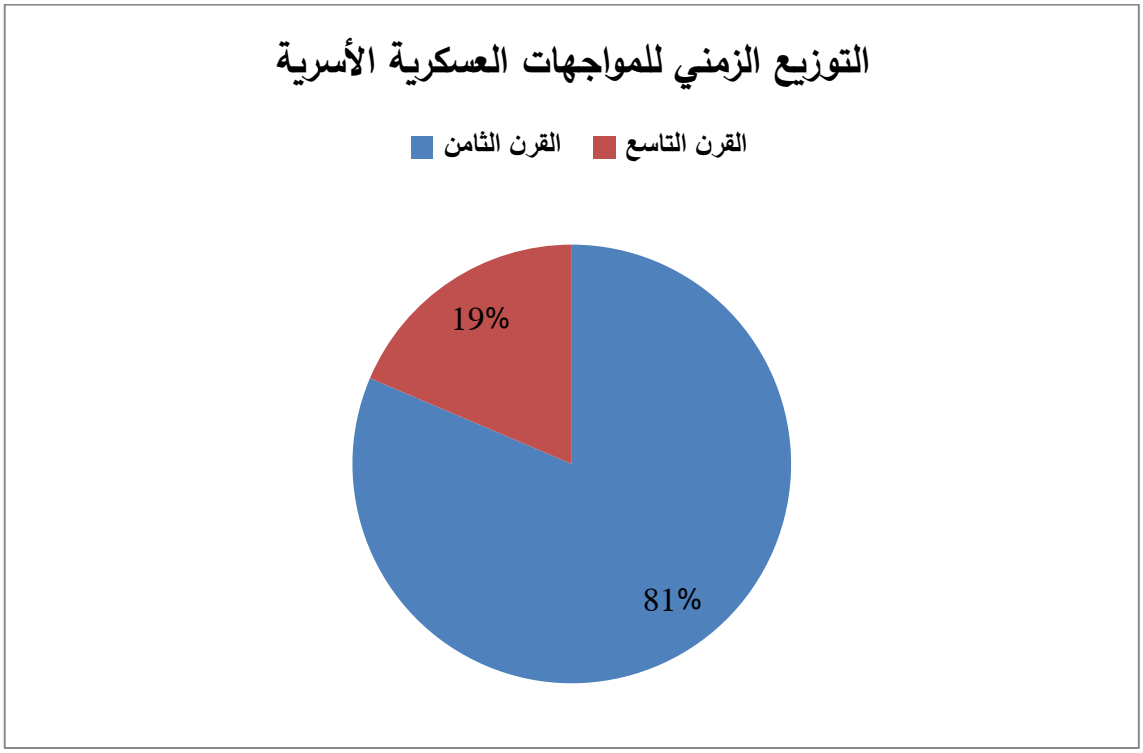

جدول المواجهات العسكرية الأسرية:

الخصم	المجال	السنة	المصدر والصفحة
محمد بن يوسف	مليكش	قبل 717هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص138.
محمد بن يوسف	حصن توكال(بلاد وانشريس	719هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص142. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص143. يحي ابن خلدون، ج1، ص239.
حفيد أبي تاشفين	جبل وانشريس	761هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص109.
محمد ابن أبي سعيد	جبل بني ورنيد(قرب تلمسان)	763هـ	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص212. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص106.
محمد بن أبي سعيد	البطحاء	765هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،

			ص170.
محمد بن أبي سعيد	المدية	768هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص179 ابن خلدون، العبر، ج7، ص174.
محمد بن أبي سعيد	المدية	768هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص185
محمد بن أبي سعيد	اصطفصيف	768هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص188-189.
محمد بن أبي سعيد	مازونة	777هـ	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص305.
أبو تاشفين	الشلف	789هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص194.
أبو تاشفين	تلمسان	790هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص194.
أبو تاشفين	جبل بني ورنيد	791هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص195. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص181.
أبو زيان بن أبي حمو	تلمسان	792هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص196.
يوسف بن أبي حمو	تلمسان	795هـ	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص197.
عمه السعيد	تلمسان	814هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص234.
أخوه أبو مالك عبد الواحد بدعم مريني	تلمسان	814هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص235.

ابن الحمراء بدعم حفصي	تلمسان	827هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص241. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص126.
ابن الحمراء	تلمسان	833هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص245.
أبو يحي بن أبي حمو	وهران	838هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص249.
أبو العباس أحمد العاقل	تلمسان	867هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص257.
محمد بن غالية	جبل بني ورنيد(خارج تلمسان)	868هـ	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص258.

خلاصة القول أن الصراع الداخلي كان أيضا على أشده مع القبائل العربية والبربرية، بل يمكن القول أنه أضعف كثيرا القدرات العسكرية للجيش الزياني الذي كان مضطرا في العديد من الحالات للخروج في حملات تأديبية للقبائل العربية والبربرية سواء في عمليات لجباية الضرائب من الممتنعة عن تسديدها أو انتقام بسبب تحالف هذه القبائل مع المرينيين والحفصيين في حملاتهم على تلمسان، فقد رأينا أنهم كانوا خير حليف لأعداء بني عبد الواد من منطلق عدو عدوي صديقي، ومن خلال المعطيات الإحصائية فإننا نستنتج أن الصراع مع القبائل البربرية كان على أشده بسبب غيرتها من بني عبد الواد على تأسيسهم لدولتهم فقد خاضت السلطة ضدهم حوالي سبعة وخمسين مواجهة عسكرية، وتأتي في المرتبة الثانية القبائل العربية التي كثيرا ما خانت السلطة وكانت سببا في انهزامها في عدة معارك، حيث خاضت ضدها حوالي عشرين مواجهة عسكرية، وما زاد السلطة ضعفا و فتّ في عضدها ما نشب من صراعات أسرية في فترات مفصلية من تاريخ الدولة الزيانية، بل كان العديد من المعارضين من داخل البيت العبد الوادي يستعينون بالغريم الحفصي والمريني ليعتلوا سدة الحكم ويرهنوا سلطة القرار بيد البلاطين المريني والحفصي.

الفصل الثاني: الجيش الزياني: الحضور والتنظيم

أولا: التركيبة البشرية

1-بنو عبد الواد

2-القبائل العربية

أ- رياح

ب-زغبة

ج-المعقل

د-الحضور العسكري للقبائل العربية

3-القبائل الزناتية

أ-مغراوة

ب-بنو راشد

ج-بنو توجين

د-الحضور العسكري للقبائل الزناتية:

4-الغز

5-العبيد والأعلاج

6-المرتزقة المسيحيون

ثانيا: إدارة الجيش

1-ديوان الجند

2-تعداد الجيش

3-رواتب الجند

ثالثا: تقسيم الجيش

1-تعبئة الجيش

2-فرق الجيش

أ-الفرق المقاتلة

ب-العناصر غير المقاتلة

3-قادة الجيش

تطرقنا في الفصل الأول وفق ما ورد بين ثناياه من معطيات إحصائية استنادا لمصادر المرحلة، تجذّر الظاهرة الحربية في المسار التاريخي للدولة الزيانية من جهة، وفي المناخ السياسي السائد في بلاد المغارب من جهة أخرى، ما يسمح لنا مبدئيا بتسجيل ملاحظة مفادها حضور الحرب بصفة شبه دائمة حتى لا نكون مبالغين.

نذكر هذه الملاحظات باعتبار أننا في هذا الفصل سنتراجع من رصد وقائع المواجهات العسكرية إلى البحث في أداتها الرئيسية، عبر محاولتنا إماطة اللثام عن بنية الجيش[1] الزياني، باعتباره الجهاز الأساسي والوحيد لتجسيد الظاهرة الحربية على أرض الميدان، من خلال المعارك التي خاضها هذا الجيش، سواء كمبادر أو كمدافع، وبالرغم من صعوبة خوض مسالك هذا الفصل لا لسبب سوى أن مصادر المرحلة شحّت علينا بتقديم مادة تاريخية كافية تمكن الباحث من فك مضمراته، إلا أنه لا يمكن الاتّكاء على هذا السبب كمسوغ يحيد بالباحث عن خوض مسالكه، لا لشيء سوى أنه جدير بالبحث كونه جزء من فسيفساء السلطة، فيلزم إذن تقديم صورة متكاملة الجوانب عن الجيش الزياني، سواء من ناحية تركيبته البشرية، أو من الناحية التنظيمية، إضافة إلى كل ما يتعلق بها، ونخص بالذكر فرق الجيش، والتجنيد، ورواتب الجند.

على صعيد آخر، فإذا كانت الدولة الزيانية قامت على أحادية السيف فقط، فإن لهذا التوجه محددات وظروف سياسية ليس لنا إلا أن نفصل فيها في هذا المقام، وممارسة النشاط العسكري المكثف يمكن اعتباره مكونا أساسيا في توجه الدولة، وهو ما يقودنا إلى ملاحظة أن السلطة الزيانية أولت اهتماما معتبرا بالجيش لتنفيذ سياساتها الرامية إلى تأديب المعارضين، وحماية الحدود، وأهمها هو جباية الضرائب.

وعليه فمن خلال ما سبق يجد المتتبع لتاريخ المغرب الأوسط خلال العهد الزياني أن ظاهرة الحرب حظيت بالنصيب الأكبر من الاهتمام لدى مؤرخي المرحلة، خصوصا مصادر التاريخ السياسي باعتبار أن معظمها مؤلفات سلطانية سخرت قلمها لحروب الدولة وانتصاراتها وانهزاماتها بصفة أقل، والأمر لا يتوقف عند

[1] جمعه جيوش، وهم الجند وجماعة من الأفراد في الحرب، أو جماعة من الناس تخرج لحرب أو معركة، ويقال جيش فلان بمعنى جمع وحشد الجند والمقاتلين، واستجاش فلان أي طلب قوة عسكرية بشرية للحرب، وتجيش القوم أي تجمعوا، ومعناه حسب الفراهيدي وابن منظور والمقرئ يفيد التأهب والحماس والعزم، فيقال جاشت القدر أي غلت، والجياش هو المتحرك المضطرب. الفراهيدي، كتاب العين، ج1، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص275. ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، د.س، صص277-278. أحمد بن محمد الفيومي المقرئ، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص45. لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، د.س، ص112.

هذا النوع من المتون بل يتعداه إلى شتى المظان التي سارت ضمن نفس المنحى مع اختلاف مخرجات الحرب وآثارها، وإن دل هذا على أمر فإنما يدل على ترسخ الحرب في ذهنية إنسان المرحلة.

على أن هذا الاهتمام لا يعتبر استثناء في التاريخ الوسيط لأن العناية بالجيش كانت ولازالت أولى أولويات الحكام على مدار فترات التاريخ الإسلامي، حيث ركزت كتب الآداب السلطانية عليه ونظرت له من جميع النواحي، من ضمنها ما أوصى به أبو حمو الثاني بضرورة جمع جيش يمكن من السيطرة على مدن وأعمال الدولة[1] سواء من قبيل شروط التجنيد والمواصفات النفسية والجسمانية للمقاتلين باعتبارهما معطيين يكمل بعضهما البعض، وركزت مصنفات سابقة للفترة على توفر صفتين في الجندي لا تستقيم الواحدة إلا بالأخرى "إحداهما الشدة والثانية المروءة لأن بالشدة يقاتل، وبالمروءة يثبت"[2]، وأضافت بعض كتب الآداب السلطانية شروطا أخرى، كتولي القيادة من أكابر القبيل قدرا، وعلى معرفة وخبرة ميدانية بالعمل العسكري، وأن يكونوا يتمتعون ببأس وقوة، سريعي الغضب[3] فضلا عن التدابير السلطانية العسكرية، خصوصا "فيما ينبغي للملك من سياسة الجيش وتدبيره"[4]، بل اعتبرت "الجند عدة الملك، وحصونه ومعاقله وأوتاده"[5].

أولا: التركيبة البشرية:

أدرك مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان وهو يرسي أولى البوادر لدولته الناشئة والمنفصلة عن الموحدين، أنه سيواجه العديد من المصاعب المنبثقة عن نقائص اعترت طريقه في تأسيس دولته، وهي مصاعب تتعلق بقبيله بني عبد الواد الذي كان يعاني من نقص في تعداد المقاتلين، مقارنة ببني مرين الذي فاقه بأضعاف في هذه الناحية، مما رجح في الكثير من المواجهات كفة المعارك لصالحه، فكان على أمراء الدولة الزيانية بدءا بالمؤسس أن ينهجوا سياسات لدرء هذا النقص، وذلك من خلال استقطاب القبائل العربية والبربرية وهو ما تجسد في العديد من الوقائع وليس كلها، فالجيش الزياني كان عبارة عن فسيفساء تشكلت من مختلف القبائل المساهمة في تثبيت ملك بني عبد الواد.

---

[1] أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار النعمان، الجزائر، 2012، ص200.

[2] محمد بن الحسن الحضرمي، الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص36.

[3] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، 1996، ص115.

[4] عبد الرحمن بن نصر الشيزري، النهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص165.

[5] أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، ج2، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994، ص492.

وتعدت هذه المساهمة إلى توظيف المرتزقة الإسبان، على أن هذا التنويع لا يعد منقصة للجيش، بل نجد له حضورا ضمن المصنفات المتعلقة بأدبيات فلسفة الحكم فاستحبت للسلطان " أن يكون جنده أجناسا متفرقة وقبائل شتى، بحيث لا يتهيأ منهم الاتفاق على رأي واحد في الخلاف"[1] زيادة على بث روح المنافسة في خدمة السلطان[2].

على أن هذه التحالفات المبنية على عنصر المال لم تكن دوما حاضرة في كل المواجهات بسبب الصراعات السياسية التي كانت تحدث داخل بيت بني عبد الواد، أو ردود الفعل المرينية التي سعت بدورها لاستقطاب هذه القبائل، فكانت بفكر ارتزاقي تتحالف مع من يقدم لها أكثر. سنحاول أن نمتح من مصادر المرحلة التركيبة البشرية للجيش الزياني والتطرق لأنساب هذه القبائل مع تقديم قرائن دالة على مشاركتهم في بعض المعارك على مختلف الجبهات:

1–بنو عبد الواد:

كان أول اختبار ليغمراسن في مواجهة الجيران الشرقيين، أي الموحدين والمرينيين سنة 646هـ/1248م حيث خرج السعيد معتزما قتاله بجبل تيمزجزجت، وكان اختبارا ناجحا انتصر فيه يغمراسن بجيشه الذي كان خالصا من بني عبد الواد[3]، كما كان حاضرا في معركة إيسلي، حيث حشد يغمراسن كل بطون بني عبد الواد في المجالات الشرقية وخرج بهم إلى وجدة تحسبا لمواجهة المرينيين سنة 670هـ/1271م فيما يعرف في المصادر بمعركة إيسلي[4]، كما كانت حامية سجلماسة تضم جنودا من بني عبد الواد الذين تواجهوا مع المرينيين سنة 672هـ/1273م[5]، وكانت السلطة الزيانية لا تكتف بالسيطرة على المناطق وتعيين عمال عليها لأن ذلك مدعاة للخروج عليهم متى سنحت الفرصة، فروح التمرد كانت منتشرة لدى معظم القبائل التي تأبى الطاعة والانقياد بسبب الضرائب التي تلزمها بها الدولة، لذلك بعدما مر أبو سعيد عثمان على وجدة سنة 698هـ/1298م عين عليها أخاه أبا يحي " بحصة وافرة من قومه"[6]، ورغم الحصار المريني الطويل على

---

[1] ابن رضوان المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، المغرب، 1984، ص379.

[2] عبد الهادي محمد رضا محبوبة، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص445. خميسي بولعراس، النخب العسكرية بالغرب الإسلامي، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018، ص91.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص227.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص244.ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص310.

[5] ابن أبي زرع، نفسه، ص312.

[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص231.

تلمسان وموت الكثير من الجنود، إلا أن أبا زيان تمكن من استعادة قوة الجيش، حيث خرج إلى النواحي الشرقية رفقة أبي حمو الأول سنة 706هـ/1306م في " قبيلهما الأعز"[1]، كما كان بنو عبد الواد مكون أساسي في الجيش الذي خرج به أبو تاشفين سنة 719هـ/1319م لمواجهة خاله محمد بن يوسف المعارض للسلطة[2]، ولم يكن أبو سعيد وأبو ثابت يتربعان على عرش السلطة الزيانية حتى خرج عليهما إبراهيم بن عبد الملك الكومي، إلا أن أبا ثابت المتكفل بأمور الجيش خرج لمواجهته "في قبيله الأعز"[3]، كما خرج لمواجهة مغراوة سنة 752هـ/1351م في جيش يضم بني عبد الواد إضافة إلى عناصر أخرى[4]، وكانوا حاضرين في معركة أنكاد ضد المرينيين سنة 753هـ/1352م[5]، وتمكن جزء منهم من الانسحاب عقب هزيمتهم في المعركة، وتمكن أبو ثابت بهذه الحصة من بني عبد الواد من هزيمة الثعالبة بمنطقة الجزائر[6].

بالرغم من سيطرة المرينيين على تلمسان وتفرق ما تبقى من بني عبد الواد في شتى المناطق، إلا أنهم تجمعوا مجددا حول أبي حمو الثاني في حركته لإحياء الدولة، غير أنهم لم يكونوا بأعداد معتبرة في البداية حسب رواية يحيى ابن خلدون[7]، واستمر الحضور العسكري رغم هذا السبب، ففي محاولته استعادة تلمسان من المرينيين خرج موسى بن علي بن برغوث " في رعلة[8] من بني عبد الواد" إلى وادي اصطفصيف[9]، كما أرسل في نفس السنة جيشا للسيطرة على تنس بقيادة شعيب بن إبراهيم المعطاوي وهو أحد وجوه بني عبد الواد[10]، وإن لم يذكر لنا التركيبة البشرية لهذا الجيش إلا أننا نرجح أنه يضم على الأقل أعدادا من بني عبد الواد، بحكم أن القائد منهم. وبعد تجدد الصراع مع المرينيين سنة 761هـ/1359م حاولوا دعم محمد حفيد أبي تاشفين، كما دعمه أيضا زيان بن أبي يحيى الراشدي، فأرسل أبو حمو ابنه أبا تاشفين مع أبي موسى عمران بن فارس اللؤلؤي في جيش خالص من بني عبد الواد المستقرين شرق تلمسان[11]، ورغم فراره إلى جبل واشيلاس إلا أن أبا حمو

[1] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص234.
[2] نفسه، ج1، ص239.
[3] نفسه، ج1، ص259.
[4] نفسه، ج1، ص262.
[5] نفسه، ج1، ص264.
[6] نفسه، ج1، ص264.
[7] نفسه، ج2، ص20.
[8] الجماعة القليلة. مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004، ص355.
[9] يحيى ابن خلدون، نفسه، ج2، ص23.
[10] نفسه، ج2، ص49.
[11] نفسه، ج2، ص63.

سير له جيشا آخر يضم بني عبد الواد المستقرين بغرب تلمسان تحت قيادة الوزير عبد الله بن مسلم[1]، كما شكلت لبنة أساسية اعتد بها أبو حمو في مواجهته للمرينيين سنة 761هـ/1359م[2]، واعتماده على قبيلته كان أمرا لابد منه خاصة في ظل خيانة العرب له في عدة مرات، ولهذا فكانت خيانة بني عامر له سنة 761هـ/1359م قد أجبرته على الخروج في جيش يضم فقط بني عبد الواد، ورغم أعدادهم القليلة نسبيا فإنه اضطر إلى الخروج بهم جميعا لتشريد محمد بن عثمان دون ترك حامية بتلمسان حسبما يفهم من رواية يحي ابن خلدون[3].

كما سار " بقومه" إلى متيجة لمواجهة منصور بن خلوف الياباني[4]، وكان بنو عبد الواد دوما السند العسكري الوفي للسلطان الزياني، فبعد تحالف كل القبائل العربية مع أبي زيان سنة 768هـ/1366م ما يعني قوة عسكرية تفوق بكثير بني عبد الواد من الناحية العددية، مما جعل أبا حمو أمام خيار الخروج لمواجهته "ببني عبد الواد كافة"[5]، ورغم تجنيده للعديد من القبائل العربية في جيشه، إلا أن الثقة لا تكون إلا في قبيلته، ويظهر ذلك في وصول المعاقلة إليه بخبر انقلابهم على المرينيين وحثّه للعودة إلى تلمسان سنة 772هـ/1370م عقب مطاردته من طرف المرينيين، إلا أنه لما أراد التأكد من صحة خبرهم لم يكتف بإرسال بني عامر فقط، بل أتبعهم بحصة من بني عبد الواد للتثبت[6]. وكان أول ما قام به أبو حمو بعد عودته إلى تلمسان سنة 774هـ/1372م قيامه بتجديد العناية ببني عبد الواد لتجديد قوته العسكرية[7] تحسبا لأي مواجهة عسكرية، وهو ما حدث، فقد أرسل أبا تاشفين لمواجهة خالد بن عامر، في جيش يضم "قبيله الأعز"[8]، وأعادوا الكرة بمحاولتهم تخريب أحواز تلمسان سنة 775هـ/1373م فتصدى لهم أبو حمو ببني عبد الواد المستقرين غرب تلمسان[9].

---

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص63.
[2] نفسه، ج2، ص72.
[3] نفسه، ج2، صص 74-75.
[4] نفسه، ج2، ص75.
[5] نفسه، ج2، ص179.
[6] نفسه، ج2، ص232.
[7] نفسه، ج2، ص259.
[8] نفسه، ج2، ص261.
[9] نفسه، ج2، ص267.

2–القبائل العربية:

أ– رياح[1]:

نسبهم الكامل رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر[2]، وهي إحدى القبائل الهلالية الداخلة إلى بلاد المغارب في إطار الهجرة الهلالية[3] خلال القرن الخامس للهجرة[4]، تعددت بطون هذه القبيلة[5] ولم تذكرها لنا المصادر، مكتفية بذكر أهم بطونها على غرار عمر بن رياح، ومرداس بن رياح، وسعيد بن رياح، وخضر بن عامر بن رياح[6].

استقروا بفاس وأحوازها خلال فترة دخولهم، كما استقرت بعض بطونهم بمدينة باجة[7] على غرار مرداس بن رياح[8]، ورغم تمكنهم من التغلب على الزيريين والحماديين وانتهاب أراضيهم، إلا أن الموحدين تغلبوا عليهم، وتمكنوا من إخضاعهم وإدماجهم في الجيش الموحدي، فكانت لهم عدة معارك شاركوا فيها بالأندلس[9]، ليغيروا

---

[1] المدونة الأندلسية ممثلة في ابن حزم كانت قاسية في حكمها على قبيلة رياح، فإذا كانت معظم أو كل القبائل العربية سواء كانت من بني هلال أو غيرها قد كان لها نصيب في تخريب بلاد المغارب، فلماذا تتهم رياح بهذا فقط خصوصا أنه في تعديده قبائل بني هلال ذكر قائلا "وبنو رياح الذين أفسدوا إفريقية" ما يطرح التساؤل عن الأسباب الثاوية وراء هذا التحيز. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، د.س، ص275.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص43.

[3] كانت هذه الهجرة نتيجة مباشرة لانفصال الأمير الزيري المعز (406-454هـ/1016-1062م) سياسيا ومذهبيا عن الفاطميين وإعلان ولائه للخلافة العباسية، فكان الوزير الفاطمي اليازوري وراء فكرة الانتقام من المعز خصوصا بعد الرسالة التي أساء له فيها، فقرر المستنصر الفاطمي إرسال قبائل بني هلال وسليم إلى بلاد المغارب سنة 443هـ/1051م بعدما منح لكل فرد منهم دينارا وبعيرا تشجيعا لهم على المضي في رحلتهم، بيد أنه وجد فيها أيضا فرصة ليتخلص من إزعاج هذه القبائل. بوقاعدة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م، ميم للنشر، الجزائر، 2015، صص130-138. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، صص581-582. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، القاهرة، 1980، ص177.

[4] وشعوب بني هلال تضم زيادة على رياح كل من زغبة والأثبج وقرة فهم كلهم أبناء هلال بن عامر. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص،ص19،23.

[5] تنقسم طبقات الأنساب إلى ست طبقات وهي على الترتيب التالي: الشعب، القبيلة، العمارة، البطن، الفخذ، الفصيلة، فالقبيلة تحتل الترتيب الثاني في سلسلة النسب. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص13.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص43.

[7] مدينة بالمغرب الأدنى، تقع على مرتفع يسمى الشمس لشدة بياضه، تضم آثار تعود للعهد الفينيقي والروماني، تتميز بأراضيها الخصبة التي تشتهر بإنتاج القمح والشعير الذي تكثر غلاتها بها، أعانها على ذلك كثرة الأنهار والعيون بالمدينة وباديتها، كما تتميز بنقاوة هوائها وارتفاع المستوى المعيشي بها ما جعلها مدينة تتمتع بالرخاء وسعة المداخيل المالية، بل أنه في وقت الحصاد لا تصبح للحنطة قيمة نظرا لكثرة محاصيلها، ولها قرى عامرة كقرية المغيرية. الإدريسي، المصدر السابق، ص290. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص160.

[8] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، صص21-22.

[9] وقد استنفرهم عبد المؤمن بن علي للجهاد بالأندلس بقصيدة مطلعها:

ولاءهم بعد قيام حركة ابن غانية المرابطي، فانضموا إليه[1] وتجرعوا معه هزيمة من الموحدين كانت نتيجتها نفيهم إلى بلاد الهبط[2] بالمغرب الأقصى[3]، ليفر بعدها أميرهم مسعود بن سلطان بن زمام سنة 590هـ/1194م رفقة قومه إلى طرابلس[4] ودخلوا في خدمة قراقوش التقوي، ثم في خدمة بني غانية[5] وسيطروا على المجالات الممتدة بين بجاية وقسنطينة[6]. وبرز منهم بطن الذواودة الذي كان من أقوى بطون رياح، وهم أولاد داود بن مرداس بن رياح[7] فنزلوا ببلاد الزاب واستبدلوا حياة الظعن والترحال بالاستقرار، وغلبوا قبيلة الأثبج[8]، وخلال العهد الزياني كانت كل بطون رياح تحت سيطرة الذواودة " ملتمسون مما في أيديهم"[9].

ب–زغبة:

ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن زغبة هم إخوة رياح، فيكون نسبهم الكامل زغبة ابن أبي ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر، تتميز زغبة بكثرتها العددية، وهو ما رجح كفتهم ومكنهم من التغلب على ملوك مغراوة والسيطرة على مجالات قابس[10] وطرابلس[11]، وبقيت تحت حكمهم إلى غاية قيام حركة ابن غانية، فوقفوا في صف الموحدين وحالفوهم في القضاء عليه، وهو ما كان له تغيير في مجالاتهم، حيث دخلوا المغرب الأوسط واستقروا في المجالات الممتدة من المسيلة وقبلة تلمسان، وكان لهم تحالف مع بني يادين في حماية المغرب الأوسط في ظل الحكم الموحدي، إلا أنه بعد ضعفهم تطاولوا لمزيد من السيطرة، فتركوا مجالاتهم بالقفار، وسيطروا على تلول المغرب الأوسط، وفرضوا الضرائب على الساكنة، فنشأ بذلك صراع بينهم وبين زناتة انتهى

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

وذكر صاحب المعجب أن عبد المؤمن أثبت الكثير منهم في قرطبة وإشبيلية. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، صص165-167.

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص176.

[2] إقليم بالمغرب الأقصى تبتدئ مجالاته من نهر ورغة وينتهي من الناحية الشمالية عند تخوم المحيط الأطلسي، ومن الناحية الغربية أودية أزغار، يتميز هذا الإقليم بخصوبة أراضيه. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص306.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، صص28-29.

[4] نفسه، ج6، ص30.

[5] نفسه، ج6، ص44.

[6] ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958، ص79.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص44.

[8] نفسه، ج6، ص31،45.

[9] نفسه، ج6، ص47.

[10] مدينة ساحلية كبيرة قريبة من طرابلس، تتمتع بمؤهلات زراعية حيث تكثر بها الثمار والأشجار، خصوصا توفرها على العديد من الشبكات الهيدروليكية من عيون وأنهار وآبار، تتكون قابس من فسيفساء عرقية متشكلة من البربر والعرب والأعاجم، كانت تابعة للحكم الأغلبي خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن الثاني إلى نهاية القرن الثالث الهجريين. اليعقوبي، البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860، ص136.

[11] عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج2، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1997، ص475.

بعودتهم إلى مضاربهم في الصحراء، غير أن ضعف السلطة الزيانية فتح لهم المجال مجددا للسيطرة على تلول المغرب الأوسط، فكانت السلطة تداريهم بالأعطيات لتضمن ولاءهم[1]، وتنقسم زغبة إلى عدة بطون نذكر منها:

بنو يزيد بن زغبة: وهو من البطون التي حرصت الدول على استقطابهم لتجنيدهم واستخدامهم في جباية الضرائب، فقد أقطعهم الموحدون بلاد حمزة لحماية مجالاتهم الشرقية من كتامة[2]، وبعد ضعفهم استأثروا بجبايتها لأنفسهم، وانتهجوا نفس الأمر عقب تهالك السلطة الزيانية وعجزها عن السيطرة على المجالات الشرقية. ينقسم بنو يزيد إلى بطون نذكر منهم حميان بن عقبة بن يزيد، بنو كرز، بنو موسى، المرابعة، الخشنة، إلا أن الزعامة كانت في بيت أولاد لاحق، لتنتقل بعدها إلى بيت أولاد معافى، ثم في بيت سعد بن مالك بن عبد القوي، وكان رئيسهم في النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة، أبو الليل بن أبي موسى[3]، وقد استعان بهم يغمراسن لمواجهة تخريب قبائل المعقل لأحواز تلمسان، فاستقدم بني يزيد من مضاربهم بالصحراء ورمى بهم المعقل[4].

حصين بن زغبة: انحصرت مجالاتهم في المدية وأحوازها، وبعد سيطرة بني عبد الواد على المدينة فرضوا عليهم الضرائب بعدما كانوا يأخذونها لأنفسهم من الثعالبة المجاورين لهم، وتقلصت مجالاتهم لتنحصر في جبل تيطري أو جبل أشير، حيث اتخذوه كمعقل يحميهم من غارات السلطة الزيانية[5]، إلا أن هذا لم يمنع مشاركتهم في بعض المواجهات العسكرية كما سنذكره في العنصر الموالي، وينقسم إلى فخذين وهما جندل وخراش[6].

بنو مالك بن زغبة: ينقسمون إلى ثلاثة بطون وهي، سويد[7] بن عامر، والعطاف، والديالم، وكانوا حلفاء لبني بادين في العهد الموحدي، امتدت مجالاتهم في نواحي سيرات[8] والبطحاء وهوارة، كما جمعت بطن سويد علاقات متينة مع بني عبد الواد في مرحلة ما قبل تأسيس الدولة[1].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، صص 54-55.

[2] مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص222.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، صص55-56.

[4] نفسه، ج6، ص56.

[5] نفسه، ج6، ص58.

[6] نفسه، ج6، ص59.

[7] تنقسم إلى عدة أفخاذ مثل شبانة، ومجاهر، وجوثة. نفسه، ج6، ص61.

[8] حاليا هي بلدية تحمل الاسم نفسه تابعة لدائرة بوقيراط بولاية مستغانم.

بنو عامر بن زغبة: ينقسمون إلى ثلاثة أفخاذ وهم، بنو يعقوب، بنو حميد، بنو شافع، شملت مجالاتهم جنوب تلمسان ومنطقة تسالة، تحالفوا مع بني يزيد وتغلبوا بالغارات على مواطن حمزة والد هوس، وكانت لهم ضريبة من الزرع قدرت بألف غرارة، يجبونها من بني يزيد نظير مساندتهم لهم في تغلبهم على قبيلة رياح، وجدير بالذكر أن توطينهم بجنوب تلمسان كان على يد يغمراسن، الذي شكل بهم حاجزا لمنع عيث قبائل المعقل[2]، وكانت الرياسة في بطن بني يعقوب، ورئيسها خلال عهد يغمراسن وعثمان هو داود بن هلال بن عطاف[3]، ومن المواقف الوفية التي كانت لهم مع بني عبد الواد رفضهم لمناصرة أبي الحسن المريني عقب سيطرته على تلمسان، حيث غادروا أراضيهم إلى الصحراء والتحقوا بالذواودة[4].

عروة بن زغبة: وهي أضعف البطون، فليس لهم مجالات معينة إلا جبل المستند قرب مجالات رياح، وتستقر بعض أفخاذهم بجبل بني راشد، وينقسمون إلى فخذين وهما، النضر بن عروة، وخميس بن عروة[5].

ج–المعقل:

وهم من أوفر القبائل من الناحية العددية، رغم أن دخولهم مع القبائل الهلالية كانوا لا يتجاوزون المائتين حسب رواية عبد الرحمن ابن خلدون، إلا أن نزولهم في القفار واستقرارهم به مكنهم من التكاثر، وبعد انتقال زناتة من القفار إلى التّلول ملكوا مجالاتهم وقصورهم بها، مثل توات وتمنطيط وتيكورارين وفرضوا ضرائب على ساكنتها[6]، ومن بطونهم نذكر:

ذوي عبيد الله: تمتد مجالاتهم من تلمسان وتشمل وجدة إلى مصب وادي ملوية، ويظعنون في الشتاء إلى قصور توات وتمنطيط وتاسابيت وتوكرارين، كانوا في صراع دائم مع بني عامر، كما كانت لهم صراع في عدة فترات مع بني عبد الواد إلا أنهم تغلبوا عليهم " فأعطوا الصدقة والطوائل وعسكروا مع السلطان في حروبه"[7].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص59.

[2] عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والغرب الإسلامي، ج1، ص102.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص68.

[4] عبد الحميد حاجيات، نفسه، ج1، ص102.

[5] ينقسمون إلى ثلاثة بطون وهم عبيد الله، وفرغ، ويقظان. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص75.

[6] نفسه، ج6، صص77-78.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، صص 80-81.

الثعالبة: وهم أولاد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير، مجالاتهم بمتيجة، وكانوا قبلها مستقرين بجبل تيطري، إلى أن غلبهم عليه بنو توجين، فانتقلوا إلى متيجة ودخلوا تحت لواء مليكش، وكانت رياستهم في بيت ولد سباع بن ثعلب[1].

ذوو منصور: تمتد مجالاتهم بين ملوية ودرعة، وهم أربعة بطون، أولاد حسين، وأولاد أبي الحسن، والعمارنة، والمنبات، تفاوتت هذه البطون من ناحية القوة والكثرة العددية، فبسبب قلتهم العددية لم يتمكن أولاد أبي الحسن من الظعن وتغيير المجالات حسب الفصول، فاستقروا بالقفار بين تافيلالت وتيكرارين بالمغرب الأقصى، بعكس أولاد حسين الذين كانت لهم قوة وتحكم في أولاد الحسن[2]، في حين كانوا في صراع مع العمارنة والمنبات، إلا أنه " يجمعهم العصبية في فتنة من سواهم"[3].

شكلت هذه القبائل العربية محور اهتمام مؤسس الدولة يغمراسن، الذي سعى جاهدا لكسبهم في صفه بمحاولته استمالتهم ليس بالمال لأن الوضع المالي للدولة لم يكن بتلك السعة التي تسمح له ببذل الأموال لهذه القبائل، فكانت استمالته لقبيلة زغبة من خلال " الاصطناع وكرم الجوار"[4] دون نسيان أن هذه الفترة كانت طبائع البداوة لازالت تتحكم في ذهنية القبيلتين[5]، فابن خلدون لم يذكر هذه العبارة اعتباطا، وإنما من معطيات منهجية، فضلا عن منحهم الاقطاعات، وقد ذكر لنا في نص آخر التحاق أولاد سباع بن يحي بخدمة يغمراسن، وأنه كساهم وجندهم[6].

د–الحضور العسكري للقبائل العربية:

شكلت قبيلة المنبات سندا قويا ليغمراسن في بداية دولته، فقد استغلوا وفاة علي بن عمر الموحدي حاكم سجلماسة لينقضوا عليها ويرسلوا ببيعتهم له، فيكون قد ضمن سندا عسكريا في عمق الأراضي المرينية[7]، كما لم ينتقم أبو ثابت لمقتل محمد بن عمر الجمي على يد مغراوة سنة 752هـ/1351م إلا بعد أن

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص84.

[2] نفسه، ج6، ص87.

[3] نفسه، ج6، ص89.

[4] نفسه، ج7،ص106.

[5] والكرم كقيمة نجده منتشرا بكثرة في المجتمعات البدوية. حسن قرني، المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012، ص240.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص46.

[7] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص297.

" استجاش سويدا وبني عامر"[1]، وكان بنو عامر حاضرين في مواجهة بني عبد الواد مع أبي عنان سنة 753هـ/1352م إثر فتنة مغراوة ورفْضِ أبي سعيد وأبي ثابت لشفاعة أبي عنان فيهم، ولم يتخلف بطن من بطونهم عن هذه المواجهة، بدليل أن رواية يحيى ابن خلدون حول هذه المواجهة قد نفى قطعا أن يكون بعض بطون بني عامر قد تخلفوا عن الحشد[2]، وهو ما كان له أثر كبير على أداء الجيش، إذ من شأنه ترجيح كفة المعركة، وهو ما أدركته بنو عامر فانقلبوا على بني عبد الواد في المعركة[3].

كما كانوا لبنة أساسية في مساندة أبي حمو الثاني في حركته من تونس لإحياء الدولة، فقد ضم جيشه عدة قبائل عربية، ولو أن المصادر لم توافنا بكل أسمائها، إلا أنها احتفظت لنا بالبعض منها، على غرار أولاد عثمان بن سباع، ورغم أن بني عامر قد كانوا السبب الرئيسي في انهزامهم أمام المرينيين سنة 753هـ/1352م، إلا أنهم ساندوا مجددا أبا حمو الثاني، بل يبدو أن مكانتهم ازدادت حظوة في فترته، بدليل وصف كاتب السلطان لهم بـ" شيعة ملكه والجار الجنب لحاضرة خلافته، حلفاء جلاء، وطرداء خوف"[4].

ولم تقتصر هذه الحركة على سيوف بني عامر، بل تجاوزتها إلى قبيلة رياح التي استألفها أبو حمو سنة 759هـ/1357م قبل مواجهة الحامية المرينية بقسنطينة[5]، وواصل تحركاته صوب تلمسان " يجر البحر الزاخر ثاغية وراغية والخميس العرموم، أبطالا عامرية ورياحية"[6].

كما توافدت عليه قبائل عربية أخرى سنة 760هـ/1358م لمبايعته " على الوفاء له في المنشط والمكره، والعسر واليسر"[7]، وانتقل الأمر إلى زغبة، بوفود أشياخ قبيلة بني يبقى عليه " ثم رسل حيزية العرب أجمعين"[8].

وفي إطار حركة المرينيين إلى تلمسان سنة 760هـ/1358م، كان العرب حاضرين في الجيش الزياني من عدة قبائل، فبعد إخلاء أبي حمو لتلمسان وخروجه إلى منطقة درج، وصلته حشود بني عامر "فتلقته

[1] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص262. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص160.
[2] يحيى ابن خلدون، نفسه، ج1، ص263.
[3] نفسه، ج1، صص263-264. التنسي، المصدر السابق، ص154.
[4] يحيى ابن خلدون، نفسه، ج2، ص20.
[5] نفسه، ج2، ص20.
[6] نفسه، ج2، ص21.
[7] نفسه، ج2، ص22.
[8] نفسه، ج2، ص22.

أرهاطهم وعشائرهم بالحميات المحضات، والأهواء المؤتلفة، والعزائم المطرورة، فأنزلوا خباءه السعيد مطافة بقمره هالة حللهم"[1]، وقبائل زغبة[2]، إضافة إلى قبائل المعقل "شيعة أمره العزيز" الذين ألحقوا هزيمة بالمرينيين بوجدة بعدما أمرهم أبو حمو بمسيرهم إليها[3].

استمر الحضور العسكري للقبائل العربية في المواجهات مع المرينيين، ففي سنة 761هـ/1359م فقد تجدد الصراع بين أبي سالم وأبي حمو عقب فسخ معاهدة السلم بينهما، فضم هذا الأخير قبائل المعقل ببطونها من أولاد حسين، والعمارنة، وأولاد هداج، وأولاد خراج، واحتشد أيضا قبائل بني عامر ببطنيها حميد، وبني يعقوب، إلا أنه واجه مشكلة بسبب الصراع الذي كان ناشبا بين المعقل وبني عامر، وهو ما كان يستدعي منه المؤاخاة بينهما[4].

ورغم إخلاء المرينيين لتلمسان عقب مخالفة أبي حمو إياهم في المغرب وتخريبه لعدة قرى ومدن تابعة لهم، إلا أنهم نصّبوا محمد بن عثمان بن أبي تاشفين ودعموه لمواجهته، وهو ما استدعى منه الخروج مجددا لتشريده عن أحواز تلمسان، خصوصا أنه نزل على قبيلة سويد التي أجارته، ففي نفس السنة "استجاش أيده الله، بني عامر، وبني يعقوب، وأولاد حسين المعقل"[5]، وحرص أبو حمو للحفاظ على وشائج العلاقة التي تربطه ببني عامر، بالرغم من التوترات التي تخللت هذه العلاقة في بعض الفترات، وهو ما تمكن أبو حمو من ترميمه باللجوء إلى سياسة البذل التي لاقت طريقها إلى هذا القبيلة، خصوصا أنه كان دوما بحاجة إلى قوتهم العسكرية في معاركه، وهو ما كان الحال سنة 763هـ/1361م أين تحالف خالد بن عامر مع أبي زيان بن أبي سعيد، فأرسل أبو حمو الشيخ وادفل بن عبو، ووزير أشغاله عبد الرحمن بن مخلوف الشامي " بالمال العديد إلى العرب العامرية، فاستألفوا جميعها، دون خالد المذكور"[6].

وفي نفس الإطار العسكري خرج الوزير عبد الله بن مسلم إلى نواحي سنة 764هـ/1362م إلى أحواز بجاية "يستألف العربان من زغبة ورياح، ويضم الحشود فارسا وراجلا"[7]، واعتداد أبي حمو الثاني ببني عامر وصل

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق ج2، ص48.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص166.
[3] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص48.
[4] نفسه، ج2، ص72.
[5] نفسه، ج2، صص74-75.
[6] نفسه،ج2، ص107.
[7] نفسه، ج2، ص127.

إلى حد التغني بهم في قصائده الشعرية التي وصف فيها بعض معاركه، حيث يقول في أحد القصائد التي نظمها سنة 764هـ/1362م وجهها إلى الوزير المريني عمر بن عبد الله بن علي:

وافتْ بنو عامرْ منْ كُل ناحية في خيلها العربُ أو في نجْعها الأشب[1]

كما تغنى ببطن عبيد الله المعاقلة وكثرتها العددية التي غطت السهل والجبل:

ومنْ أمام عبيد الله في أُمم فاضت مواكبُها بالبيد والشعب[2]

وفي قصيدة أخرى نظمها سنة 773هـ/1371م يقول في أحد أبياتها مشيدا ببني عامر والمعاقلة الذين ساندوه في خروجه من تلمسان بعد ملاحقته من طرف المرينيين:

منْ عامري ضيغم[3] يوْم الوغى أو معْقلي بهمة لم يُرْفد[4]

ونتيجة لهذا الاعتداد ضمهم في حملته إلى بجاية سنة 767هـ/1365م بعد مقتل صهره أبي عبد الله محمد بن يحي حاكم بجاية، وجدير بالذكر أنه لم يحشد بني عامر فقط، بل المعقل، وسويد، والديالم، والعطاف، وحصين، وغريب[5].

شكلت معارضة أبي زيان للسلطة ضغطا كبيرا على السلطة الزيانية، اضطرت أبا حمو إلى إرسال ابنه أبي تاشفين "لاستجاشة سويد والديالم والعطاف"[6]، ونتيجة لتوسعه وسيطرته على عدة مناطق في الناحية الشرقية، قرر أبو حمو الخروج لمواجهته بنفسه، فاستقدم شيوخ قبيلة زغبة ليتفاوض معهم حول الخروج معه، ورغم أنهم كانوا "أهل خداع"[7] إلا أنه أقنعهم " بالمال العديد والبلاد الغزيرة، تأليفا لقلوبهم، وطبا لمرضها

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص151.
[2] نفسه، ج2، ص151.
[3] الأسد الواسع الشدق. مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ص541.
[4] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص250.
[5] نفسه، ج2، ص170. عبد الرحمن ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص97.
[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص179.
[7] نفسه، ج2، ص186.

المعضل"[1]، كما انضم إليه قبل المواجهة كل من " أولاد عمر بن إبراهيم، وأولاد عسكر، ولفهم من بني عامر، ومحمد بن عريف ولفه من سويد"[2].

وكان من نتائج التفاف معظم القبائل العربية حول أبي زيان ومحالفته انهزام أبو حمو، وعودته إلى تلمسان وقد أمن نفسه بإرسال أولاد عسكر وأولاد عمر بن إبراهيم للنزول بجبل تسالة تحسبا لمعاودة المواجهة مع أبي زيان[3]، وخرج في نفس السنة ومعه حشود زغبة وتمكن من هزيمتهم[4]، كما ضمن طاعة الذواودة وأمرهم بالهجوم على بجاية ومباغتة أبي زيان من الجهة الخلفية[5].

وأرسل ابنه أبا تاشفين ومعه قبائل سويد، والديالم، والعطاف، وبني يعقوب لتشريد المعارضين[6]، وفي سنة 769هـ/1367م عسكر بمنطقة شلف، وأرسل عمر بن محمد بن مجن إلى قبائل رياح "يدعوهم إلى طاعته والكدح في خدمته"[7]، ولم يكتف بهم فقط، بل جند بني عامر والمعقل وبني يعقوب والديالم والعطاف، وخرج بهم إلى النواحي الشرقية لتشريد المعارضين والقضاء على أبي زيان[8]، إلا أنه انهزم مرة أخرى بسبب خيانة بعض القبائل العربية له، حسب رواية يحي ابن خلدون الذي ذكر أن طائفة من العرب انقلبت مع العدو[9]. كما آخى بين سقير بن عامر وأولاد عسكر بن معرف مع بن سقير وأرسلهم في جيش إلى جبل هوارة[10].

يمكن القول أن أبا حمو كان يسير وفق سياسة الباب المفتوح مع كل القبائل سواء البربرية أو العربية، فقد كان يستقبل كل من يطرق بابه طالبا الدخول في طاعته والانضمام لجيشه، ولهذا فقد كانت الاضطرابات التي تحدث في البلاط المريني تخدمه كثيرا، فقد كانت تؤدي إلى انفضاض الكثير من القبائل العربية عن المرينيين، مثلما هو الحال مع عرب المعقل ممثلة في بطونهم أولاد حسين والعمارنة والمنبات، الذين دخلوا المغرب الأوسط

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص186. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص174.
[2] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص187.
[3] نفسه، ج2، ص188.
[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص174.
[5] نفسه، ج7، ص174.
[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص189.
[7] نفسه، ج2، ص193.
[8] نفسه، ج2، ص195.
[9] نفسه، ج2، ص195.
[10] نفسه، ج2، ص197.

" طرداء خوف ملكة الدائل السلطان أبي فارس عبد العزيز"[1]ورغم بعض الظروف السياسية الحرجة التي تطلبت منه أن يتخلى عنهم لتحقيق مطالب سياسية إلا أنه لم يقدم على ذلك، ففي سنة 771هـ/1369م لما اعتزم تجديد الصلح مع المرينيين طلب منه أبو فارس عبد العزيز أن يطرد عرب المعقل من المغرب الأوسط فرفض ذلك، بل وسلحهم وأرسلهم لحصار سجلماسة[2]، فخرج إليه أبو فارس عبد العزيز لمواجهته، فجند أبو حمو "قبيل بني عامر بأسره"[3].

كما أقام سنة 773هـ/1371م بمنطقة ملالا إلى أن وصلته حشود " أولاد عسكر بن معرف، وخلطاؤهم من بني عامر وعبد الله بن سقير"[4]، ولدى عودته إلى تلمسان سنة 774هـ/1372م شرع مجددا في " إيلاف العرب الشرقية والغربية لخدمته"[5]، وأرسل ابنه أبا تاشفين لمواجهة خالد بن عامر بجيش يضم العرب[6]، وتلقى في نفس السنة هزيمة من المرينيين، وما يهمنا في هذا المقام هو حديث عبد الرحمن ابن خلدون عن وجود عبيد الله وبني عامر ضمن عناصر الجيش الزياني[7]. وفي سنة 777هـ/1375م جمع أبو تاشفين حصين والثعالبة لمواجهة أبي زيان وحشود العرب المتحالفين معه[8].

ولم يجد أبو حمو بعدما دخل في صراع مع ابنه أبي تاشفين إلا أن يستنجد بالعرب، فبعدما نزل في بجاية وفر من الاعتقال سنة 789هـ/1387م نزل بمتيجة " واستنفر طوائف العرب من كل ناحية"[9]، وكان توجهه إلى منطقة تازة خصيصا ليستنجد بعرب المعقل لمساندته، وهو ما تمّ له سنة 790هـ/1388م[10]، و المنحى

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص212.
[2] نفسه، ج2، ص224.
[3] نفسه، ج2، ص225.
[4] نفسه، ج2، ص241.
[5] نفسه، ج2، ص259.
[6] نفسه، ج2، ص261.
[7] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص178.
[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص306.
[9] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص193.
[10] نفسه، ج7، ص194.

نفسه سار عليه ابنه أبو زيان، فقد استنجد بعرب حصين ليثأر لمقتل أبيه " فاشتملوا عليه وأجابوا صريخه"[1]، كما لحق بالصحراء سنة 792هـ/1389م " واستألف أحياء المعقل"[2].

وسجل نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع ضعف السلطة الزيانية وسيطرة العرب على الكثير من المناطق وممارستهم الحرابة[3]، وبالتالي استمر حضورهم العسكري أكثر، برغم أن المصادر لم ترصد لنا تفصيلات عن التركيبة البشرية في الوقائع العسكرية التي خاضتها السلطة الزيانية إلا ما ندر منها، حيث استنجد ابن خولة بالعرب في إطار حركته للعودة إلى تلمسان، في ظل سكوت التنسي عن تزويدنا بأسماء هذه القبائل مكتفيا بعبارة مقتضبة " مستجيشا بعربها"[4].

3–القبائل الزناتية:

فضلا عن القبائل العربية، شكلت القبائل البربرية سندا للدولة الزيانية في مواجهاتها العسكرية، إلا أن المطّلع على حيثيات هذا الحضور العسكري يجد أن الحكم الآنف الذكر ينطبق فقط على قبيل بني عبد الواد، وهو استنتاج طبيعي لانزعم بغيابه في الدراسات التاريخية التي عالجت تاريخ الدولة الزيانية، بحكم أن هذا القبيل هو مؤسس الدولة والقائم بأمورها، فيكون ملتفا حول الحاكم في كل حركاته، باستثناء بعض الفترات التي شهدت انقسام داخل البلاط فكان ينتج عنها صراع داخلي، في حين نجد حضورا محتشما لبعض القبائل التي شكلت الغريم الأساسي لبني عبد الواد، جنبا إلى جنب مع المرينيين والحفصيين، بدليل تحالفهم معهم عدة مرات خصوصا المرينيين، وفي مقدمتهم مغراوة وبني توجين، وللمتسائل أن يتسائل عن خلفيات مشاركتهم في بعض المعارك وهم أعداء لبني عبد الواد؟.

على أنه تجدر الإشارة إلى أن تواجدهم كان في بعض الفترات فقط التي حدث فيها تقارب ظرفي لهذه القبائل مع السلطة الزيانية، وسرعان ما ينفكّ نتيجة مسببات عدة ليس المجال سانحا للتفصيل فيها، وإذا رام الباحث أن يتتبع هذا الحضور العسكري الزناتي سوف يجد مطبات تعترض سبيله، تأتي في مقدمتها الطابع التعميمي لمصادر المرحلة، فباستثناء بعض الإشارات المعدودة التي كشفت فيها عن اسم القبيلة المشاركة، فإنه على العكس من ذلك في باقي المعلومات التي اكتفت فيها بالإشارة إلى مشاركة قبائل زناتة في الجيش الزياني،

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص196.

[2] نفسه، ج7، ص196.

[3] أبو زكريا يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج1، 4، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص382، ص183.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص245.

ومع ذلك سنحاول تقديم البعض من هذا الإشارات المصدرية لنقف على مدى تنوع التركيبة البشرية للجيش الزياني:

أ–مغراوة:

ينسبون إلى مغراو بن يصلتين بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت، تنقسم إلى عدة بطون على غرار بني يليث، وبني زنداك، بني ورا، الأغواط[1]، بنو نلت، بنو مائدة، بنو تيغرين، وهران[2]. تمتد مجالاتهم من منطقة شلف إلى تلمسان إضافة إلى جبل مديونة[3] في حين وسعها أحد الباحثين إلى وادي ملوية[4]. تميزت بكثرتها العددية، وهو ما سمح لها بتأسيس عدة إمارات، على غرار إمارة محمد بن خزر بتلمسان، إمارة آل زيري ابن عطية بفاس، إمارة بني خزرون بسجلماسة، إمارة بني يعلى بتلمسان[5]، وهو ما يفسر الصراع الذي دخلت فيه مع بني عبد الواد، صراع الرصيد التاريخي الذي كان لمغراوة مقابل بني عبد الواد الذين لم يؤسسوا إمارات من قبل[6].

ب–بنو راشد:

بني راشد بن محمد بن يادين، انحصرت مجالاتهم بالصحراء بجبل راشد وأحوازه، على أنها تغيرت بعد ضعف بني يلومي، حيث زحف بنو راشد وغيروا النمط من الاستقرار الجبلي إلى بسائط مديونة وبني ورينـد، حيث شنوا العديد من الغارات على بني يلومي مكنتهم من إزاحتهم عن مجالاتهم، ليعودوا إلى النمط الجبلي باستقرارهم بجبل بني راشد بعد هزيمة العرب لهم، بنو راشد كانوا متحالفين مع بني عبد الواد خلال صراعهم مع توجين وبني مرين، انحصرت رياسة هذه القبيلة في بيت بني عمران، وقد كان رئيسهم في بداية الدولة العبد الوادية يدعى إبراهيم بن عمران[7].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص33.

[2] علي بن محمد بن الخطيب القريشي التلمساني، كتاب نسب زغبة ومنهى أصلهم، تحقيق طيب بوجمعة نعيمة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019، ص120.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص33. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص23. بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص279.

[4] إسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج1، الدار البيضاء، 1985، ص29.

[5] بوزياني الدراجي، نفسه، ج1، ص272.

[6] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص18.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص203.

ج–بنو توجين:

ينتمون لبطن بني بادين، وينقسمون إلى فرعين وهما بنو مدن وبنو رسوغين، انحصرت مجالاتهم بوادي شلف والوانشريس، ثم سيطروا على بسائط السرسو بعد تغلبهم على بني وجديجن ومطماطة، تتفرع إلى عدة بطون على غرار بني يدللتن التي تعد من أقوى بطونها[1]، بنو قمري، بنو مادون، بنو زنداك، بنو وسيل، بنو قاضي، بنو مامت، وهي من القبائل التي فرضت وجودها بفضل أعداد مقاتليها المعتبرة، فقد وصفهم عبد الرحمن ابن خلدون أنهم من "أعظم أحياء بني يادين وأوفرهم عددا"[2]. تعود جذور صراعهم العسكري مع بني عبد الواد منذ العهد الموحدي، كما تغلبوا على مغراوة وسيطروا على العديد من مجالاتها، مثل منداس والجعبات وتاوغزوت[3]، كان أميرهم في بدايات الدولة العبد وادية يدعى عبد القوي، ثم خلفه ابنه يوسف بعد وفاته سنة 647هـ/1249م، ثم قتله أخوه محمد وتولى الإمارة، علاقتهم مع بني عبد الواد "تختلف في السلم والحروب"[4].

د–الحضور العسكري للقبائل الزناتية:

شجعت هزيمة ومقتل السعيد أمام يغمراسن، هذا الأخير على التوغل في أراضي الموحدين بالمغرب الأقصى، فكانت هذه المغامرة لدولة ناشئة تحتاج دعما عسكريا يعتد به مواجهة قبائل المغرب وعلى رأسها المرينيون، فشكل يغمراسن حشدا متنوعا ضم " سائر أحياء زناتة"[5]، واتبع أمراء الدولة تقريبا نفس النهج في حشدهم لمختلف القبائل الزناتية التابعة للسلطة، فقد قام أبو تاشفين سنة 719هـ/1319م بحشد "سائر القبائل من زناتة"[6]، وكرر الأمر سنة 733هـ/1332م[7]، ولم تكتف السلطة بحشد القبائل المستقرة بالمجالات القريبة من تلمسان فقط، بل تعدتها إلى المناطق البعيدة نسبيا عنها، مثلما كان الحال مع أبي ثابت الذي دخل بلاد حمزة سنة 751هـ/1350م وجند القبائل البربرية المستقرة بها[8]. كما شكل خروج أبي عنان للسيطرة على

---

[1] بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (7–8هـ/13–14م) من خلال كتاب العبر لابن خلدون، مذكرة ماجستير، جامعة وهران السانيا، 2009–2010، ص12.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون،العبر، ج7، صص205–206.

[3] نفسه، ج7،ص207.

[4] نفسه، ج7، ص208.

[5] نفسه، ج7، ص208.

[6] نفسه، ج7، ص142.

[7] نفسه، ج7، ص147.

[8] نفسه، ج7، ص159. هل هذا يعني أن بعض بطون زناتة قد استقرت في مجالات زواوة خلال الفترة مدار الدرس، والممتدة بين بجاية شرقا ودلس غربا وسفوح جرجرة جنوبا؟. مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 6–9هـ/12–15م، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2011، ص55.

تلمسان سنة 753هـ/1352م سببا موجبا لتجديد حشد القبائل الزناتية لموازنة الكثرة العددية للجيش المريني[1].

ويبدو أن العديد من القبائل الزناتية تحمست لعودة أبي حمو الثاني لإحياء الدولة الزيانية، نعتمد هذا الرأي في ظل رواية يحي ابن خلدون الذي وصف جيش موسى بن علي بن برغوث بـ "الجراد المنتشر من رجال زناتة وفرسانهم"[2]، كما استعد لمواجهة المرينيين سنة 761هـ/1359م بضمه للحشود الزناتية المتحالفة معه[3]، على أن هذا الحضور الزناتي استمر، ففي ظل تحالف معظم القبائل العربية مع أبي زيان، كان على أبي حمو تعويض هذا النقص باستنفار " أحلافهم من زناتة أجمعين"[4].

ومن أبرز القبائل الزناتية التي كان لها حضور متقطع في الجيش الزياني نذكر بني راشد وتوجين، فالأولى سجلت المصادر حضورها مع يغمراسن في معركة إيسلي[5]، ومع أبي حمو الثاني في حملته لمواجهة المعارضين بمنطقة المدية[6] باستثناء هاتين الإشارتين غاب كل ذكر لبني راشد في باقي حروب السلطة الزيانية، فهل تدخل مشاركاتها الأخرى ضمن قبائل زناتة التي أكثرت من ذكرها مصادر المرحلة؟.

كما سجلت المصادر حضور قبيلة توجين في بعض حروب السلطة الزيانية، كان الحضور الأول في معركة إيسلي، بقيادة عبد القوي بن عطية الذي تحالف مع يغمراسن[7]، والثاني في إطار حملة أبي تاشفين على المغرب الأدنى بعدما استنجد العرب به، حيث شارك توجين في هذه الحملة العسكرية وكانوا سببا للهزيمة حسب ما ذكره يحي بن خلدون من أنهم "انهزموا دون حرب كبيرة، فانهزم الناس لهزيمتهم"[8]، ما يعطي تلميحا إلى تأثيرهم في الجيش الزياني، فقد يكون حشدهم في المعركة كبيرا، أو أنهم كانوا في مقدمة الجيش أو في إحدى

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص161.
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص24.
[3] نفسه، ج2، ص72.
[4] نفسه، ج2، ص197.
[5] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص310. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص244.
[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص185.
[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص112.
[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص240.

جهتيه بحيث أثر انهزامهم على سير المعركة، كما شاركوا مع أبي حمو الثاني سنة 768هـ/1366م في الجيش الذي سيره لمواجهة أبي زيان[1]، إضافة إلى استجابتهم لحشد أبي حمو المتوجه في السنة نفسها إلى المدية[2].

فضلا عن بني راشد وتوجين وباقي بطون قبائل زناتة، سجلت مغراوة حضورها في الجيش الزياني، مع التأكيد على ظرفية هذا التواجد، لأن السلطة الزيانية دخلت في صراع مرير معها كما أوضحنا ذلك في الفصل الأول، وسواء كان هذا تحالف معها أو نتيجة تسخيرها بالقوة، فإن مصادر المرحلة اعتبرت أول حضور لهم كان سنة 647هـ/1249م وهي السنة التي عزم فيها يغمراسن على التوغل في أراضي المغرب الأقصى، فانضم إليه بنو منديل المغراويين[3]، ويبدو أن الدوافع الاقتصادية كانت خلف هذه المشاركة العسكرية بما تنطوي عليه الغارات والحملات العسكرية من مكاسب مالية، كما ساندوا أبا سعيد وأبا ثابت في إحياء الدولة سنة 749هـ/1348م[4]، وشاركوا معهم في معركة تيعزيزن ضد أبي الحسن المريني سنة 751هـ/1350م[5]، وبعد خيانة علي بن راشد لأبي ثابت وانتحاره، كانت فرصة أمام أبي ثابت استغل فيها بقاءهم دون قائد فصفح عنهم " وضمهم إلى عسكره"[6] كما كانوا في جيش أبي حمو الثاني سنة 762هـ/1360م حسبما أفادنا به يحي ابن خلدون[7].

4–الغز:

وهم قبائل رعوية رحالة من أعاجم بلاد خراسان، انحصرت مجالاتهم في ثغور ساروج وثغور أذربيجان التي تعتبر من أكبر مدنهم[8]، كما استقرت بعض بطونهم بجبل شهرزور، تميزوا بكثرتهم العددية، إلا أنهم اضطروا للهجرة عقب سقوط الخلافة العباسية، وما يهمنا في هذا العنصر هو هجرة عشيرتين منهم إلى بلاد المغارب خلال أواخر العهد الموحدي، وهما بنو لوين، وبنو بابير، حيث نزلوا على الخليفة الموحدي المرتضى[9]، وذكر ابن

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص179.
[2] نفسه، ج2، ص185.
[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص88.
[4] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص253.
[5] نفسه، ج1، ص261.
[6] نفسه، ج1، ص263.
[7] نفسه، ج2، ص81.
[8] الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س، ص60.
[9] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص149.

الأعرج أنهم دخلوا في عهد قراقوش التقوي خلال حملاته على الثغور الشرقية لبلاد المغارب[1] في حين أن بعض المصادر ذكرت أن دخولهم كان خلال العهد المرابطي، حيث استخدمهم يوسف بن تاشفين في جيشه[2]، إلا أن هذه الرواية لم تجد تصديقا لدى بعض الباحثين الذين فنّدوها بدعوى أنه لا يوجد ما يعضدها من نصوص تثبت صحتها، إضافة إلى افتراضهم أن ابن أبي زرع اختلط عليه الأمر وظن أن مصطلح الأغزاز يعني به الرماة[3]، إلا أننا لا نميل لوجهة نظرهم هذه بحجة أن ابن أبي زرع ذكر الأغزاز وتلاه بالرماة، وهو يدري ما يكتب بحكم أن هؤلاء اشتهروا بالرماية فخصهم بذكر لوحدهم ولم يدرجهم في صنف الرماة تقديرا لبراعتهم في هذا الفن.

بعد سقوط دولة الموحدين تفرقت جموع الأغزاز في بلاد المغارب، وتنافس الأمراء في استقطابهم نتيجة شراستهم في القتال ومهارتهم في فنون قتالية اختصوا بها خاصة الرمي[4] فانخرطت بعض جموعهم في الجيش المريني[5]، في حين انضمت جموع أخرى ليغمراسن، كما انضم أحد وجوه بطن بني بابير وهو موسى بن علي إلى عثمان بن يغمراسن بعدما كان في صف المرينيين[6]، غير أن المصادر نادرا ما ذكرتهم في تعداد الجيوش باستثناء واحدة منها في إطار خروج أبي يعقوب والوزير عبد الله بن مسلم لحصار الجزائر حيث "جمعت محلتهما الأجناد والأغزاز"[7].كما صنفهم ابو حمو ضمن قسم مماليك الملك، وقسمهم إلى أربعة أقسام وهم الوصفان، الأتراك، الأعلاج، مناصفون[8] .

---

[1] ابن الأعرج السليماني، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، تحقيق مختار حساني، ضمن كتاب التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص100.

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص139. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص181.

[3] هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1980، ص151. أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1997، ص91.

[4] Fatima Zohra Bouzina Oufriha, au temps du royaume zeiyyanide la vie économique, enag edition, alger, 2017, p42.

[5] لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، ج2، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.س، ص311، 316، 339.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، صص 149-150.

[7] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص85.

[8] أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص145.

5–العبيد والأعلاج:

رغم أن مصادر المرحلة لم تشر إلى الحضور العسكري للعبيد والأعلاج في المعارك، إلا أننا نطمئن إلى وجودهم في الجيش الزياني بدليل أن أبا حمو الثاني صنفهم ضمن مماليك الملك وسمى العبيد السود بالوصفان والأعلاج باسمهم[1]، وكان الوصفان يتم إخصاؤهم حسب أحد الباحثين[2] ما ينم عن حضورهم بصفة محتشمة في الجيش الزياني، بحكم أنهم كانوا يشترون لاستخدامهم في أغراض أخرى خصوصا العمل في القصور وحراسة الحريم في المعارك[3]، بدليل أن أبا حمو بعد هزيمته على يد العرب سنة 769هـ/1367م انسحب من ساحة المعركة وولى الخصيان أمر الحرم[4]، ويذكر بعض الباحثين استنادا إلى تصنيف أبي حمو الآنف الذكر أن هؤلاء العبيد كانوا يستخدمون كحراس للملك[5]، ومن القرائن الدالة على ما ذهب إليه أن أبا حمو أفرد توصيات لهم بحيث " لا يفارقونك طرفة عين، ولا يزالون تلقاء وجهك كل أين"[6]، أما في ركوبهم مع الأمير، فالأعلاج يكونون أمام الأمير، أما العبيد السود يركبون خلفه مع الفرسان وفرقة أهل الدخلة[7].

6–المرتزقة المسيحيون:

لم يكن ضم النصارى للجيش الزياني بالأمر المستحدث في بلاد المغارب، فقد استخدم المرابطون المرتزقة النصارى في جيشهم[8]، وحتى الموحدون الذين عابوا عليهم هذا الأمر ساروا على نهجهم وضموا هؤلاء في جيشهم، وتفرقوا بين دول ما بعد الموحدين، وكان للسلطة الزيانية توجه لاستقطابهم وتجنيدهم منذ بدايات تأسيس الدولة، خصوصا مع الرصيد العسكري الذي اكتسبوه في الجيش الموحدي، فبعد هزيمة يغمراسن للسعيد الموحدي جند فرقة من النصارى المرتزقة " مستكثرا بهم مباهيا بهم في المواقف والمشاهد"[9] حددتها بعض المصادر بألفي جندي[10]، وهو ما شكك فيه ديفورك معتبرا إياه رقما مرتفعا نسبيا[1].

---

[1] أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص145. والوصيف هو العبد. ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص357.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص184.

[3] ويقال لهم أهل الدار. خالد بلعربي، ورقات زيانية، ص19.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص196.

[5] لطيفة بشاري زوجة بن عميرة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012، ص220.

[6] أبو حمو موسى الثاني، نفسه، ص145.

[7] نفسه، ص145.

[8] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، صص32-33.

[9] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص113.

[10] يحي بن خلدون، نفسه، ج1، ص228.

وفي سنة 648هـ/ 1250م جرى اتصال دبلوماسي بين يغمراسن ومملكة أراجون حيث أرسل شخصا يدعى أبو عمران موسى رفقة تاجر من برشلونة، وكان فحوى المراسلة طلب يغمراسن دعمه بفرقة من الفرسان القطلانيين للانضمام إلى جيشه[2]. إلا أنه بعد بضع سنوات اضطر إلى القضاء عليهم نتيجة محاولتهم قتله في استعراض الجيش بالمنية، وانتهت هذه المحاولة بمقتل كل المرتزقة النصارى في الجيش[3]، إلا أن أحد الباحثين ذكر أن فرقة من هؤلاء المرتزقة التحقت بخدمة المرينيين[4]، مما يبين أن بعضهم نجوا من القتل؛ وذكر يحي ابن خلدون أن هذه الحادثة كانت " السبب في عدم استخدام النصارى عند بنيه حتى الآن"[5]، إلا أن هذا الحكم سرعان ما يسقط بالنظر إلى المعاهدات التي عقدتها السلطة الزيانية مع الإسبان، والتي تم بموجبها ضم جنود نصارى للجيش الزياني؛ هي مقولة ترددت في مجمل الكتابات التي تناولت هذه الجزئية؛ إلا أن ديفورك وعى حقيقة الأمر واستنتج أن الكتائب المسيحية تواجدت بالجيش الزياني وأن الأمر الذي تغير بعد هذه المحاولة الانقلابية هو أخذ الكتائب الأراغونية مكانة الكتائب القشتالية، وهو ما يعطي انطباع بأن الكتيبة التي قامت بهذه المحاولة هي كتيبة قشتالية[6]؛ ففي سنة 665هـ/1266م تواجدت فرقة أراغونية في الجيش الزياني بقيادة رجل دين يدعى الأب دي فيلارجو[7] ليعقبه قائد آخر يدعى قيوم قالثيران دي كارتيلا[8]، كما تواجدوا سنة 670هـ/1271م في معركة إيسلي أين قتلوا عن آخرهم على يد المرينيين، وفي سنة 679هـ/1280م ترأس الفرقة المسيحية قائد يدعى جوم بيريز، وكان على رأس الفرقة القطالونية القائد رودريقو سانشيز دي فيرغاس، أما في عهد أبي حمو موسى الأول ترأس الفرقة فيليب دي مورا[9] .

---

[1] Charles Emmanuel Dufourcq, L'Espagne Catalane et le Maghrib aux 12 et 13 siécles, presses universitaires de France, Paris, 1966, p150.

[2] رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007، ص18.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص403.

[4] مصطفى نشاط، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، 1995، ص121.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص228.

[6] Charles Emmanuel Dufourcq, op-cit, p151.

[7] عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص64.

[8] عبد العزيز فيلالي، الأقلية المسيحية في تلمسان الزيانية ودورها في المجال العسكري والتجاري والعمراني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 19، العدد 1، جامعة الأمير عبد القادر، 2004، ص192.

[9] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، صص188-189.

كما عقد أبو تاشفين الأول معاهدة مع جاك الثاني ملك أراغون في 24 أفريل 1319م تم بموجبها تجنيد كتائب في الجيش الزياني[1] بقيادة الفارس قيوم استيريس[2]، وهي كلها قرائن تسمح لنا بتفنيد رأي يحي بن خلدون السالف الذكر، والذي يبدو من خلاله أنه متحيز للسلطة الزيانية، فقد تحاشى ذكر تواجدهم لتلميع صورة البلاط الزياني، في المقابل من ذلك ندعم رأي ديفورك. ويبدو أن هؤلاء المرتزقة كانوا يدخلون الإسلام نتيجة احتكاكهم بالمجتمع التلمساني، بدليل أن إحدى الرسائل الصادرة عن البابا نيكولاس الرابع الصادرة بتاريخ 9 فيفري 1290م يوصي فيها الفرسان والبارونات العاملين بجيوش بلدان دول المغارب بالحفاظ على دينهم وسط ما سماهم بالكفار[3].

ختاما يمكننا القول أن توصل يغمراسن إلى أن الاعتماد على القوة العسكرية لقبيلته لا تمكنه من قطع أشواط بعيدة في التمكين لدولته الناشئة والدفاع عن أراضيها، بحكم أن قبيلة بني عبد الواد لم تكن بأعداد كبيرة مقارنة مع المرينيين، وقد رصد ذلك ابن خلدون مقارنا إياهم مع المرينيين الذين كانوا يفوقونهم بثلاثة أضعاف، وهو ما جعل أمراء الدولة يتخذون سياسة استقطاب القبائل العربية والبربرية واستغلال توازنات التحالفات والعداء لتجنيد مختلف القبائل ضمن جيشها، على أننا رأينا أن اعتمادها عليهم كان متباينا تحكمت فيه علاقات هذه القبائل مع السلطة سلما وعداء بحسب ما تدره عليها السلطة من إقطاعات وغنائم، كما رأينا أنّ حضور القبائل العربية في جيش أبي حمو الثاني كان كبيرا بل كان لهم الفضل في إحياء الدولة الزيانية، وتعدت عملية التجنيد إلى المرتزقة الإسبان وهو تقليد موحدي تواصل حضوره في دول ما بعد الموحدين، فقد كان لهم الحضور البارز منذ فترة يغمراسن، ورغم محاولتهم الانقلاب عليه إلا أن حضورهم استمر في الجيش الزياني، إضافة إلى الغز الذين شكلوا إضافة نوعية للجيش الزياني باحترافهم الرماية.

[1] Mas Laterie, traités et documents divers concernants les relation des chrétiens avec les arabes de l'afrique septentrionale au moyen age, henripalon, imprimeur de l'empereur, paris, 1866,p312.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج1، صص188-189. خالد بلعربي، ورقات زيانية، ص20.

[3] Mas Laterie, op-cit,p17.

ثانيا: إدارة الجيش:

1–ديوان الجند:

لاشك أن الجيش باعتباره الأداة الأساسية للحفاظ على سيادة الدولة وهيبتها على رعاياها ومواجهة خصومها، يقوم على أسس وتنظيمات وبنى تساهم في ثباته وتفادي القلاقل بين صفوف الجند، من هنا كانت إدارة الجيش توازي في أهميتها ترتيبات ما قبل المعارك للظفر بالانتصار، والجند هم في واقع الأمر بشر، أي يتأثرون بمتغيرات عدة، من شأنها أن تنعكس على أدائهم العسكري سلبا أو إيجابا، لذلك حرص الحكام على تخصيص وزارة مخصصة للجند سميت في كتب الآداب السلطانية بديوان الجند، ويترأس هذا الديوان موظف برتبة وزير تنحصر مهمته في " النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة"[1] وكان يلقب في الفترة مدار الدرس بالمزوار، حيث يعد تحديد أجور الجند من بين مهماته[2]، كما وجدت وظيفة كاتب العسكر والتي تولاها في عهد يغمراسن الفقيه أبو عبد الله محمد بن المعلم[3]، وانحصرت مهمة صاحبها في تسجيل الجنود وأنواعهم حسب الأسلحة التي يستخدمونها، ويكون ذلك غالبا خارج تلمسان حيث يجتمع الجيش، ويجلس الكاتب بجانب الأمير ويسجل العدد[4] وربما بالاسم، وأغلب الظن أنه أثناء تسجيله يتلقى أوامر من الأمير برفع أجر جنود معينين أو قبيلة معينة حسب درجة وفائها وولائها له.

2–تعداد الجيش:

عانت الدولة الزيانية طيلة فترة وجودها من معضلة ترتبط بالكفة العددية للجيش، فإذا قورن تعداد بني عبد الواد أمام المرينيين نجد أن هؤلاء متفوقين بثلاثة أضعاف على بني عبد الواد على حد قول عبد الرحمن ابن خلدون، وهو ما نجد له حضورا في تذبذب تعداد الجيوش حسب ما توفر لدينا من نصوص، وكانت هذه المشكلة فحوى وصية يغمراسن لابنه عثمان، فقد لاحظ في حروبه مع المرينيين أنهم يتفوقون عليه بفضل أعداد جيوشهم الكبيرة، فكانت فحوى وصيته اعتماد الجهات الشرقية بخزانها البشري لتجنيدهم في الجيش الزياني حتى يحققوا تكافؤ في القوة العسكرية[5]، إلا أن وصايا أبي حمو الثاني تفرض علينا أن نلمح لهذه النقطة من

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، 2004، ص419.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص22.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص226.

[4] نفسه، ج2، ص170.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص123.

منظور آخر وفق ما طرحه، فقد حذر من الإكثار من الجيش إذا لم يكن للحاكم أموال كافية لتمويله، فضرورة أن يكون الجيش بقدر المال تدبير واجب حتى لا يقع الاختلال في الجيش[1]، كما اعتبر أن التعداد المثالي للجيش يقدر بأربعة آلاف[2].

لا يمكن في ظل ندرة النصوص أن نقدم معطيات إحصائية عن تعداد الجيش الزياني، وإن احتفظت لنا النصوص ببعض المعطيات الإحصائية فيصعب التعامل معها خصوصا أنها متقطعة:

جنّد يغمراسن ألفي جندي رومي عقب انتصاره على السعيد الموحدي سنة 646هـ[3]، وفي معركة إيسلي ذكر ابن أبي زرع أن يغمراسن خرج لمواجهة المرينيين " بجيوش ما لها حصر كأنها الجراد"[4]، إلا أنه يصعب تصديق هذا الخبر نظرا للمعطيات السالفة الذكر، دون التغاضي عن تحيز النصوص المرينية مما يجعلنا نرجح تضخيمه لجيش يغمراسن ليعطي قيمة معتبرة للانتصار المريني على بني عبد الواد خصوصا أن المرينيين لا زالوا في المراحل الأولى لتأسيس دولتهم. وبعد الحصار الشديد على تلمسان لم ينجو منه سوى نحو ألف مقاتل[5] وينطبق الرأي الآنف الذكر نفسه على رواية يحي ابن خلدون الذي وصف جيش أبي تاشفين الأول المتوجه لمواجهة الحفصيين " بالعساكر التي لا تحصى كثرة"[6] إلا إذا افترضنا أن عرب أفريقية الذين استنجدوا به كانوا ضمن تعداد هذا الجيش الضخم، ليكرر لنا نفس الخبر في إطار استنجاد أشياخ سليم به للتوجه إلى أفريقية، حيث وصف القوة العسكرية " بالجيوش التي لا تحصى"[7] في عبارة لا تحمل أي حمولة إحصائية تمكننا من التعرف أكثر على حقيقة الخبر، باستثناء بعض الحالات التي خالفت القاعدة العامة، فبعد إنشائه لقلعة تامزيزدكت قرب بجاية، جند فيها أبو تاشفين ثلاثة آلاف ومائتي جندي[8]، وتمكن الأخوين الأميرين أبو سعيد

[1] أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص200.
[2] نفسه، ص142.
[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص228.
[4] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص310.
[5] التنسي، المصدر السابق، ص132.
[6] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص240.
[7] نفسه، ج1، ص241.
[8] نفسه، ج1، ص241. وذكر التنسي أنه " أوطنها ثلاثة آلاف فارس وزيادة" التنسي، المصدر السابق، ص143.

وأبو ثابت أن يجمعا خمسمائة فارس وتوجها بهم إلى تلمسان لاسترجاعها من قبضة المرينيين[1]، كما تمكنوا في أحواز بجاية من تجنيد خمسمائة فارس من مغراوة التي تحالفت معهم[2].

معطيات متناثرة حول تعداد الجنود بين 633هـ–749هـ/1235–1349م:

الحاكم	تعداد الجند	التركيبة البشرية	الحدث	المصدر والصفحة
يغمراسن	2000 جندي	المرتزقة النصارى	انضمامهم للجيش الزياني بعد 646هـ/1248م	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1،ص228.
أبو زيان	1000 مقاتل	//////	الحصار المريني سنة 698هـ/1298م	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص132.
أبو تاشفين الأول	3200 مقاتل	//////	حامية تامزيزدكت	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص241.
أبو سعيد وأبو ثابت	1000 فارس	//////	إحياء الدولة	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1،ص253.

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص253.

[2] نفسه، ج1، ص253.

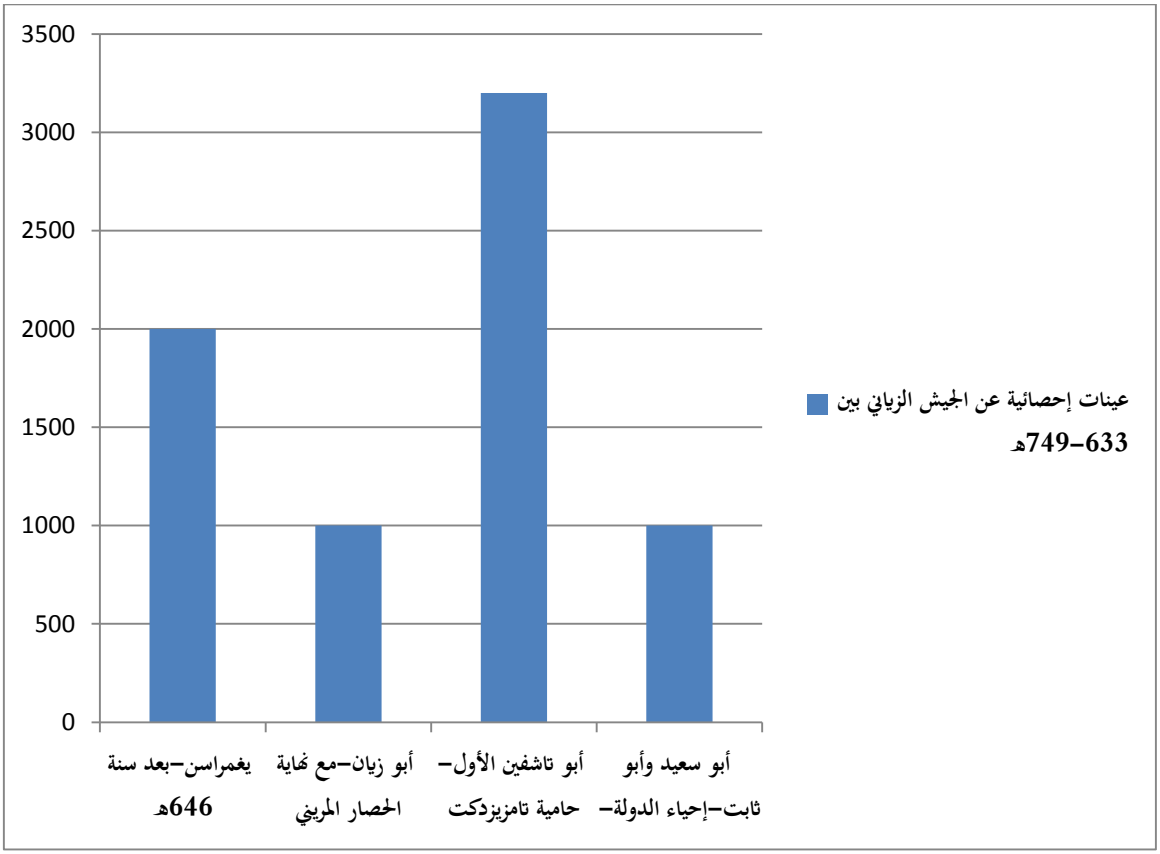

تعليق:

بالرغم من عدم دقة هذه المحاولة الإحصائية، إلا أن أبرز ما يمكن تسجيله من ملاحظات هو استغلال يغمراسن لكل فرصة تتيح له زيادة تعداد جيشه، وهو ما كان الحال مع النصارى الذين جندهم، وتفصح معلومة التنسي عن مقاتلي تلمسان في الحصار المريني عن تكبد الجيش خسائر كبيرة في جيشها النظامي الرابض بتلمسان،كما أن نتائج العمل بوصية مؤسس الدولة السالفة الذكر بدأت تؤتي أكلها، فأبو تاشفين وقبله أبو حمو الأول من خلال تركيزهما على شن حملات عسكرية على النواحي الشرقية قد تمكن من حشد قوات لابأس بها، فإذا كانت فقط حامية تامزيزدكت قدرت بـ ثلاثة آلاف ومئتي مقاتل فهذا يعني أن الجيش النظامي الرابض بحضرة تلمسان أكبر بكثير من هذا العدد، أما مع أبي سعيد وأبي ثابت فإن فشلهما في الاستمرارية راجع إلى عدم تمكنهما من جمع قوة عسكرية في مدة وجيزة.

استند أبو حمو الثاني على العرب كقوة عسكرية تتمتع بالكثرة العددية، حيث انضم إليه سنة 760هـ/1358م ثمانية آلاف مقاتل من بني عامر والمعاقلة[1]، كما أرسل سبعمائة فارس من بني عبد الواد

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص38.

لمساندة الثعالبة[1]، وبلغ عدد جيشه سنة 667هـ/1364م اثنتي عشر ألف مقاتل أضاف لها ثلاثة آلاف فارس من بني عامر والمعقل[2]، كما جنّد سنة 769هـ/1369م ثمانمائة فارس من قبيلة رياح[3]، وبلغ عدد جيشه في السنة نفسها عشرة آلاف فارس[4]، كما ترك ابنه أبا تاشفين في ألف فارس بتلمسان سنة 771هـ/1369م.

تعداد المقاتلين في جيش أبي حمو الثاني:

تعداد الجنود	التركيبة البشرية	السنة	المصدر والصفحة
700	بنو عبد الواد	761هـ/1359م	مؤلف مجهول، زهر البستان، ص111.
8000	بنو عامر والمعقل	760هـ/1358	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2،ص38.
3000	بنو عامر والمعقل	767هـ/1365م	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2،ص170.
800	رياح	769هـ/1367م	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2،ص194.

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص111.
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2،ص170.
[3] نفسه، ج2، ص194.
[4] نفسه، ج2، ص195.

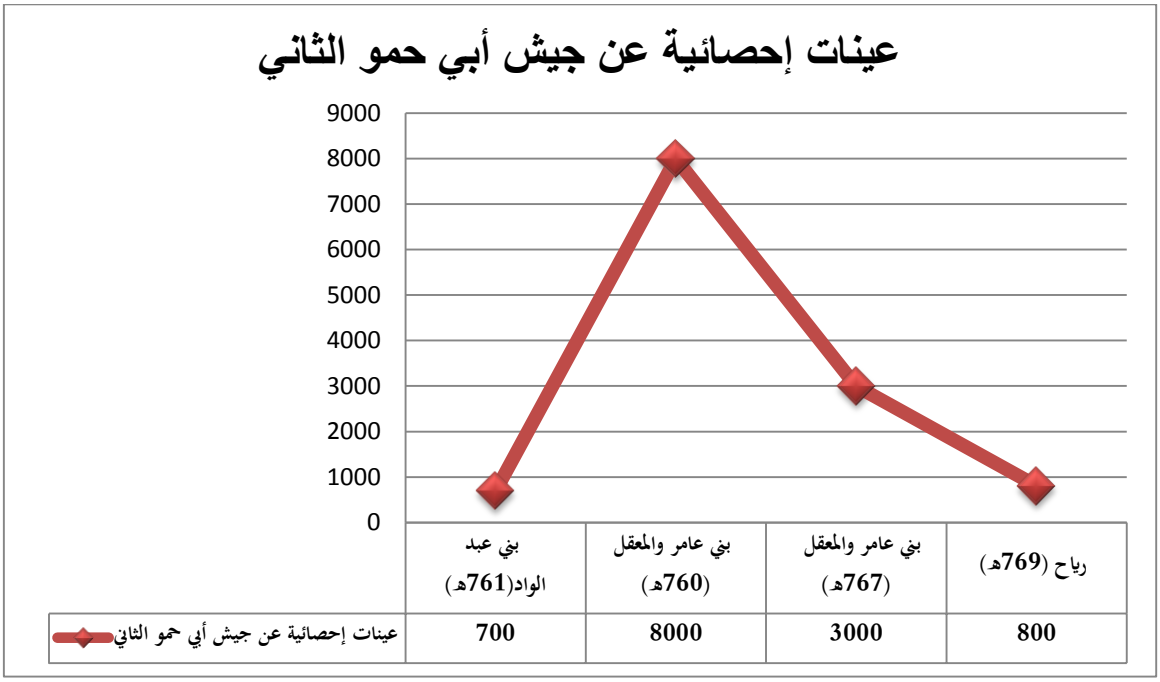

تعليق:

يتبين من خلال هذا الرسم البياني أن العوز في تعداد مقاتلي بني عبد الواد استمر في عهد أبي حمو الثاني، يظهر ذلك جليا في الرقم الوحيد الذي حفظته لنا المصادر عن أقصى ما أمكن جمعه من مقاتلي القبيل المؤسس للدولة، وهو ما يعكس اعتماده الكبير على القبائل العربية التي تمتعت بكثرة أعداد مقاتليها، وما يمكن تسجيله عن هذه القبائل خصوصا بني عامر والمعقل أنه تناقصت أعدادها من ثمانية آلاف إلى ثلاثة آلاف، وهو ما اضطر أبا حمو إلى تنويع الجيش بتجنيد فرسان قبيلة رياح لتغطية هذا النقص.

العدد الإجمالي لجيش أبي حمو الثاني:

العدد	السنة	المصدر والصفحة
15000	667هـ/1268م	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2،ص170.
10000	669هـ/1270م	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2،ص195.

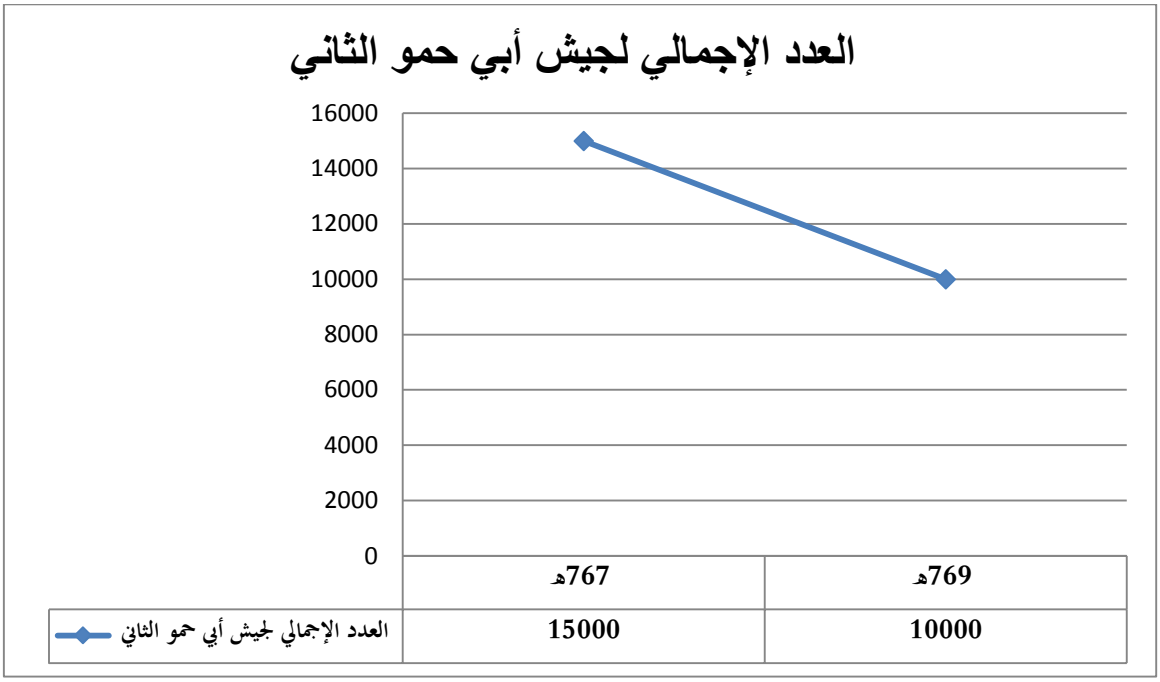

تعليق:

يعود سبب تراجع العدد الإجمالي لجيش أبي حمو الثاني إلى تذبذب علاقته مع القبائل العربية وأخص بالذكر بني عامر باعتبارها القبيلة الأكثر وقوفا معه في عدة مواجهات عسكرية، فإذا كان عدد فرسان المعقل وبني عامر قدر بثلاثة آلاف سنة 767هـ/1365م فإن عملية طرح بسيطة تبين أنهم لم يكونوا في تمييز جيش 769هـ/1367م.

ويمكن تسليط الضوء على هذه الإشكالية من منظور آخر يستمد نتائجه من خلال تتبع مدى اعتماد أمراء الدولة الزيانية على الحشد في معاركهم، على أننا سنتجرأ بتناول هذا المعطى بلغة الأرقام ونحاول التعليق عليها:

معارك يغمراسن:

معارك بدون حشد	معارك بالحشد
17	7

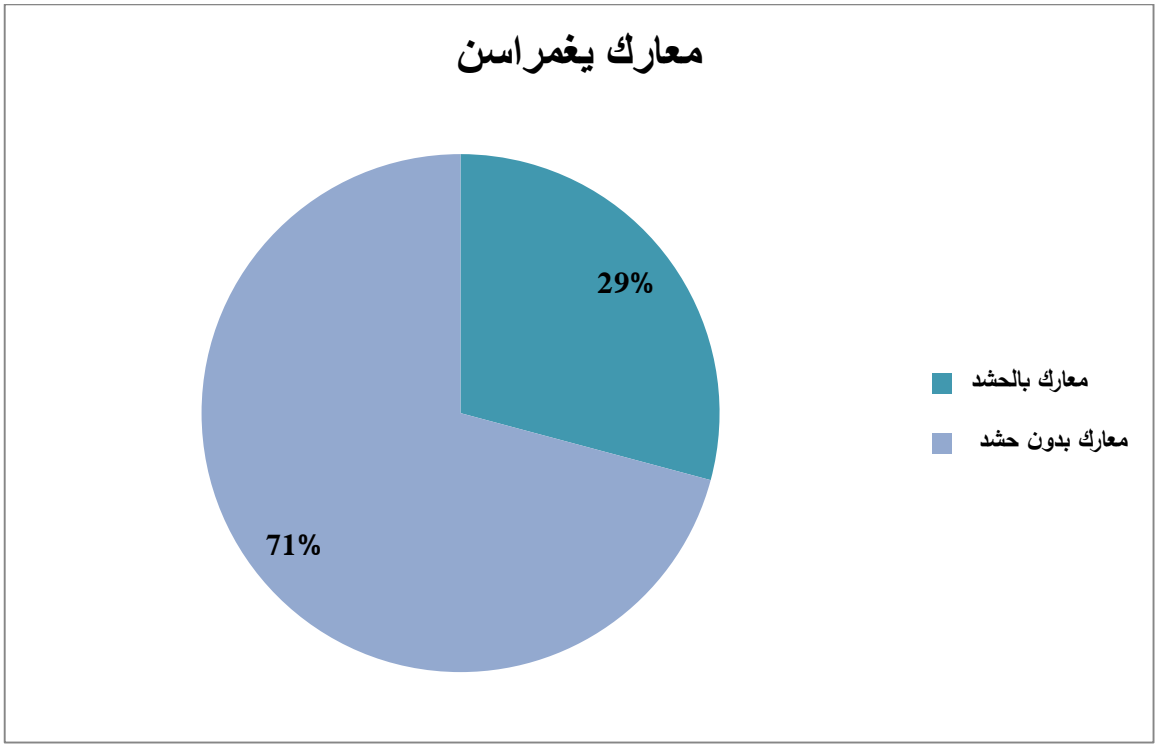

تعليق:

علينا أن نأخذ بالحسبان فترة حكم يغمراسن بن زيان، بحكم أنها فترة تأسيس الدولة، على أن الاستعانة بالقبائل لمساندته عسكريا يتطلب توفر أموال وإقطاعات، وهو ما لم يكن متوفرا بشكل معتبر في هذه الفترة، وإن تمكن من حشد بعض القبائل في بعض المعارك فإن ذلك نعتبره أقصى ما تمكن يغمراسن من تحقيقه، فالمساندة كانت في هذه الفترة بمن يقدم أكثر وليس بالدعوة الدينية والأفكار الإيديولوجية، وهي اعتبارات حتمت عليه الاعتماد على قبيلته بني عبد الواد رغم أعدادها القليلة نسبيا، ولا نعدم الرأي إذا اعتبرنا أن هذا الأمر كان سببا لهزيمة يغمراسن في عدة مواجهات عسكرية مع المرينيين.

معارك عثمان بن يغمراسن:

معارك بدون حشد	معارك بالحشد
15	0

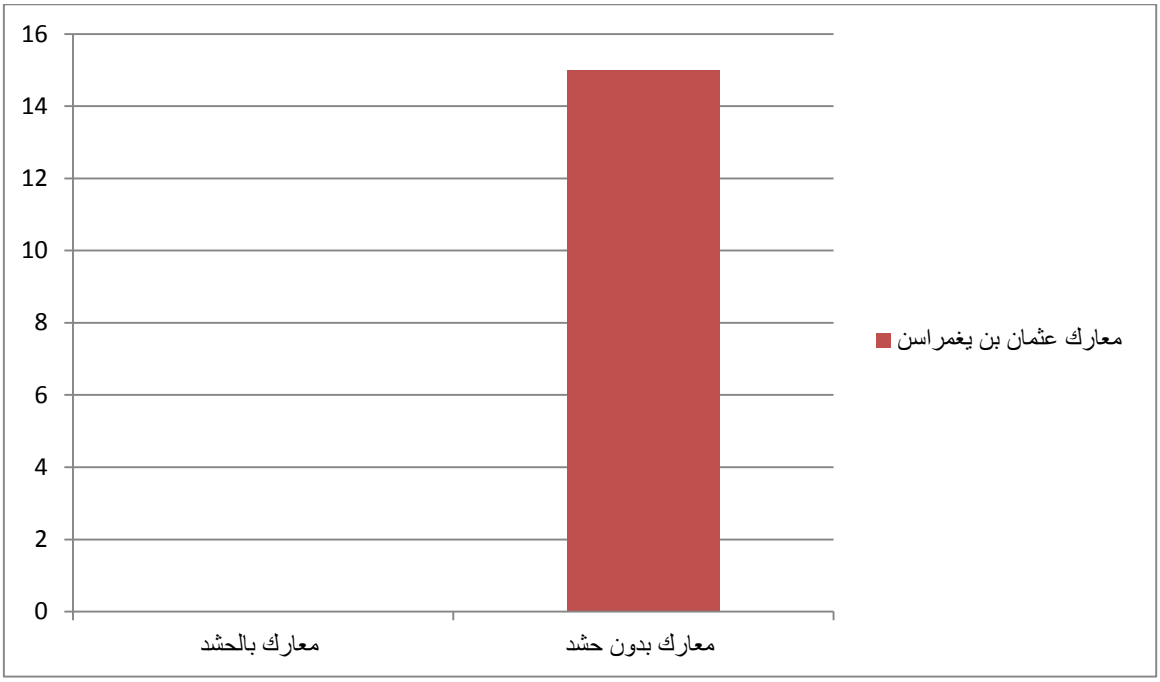

تعليق:

بالرغم من الوصية الذكية التي تركها يغمراسن لخليفته في الحكم، إلا أن نتائجها لم تظهر في عهد عثمان بن يغمراسن ، فمن خلال المعارك التي خاضها هذا الأخير نجد أنها كلها كانت بجيش مشكل من قبيل بني عبد الواد فقط، وإذا عدنا للمعطيات الإحصائية التي ذكرناها في الفصل الأول، نجد أن معظم هذه المواجهات العسكرية كانت ضد القبائل البربرية، بالأخص مغراوة وبني توجين، وهو ما يفسر تخليه عن الحشد، لأنه مرتبط كما سنبين بالمواجهات المرينية في المقام الأول، والحفصية في المقام الثاني، أما المواجهات العسكرية مع القبائل البربرية فلم تكن تتطلب الزيادة في عدد القوات العسكرية، لأنهم كانوا متفوقين عليهم من الناحية العددية.

معارك أبي حمو موسى الأول:

معارك بدون حشد	معارك بالحشد
11	3

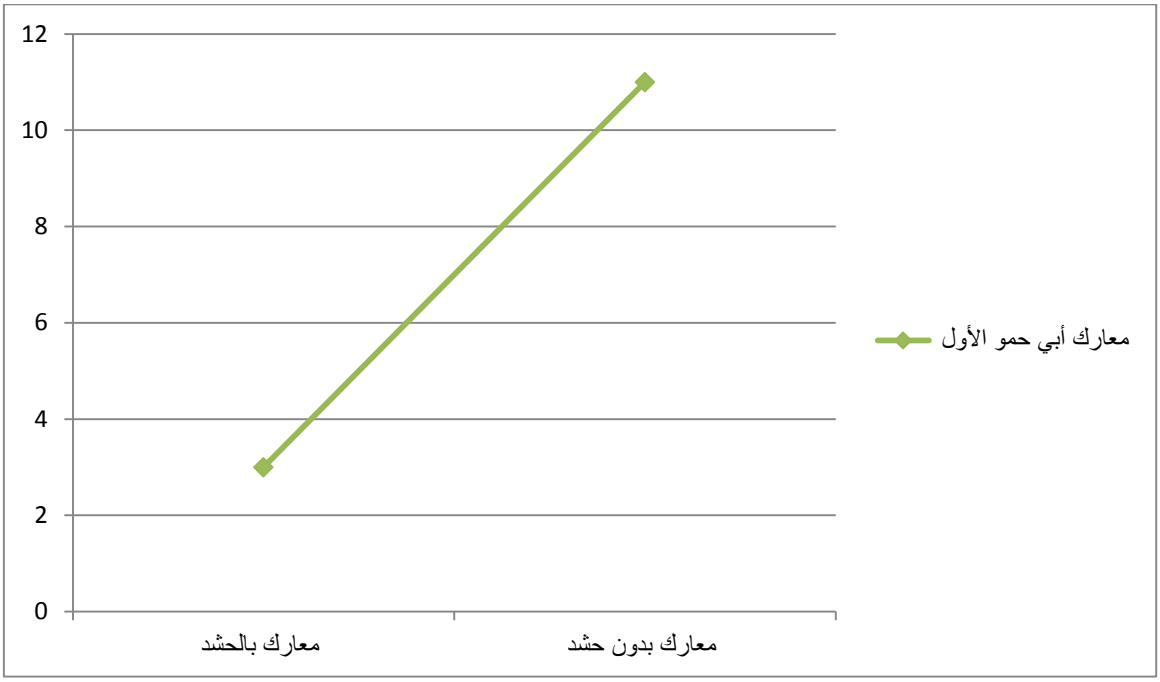

تعليق:

خلال ست مواجهات خاضها أبو حمو الأول ضد بجاية الحفصية، استنجد فيها بالحشود في معركة واحدة فقط، بينما في باقي مواجهاته ضد القبائل العربية والبربرية حشد في مواجهتين فقط، وقد يفسر هذا بشخصية هذا الأمير الذي كان صارما قليل الثقة في الآخرين، وهو ما جعله يعتمد على الجيش النظامي فقط في أغلب المواجهات العسكرية.

معارك أبي تاشفين الأول:

معارك بدون حشد	معارك بالحشد
18	3

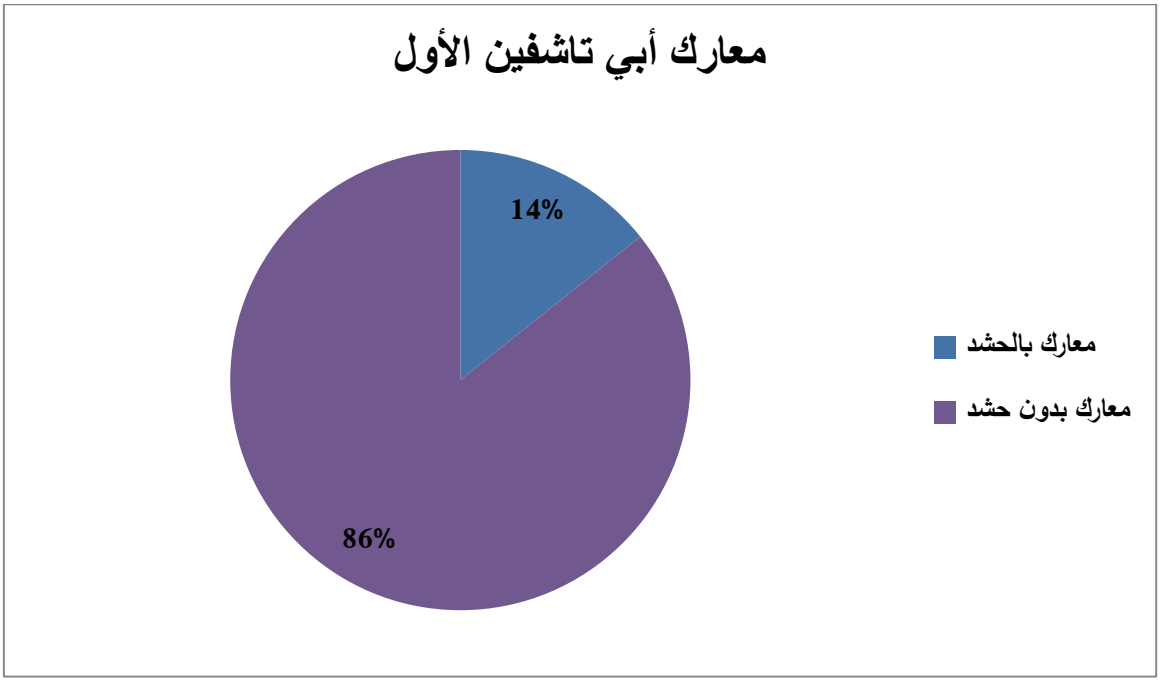

تعليق:

الأمر نفسه استمر مع ابنه أبي تاشفين الأول، الذي خاض واحد وعشرون معركة في فترة حكمه، استنجد فيها بالحشد في ثلاث مواجهات عسكرية، اثنان منها ضد الحفصيين والمرينيين، وأخرى ضد معارضه في الحكم وهو خاله محمد بن يوسف، أما في باقي المواجهات فيظهر أنها كانت بالجيش النظامي فقط.

معارك أبي سعيد وأبي ثابت:

معارك بدون حشد	معارك بالحشد
10	6

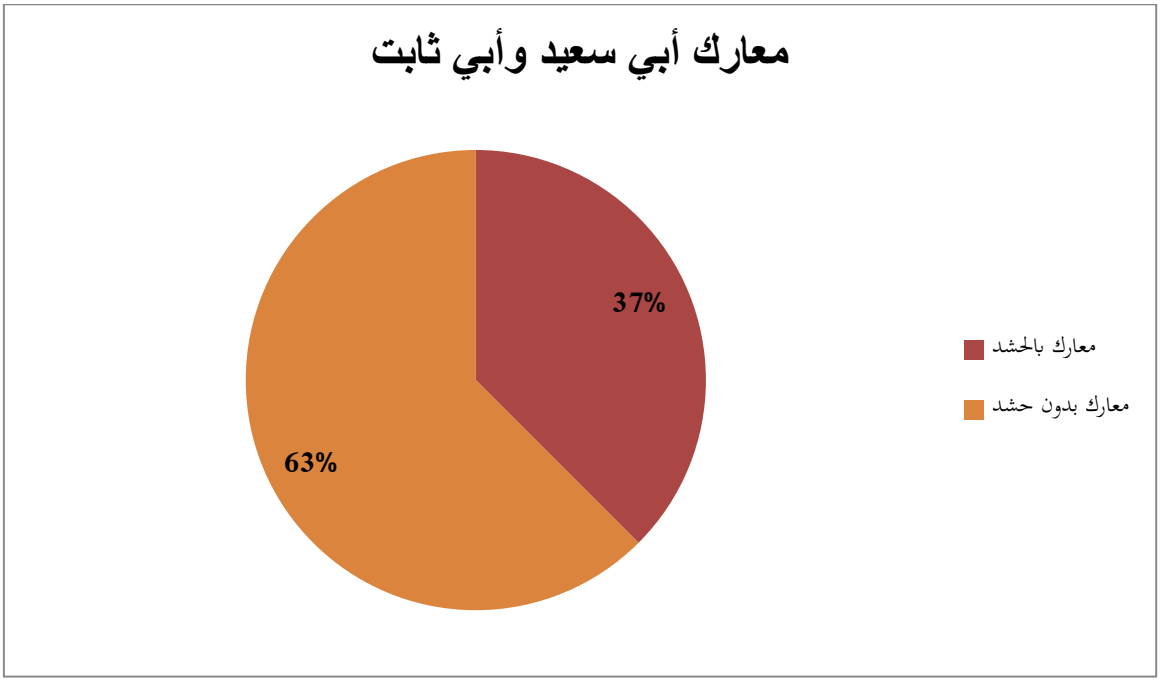

تعليق:

لم يستمر هذان الأميران بالحكم لمدة طويلة، إلا أن هذه الأربع سنوات كانت فترة حساسة ومضطربة، بدليل العديد من المعارك التي جرت خلالها، وباستقراء هذه المواجهات نجد أنهما استنجدا بالحشد في أربع مواجهات عسكرية مع المرينيين، وهو شعور لازم معظم أمراء الدولة بحيث كانوا يحسون دوما بنقص وضعف أمام المرينيين يجعلهم دوما يحشدون أنصارهم من القبائل العربية والبربرية، أما باقي المواجهات فكانا مضطرين لخوضها بقبيل بني عبد الواد فقط، وأظن أن المداخيل المالية لم تسعفهما لتحقيق أكثر مما حققاه في الميدان.

معارك أبي حمو موسى الثاني:

معارك بدون حشد	معارك بالحشد
36	39

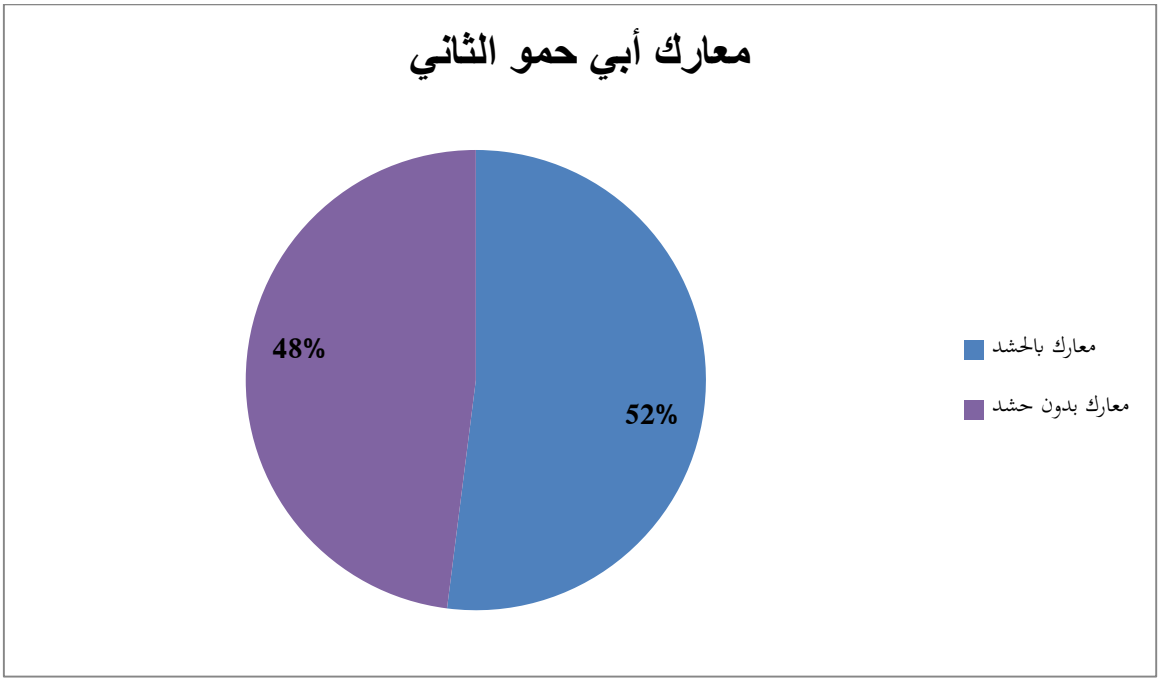

تعليق:

خاض أبو حمو الثاني خمس وسبعين مواجهة عسكرية كان حوالي تسع وثلاثون منها بجيش مشكل من حشوده من القبائل خصوصا العربية منها التي ساندته في إحياء الدولة، وهو ما يطرح التساؤل عن قوة الجيش النظامي في عهده، أو أنه فتح عدة جبهات للقتال ما اضطره لتعزيز جيشه بهذه الحشود.

3–رواتب الجند:

لا يخفى الدور الذي يلعبه المال في سياسة الدولة بصفة عامة خصوصا ما تعلق بالجيش وجمع الأنصار والحلفاء، فبدونه لا يمكن التطلع لخوض غمار المواجهات العسكرية، ولهذا نجد في واسطة السلوك وصية مطولة جمع فيها أبو حمو بين الجيش والمال " لأن كل واحد منهما متوقف على صاحبه، ومطلوب بمطلبه، فلا مال إلا بجيش، ولا جيش إلا بمال"[1] على أنه ركز في وصيته هذه على الموازنة بين حجم المال المتوفر وتعداد الجيش، لأن الإكثار من تعداد الجنود مع قلة المال يسبب للأمير عوزا في تسديد الرواتب، وهو ما يضطره إلى الضغط على الرعية وإثقال كاهلها بالضرائب الإضافية لتغطية العجز[2]، وأغلب الظن أن هذا ما استخلصه مؤسس الدولة يغمراسن حسب ما وضحنا في الإحصائيات السابقة، كما ركز على تفادي كثرة المال مع قلة تعداد

[1] أبو حمو موسى الثاني الزياني، المصدر السابق، ص200.
[2] نفسه، ص200.

الجيش فيؤدي إلى احتقار الأعداء للدولة[1]، وكانت السلطة الزيانية تصرف نصف مداخيلها أو أكثر على الجيش، فقد ذكر الوزان أن دَخْل مملكة تلمسان يفوق أربعمائة ألف دينار فكان نصفه ينفق على الجنود والأعراب[2]. على أن رواتب الجند تخضع لعدة اعتبارات تتعلق بشخصية المقاتل وأدائه العسكري ومكانته، خصوصا القبيل المؤسس للدولة أي بني عبد الواد[3]، أما الجند المرتزقة والوصفان فكانت مرتباتهم تصرف لهم كل شهر .

اختلفت مرتبات جنود الجيش الزياني باختلاف التركيبة البشرية وصفة الانتماء، فالحشود التي استنجدت بها السلطة في حروبها لم تكن لهم مرتبات شهرية يتقاضونها من السلطة، بحكم أن انتماءهم ظرفي للجيش، فكانت السلطة تتفق معهم على نصيب معين من الغنائم تمنحها لهم سواء قبل المعركة أم بعدها، فقبل خروج عبد الله بن مسلم في حملة إلى بجاية أمر أبو حمو الثاني بصرف رواتب الفرسان[4] ، كما منح أولاد يحي العديد من الأموال والثياب الرفيعة[5]، وتنوعت هذه الأعطيات بين الأموال والألبسة والجياد، ففي سنة 760هـ/1358م منح أبو حمو الثاني ثمانية آلاف فارس من بني عامر والمعقل " الخيل المسومة المرفهة والعدد المحلاة بالعسجد أو باللجين، ثم المال المتعدد"[6]، كما كسى ثمانمائة فارس من رياح العديد من الثياب الرفيعة كالمرعز والقباطي، والملف الشلون، والدراريع، والعمائم، والأحاريم وأقمشة الحرير الفاخرة، فضلا عن منحهم ثلاثة آلاف قطعة من الذهب[7]، على أن أهمها كان عبارة عن إقطاعات، التي دخلت في المعطيات الحربية للمرحلة، وهو توجه سارت عليه دول ما بعد الموحدين، فقد استفادت عدة قبائل من الإقطاعات[8]، حيث أقطعت زغبة العديد من المناطق في المغرب الأوسط لتضمن مساندتهم العسكرية[9] كما أقطع يغمراسن صحراء

[1] أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص200.
[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص23.
[3] أبو حمو موسى الثاني، نفسه، ص203.
[4] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص250.
[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص230.
[6] نفسه، ج2، ص38.
[7] نفسه، ج2، ص194.
[8] سعيد بن حمادة، الغرب الإسلامي–مباحث في العلوم التجريبية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ص43.
[9] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص55،58.

تلمسان لبني عامر[1] ونحى نفس المنحى ابنه عثمان الذي منح ناحية كدارة ببلاد حمزة لداود بن هلال[2]، ومع أواخر القرن الثامن أقطعت لهم السلطة عدة مناطق كوجدة وندرومة ومديونة وبني سنوس[3].

أما الجنود النظاميون فقد كانت مرتباتهم تصرف لهم شهريا، حيث كانوا يتقاضون ثلاثة مثاقيل، وهي أجرة ملائمة حسب الوزان[4]، أما جنود القبيل أي بني عبد الواد فيبدو أنهم كانوا يتقاضون مرتبات عالية فضلا عن تسليحهم وتموينهم، نستشف ذلك من خلال سياسة التجنيد التي اتبعها أبو حمو الثاني الذي خصص ميزانية معتبرة لقبيلته، فكان راتب الفارس ثلاثة قطع من الذهب ومعونة غذائية تمثلت في عشرون برشالة من القمح وثلاثون برشالة أخرى من الشعير، فضلا عن تزويدهم بعتاد عسكري تمثل في فرس، وسرج، ولجام، وسيف، ورمح، ومهماز[5].

وفيما تعلق برواتب الجنود المرتزقة النصارى فقد أفادنا ابن مرزوق أن مرتزقة الجيش المريني كانوا يتقاضون مرتبا شهريا يتراوح بين خمسة وخمسين دينارا ذهبيا[6] فهل كان الراتب نفسه يقدم للمرتزق النصراني بالجيش الزياني؟ يبدو كذلك بدليل أنه في سنة 764هـ/1362م وفد ابن عم ألفنش على أبي حمو الثاني ومعه عشرين فارسا فخصص له راتبا قدر بثلاثين دينارا شهريا[7]، ويبدو أنهم كانوا يشترطون هذه الرواتب المرتفعة بسبب أنهم كانوا يدفعون ضرائب لحكامهم في إسبانيا فضلا عن أنهم كانوا يساهمون بتدعيم خزائن دولهم[8] خصوصا أنها كانت بحاجة إلى الذهب الذي كانت تتمتع به تلمسان بفضل إشرافها على الموقع التجاري الهام الذي خول لها الحصول على كميات كبيرة من ذهب السودان الغربي. أما فيما يخص قواد كتائب المرتزقة فيبدو أن رواتبهم كانت مرتفعة، ففي معاهدة أبو سعيد عثمان مع أراغون في أفريل 1286م قضت إحدى بنودها

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص56.
[2] نفسه، ج6، ص69.
[3] نفسه، ج6، ص81.
[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص21.
[5] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص38.
[6] محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص282.
[7] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص260.
[8] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص189.

بتقاضي القائد راتبا شهريا قدر بألفي وأربعمائة قطعة ذهبية بمعدل يومي مقدر بثمانون قطعة يوميا[1] وهو راتب لاشك أنه مرتفع يذهب جزء منه للخزانة الملكية.

كخلاصة لما سبق يمكننا القول أنه تجسيدا لحالة الحرب الشبه دائمة تحتم على السلطة الزيانية منح أهمية معتبرة لتكوين جيش يتولى مهمة الدفاع عن أراضي الدولة خصوصا العاصمة تلمسان، وتجلت هذه الاستعدادات في مباشرة السلطة بتطبيق إجراءات كان من شأنها تطوير الجيش، على غرار تأسيس إدارة عسكرية يترأسها المزوار خولت لها مهام تحديد تعداد وأجور الجند، إضافة إلى قضاء العسكر والذي انحصرت مهمته في المنازعات داخل الجيش، كما لاحظنا أن مشكل تعداد الجيش قد ألقى بظلاله على الجيش الزياني الذي حاولت السلطة الرفع من تعداده في مختلف المعارك بمختلف الأساليب والوسائل لاستقطاب القبائل، فإذا كان يغمراسن قد اعتمد في الكثير من معاركه على قبيلته مع اللجوء للحشد في البعض منها، فإن خليفته في الحكم أبا سعيد عثمان قد تخلى عنه لأسباب تتعلق بمواجهات مع قبائل أقل منهم عددا، بينما لجأ إليه كل من أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين الأول والأخوين أبي سعيد وأبي ثابت، أما أبو حمو الثاني فقد فاق اعتماده على الحشد كل سابقيه من أمراء الدولة بفضل علاقاته القوية مع القبائل العربية التي كانت مكونا رئيسيا في جيشه، وقد تطلب هذا الاهتمام توفير الدعم المالي الكافي وهو ما قامت به السلطة الزيانية في تخصيصها لنصف مداخيلها على الجيش إضافة إلى بذل الإقطاعات لحلفائها.

[1] Charles Emmanuelle Dufourcq, op-cit, p151.

ثالثا: تقسيم الجيش:

1–تعبئة الجيش:

حظيت تعبئة الجيش في المعركة أهمية معتبرة لدى دول العصر الوسيط نظرا لما يلعبه عامل ترتيب الجيش في المساهمة لتحقيق النصر، بل إن بعض المؤلفات كتبت خصيصا لهذا العنصر مستعرضة مختلف أشكال تعبئة الجيش[1]. عموما لم تختلف جيوش دول العصور الوسطى مشرقا ومغربا في نظم الجيش، حيث ساد لدى دول ما بعد الموحدين نظام التعبئة الذي يقسم الجيش إلى قلب وميمنة وميسرة وساقة[2] بما فيهم الجيش الزياني في نظم تعبئة الجيش وتقسيمه في ميدان المعركة، ونجد ذلك في وصايا أبي حمو الثاني الذي نحى نفس التقسيم المعهود، على أنه خص كل جهة بمواصفات معينة يراعى توفرها في الجند، فالميمنة رأى أن يكون مقاتلوها "ذوي الشدة والكفاية والنجدة والحماية"[3] والميسرة وجب أن يكون مقاتليها يتمتعون بالإقدام والمهارة في المبارزة بالسيف عارفين بالطعن ومضاربه[4].

أما القلب فيكون مقاتليه كلهم فرسان ممتطين أحصنة تتمتع بالخفة وسهولة الحركة إضافة إلى تمتعهم بالشجاعة والجرأة عند الالتحام بالعدو[5]، أما الساقة أو كما سماهم أبي حمو الثاني بأهل الدخلة فيمكن القول أنهم عبارة عن قوات احتياطية لا تتدخل في المعركة إلا إذا تراجع الجيش وعجز عن مواصلة القتال، أو حدث اختلال في الميمنة أو الميسرة أو القلب، ولهذا أوصى أبو حمو أن يكون جنودها من المقاتلين المتميزين من كل قبيلة لأنهم يكونون " أهل نجدة عند حلول المصائب ...وبهم ترد الهزائم وتدفع العظائم وتنكشف الكروب وتدور عليهم الحروب، فهم يرهبون العدو بوقوفهم"[6]، فقد تدخل بهم أبو حمو الثاني، فبعد احتدام القتال بين الجيش الزياني والعرب في إحدى المعارك سنة768هـ/1366م، تدخل "على الأثر بساقته، وريح النصر تخفق بأعلامه"[7]، وتشير بعض النصوص إلى أن الساقة في بعض الحالات تكون منفصلة عن الجيش، فقد خرج أبو

---

[1] محمد بن منكلي، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1988، ص176 وما بعدها.

[2] الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.س،ص26.

[3] أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص143.

[4] نفسه، ص144.

[5] نفسه، ص144.

[6] نفسه، ص144.

[7] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص188.

يعقوب سنة 760هـ/1358م بـ" جيوشه الوافرة وساقاته"[1] فذكر الجيش جاء منفصلا عن الساقة. كما كانت تكون تحت قيادة أمير الجيش في بعض المعارك التي تتطلب قتال أهل الجبال مثلما كان الحال سنة 760هـ/1358م[2].

طبقت هذه التعبئة في معارك السلطة الزيانية، ففي مواجهة أبي سعيد وأبي ثابت مع المرينيين سنة 753هـ/1352م عبأ الجيش قلبا وجناحين ميمنة وميسرة، ومقدمة[3]كما رتب أبي حمو الثاني جيشه في مواجهة مع المرينيين سنة 759هـ/1358م إلى قلب وميمنة وميسرة، وأضاف لها فرقة المطاردة[4].

كما أن كل جهة كانت تقسم في نظام الكراديس[5]، ويرى أحد الباحثين أن لهذا التقسيم عدة مزايا كونه يضمن وحدة الجنود وطاعتهم للقائد[6]، وكانت ترتب في شكل فرق حفاظا على التنظيم، وكل كردوس يضم مجموعة من الكتائب، على أن هذه الأخيرة لم تكن قطعة من الجيش فقط، بل كانت تقوم بأدوار أخرى تستدعي من الأمير الزياني أن يرسلها دون باقي الجيش، مثلما كان الحال سنة 761هـ/1359م أين خرج الوزير عبد الله بن مسلم بكتيبة إلى تلمسان بعدما وصلتهم أخبار تحرك المرينيين إليها[7]، كما أرسل كتائب جيش الحضرة لمساندة الوزير موسى بن علي بن برغوث[8].

ويبدو أن نظام حساب عدد الجنود كان يتم بتحديد مضبوط لفرسان كل كتيبة، وإن لم يتوفر لنا هذا الرقم إلا أنه وردت إشارة تدعم رأينا، ففي سنة 767هـ/1365م أحصى أبو حمو الثاني عدد جيشه، وكانوا مصطفين عبر كتائب لتسهيل عملية الإحصاء بضرب عدد جنود الكتيبة في عدد الكتائب[9]، هذا وقد شكلت

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص75.

[2] نفسه، ص77.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص264.

[4] نفسه، ج2، ص24.

[5] هي القطعة من الخيل أي مجموعة تضم عددا معينا من الفرسان، والكراديس تعني الفرق، فيقال كردس القائد خيله أي جعلها كتيبة كتيبة. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص195.

[6] موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2000-2001، ص14.

[7] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص75.

[8] نفسه، ج2، ص179.

[9] نفسه، ج2، ص170.

رمزية في مخيلة الشعراء الذين تغنوا بها في وصفهم للمعارك[1]، على أن كل كتيبة كانت ترتب وفق نظام الصفوف وهو نظام معمول به في معظم جيوش الدول الإسلامية مشرقا ومغربا، حيث حفظت لنا المصادر بعض الإشارات تفيد اعتماد الجيش الزياني لهذا الترتيب ففي معركة تلاغ سنة 666هـ/1267م قسم يغمراسن كتائبه إلى صفوف[2]، ويرجح أنه كانت تتكون من صفوف قصيرة وأخرى طويلة تضم عدد يقارب مئة فارس في كل صف، وهذا العدد يسمى المقانب، فقد قسم أبو حمو الثاني جيشه سنة 769هـ/1367م إلى مقانب وصفوف[3].

2–فرق الجيش:

استلزمت تعبئة الجيش تقسيمه إلى فرق مختلفة من حيث المهام والأدوار، ومن جهة أخرى من ناحية الأسلحة التي تقاتل بها والمعدات التي تستخدمها في أرض المعركة، والجيش الزياني لم يخرج عن التصور العام في فرق الجيش عن باقي الجيوش سواء السابقة أو المعاصرة له، وعلى الرغم من تفصيل المصادر في النشاط العسكري للجيش الزياني، إلا أننا اصطدمنا بشح المعلومات التي تسلط الضوء على فرق هذا الجيش من الناحية التنظيمية، والمرتبطة أساسا بفرقه وتوزيعها في ساحة المعركة:

أ–الفرق المقاتلة:

الفرسان:

وتسمى أيضا الخيالة، تتميز هذه الفرقة بامتطائها الخيل، وهي أهم فرقة في الجيش، باعتبار أن الفرسان في نظام تعبئة الجيش يكونون في المقدمة، بالتالي فهم أول من يواجهون العدو، لهذا فأداؤهم يكتسي طابعا مصيريا لتحديد نتيجة المعركة، وجدير بالذكر أن الفارس حتى يستحق هذا اللقب عليه أن يكون ملما

---

[1] حيث ذكر أبو حمو الثاني في قصيدة يرثي بها والده أبو يعقوب:

ولكم تزاحفت الكتائب خلفه فيروع بأسا وهو غير مروع

كما ذكرها في قصيدة أخرى وصف فيها حملاته العسكرية لسنة 766هـ:

خط الكتائب لا خط الكتاب بها جلية الأمر عند السمر والقضب

كتائب ضاقت الأرض الفضاء بها في ظل ألوية خفاقة العذب

وفي قصيدة أخرى من نظم أبي الحسن علي العشاب الفاسي يهنئ فيها أبا مالك عبد الواحد بعد سيطرته على الجزائر يقول:

وكتائب معقودة بكتائب والسمر تنظم والسيوف تبدد

يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص151،150،101. التنسي، المصدر السابق، ص236.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص239.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص195.

بمجموعة من المهارات تشكل في مجملها أركان الفروسية، تتمثل في لزوم التحكم في ركوب الخيل وإجادة التحرك بها في زحمة المعركة، إضافة إلى التحكم في الرمي بالقوس، والمهارة في الطعن بالرمح والمبارزة بالسيف[1].

وتتكون هذه الفرقة من عدة تركيبات بشرية تضم فرسان بني عبد الواد حيث ذكروا في عدة مواضع، وأيضا الفرسان النصارى المرتزقة، والأغزاز باعتبارهم ماهرين في الرمي، لكل هذه المهارات سعت السلطة إلى منح الأهمية لهذه الفرقة وسعيها للإكثار من تعدادها، وهو ما نجد له انعكاسا في اهتمام المؤرخين في خضم سردهم للمعارك بذكر فرقة الفرسان دون باقي الفرق، وأغلب الظن أن أبو حمو الثاني في استعادته لتلمسان تشكل غالبية جيشه من الفرسان، نرجح ذلك لأن في تحركه لمواجهة المرينيين خارج تلمسان ذكر صاحب زهر البستان فرقة الفرسان في جيشه فقط[2].

كما شاركت في عدة معارك خاضها هذا الأمير بأدوار أخرى، فقد كانت تستخدم في توجيه ضربات خاطفة على المحلات، بدليل أنه بعد خروجهم من تلمسان سنة 761هـ/1359م بقي بفرقة من الفرسان لمهاجمة أطراف الجيش المريني لدى اقترابه من تلمسان[3]، وتختلف استعمالات هذه الفرقة بين القتال بالرماح والسيوف، وبين القوس فالجيش الذي توجه للسيطرة على الجزائر سنة 760هـ/1358م ضم الفرسان الرماة[4]، ولم يكتف بهم فقط بل "بعث إلى الرماة من البلاد"[5]، وأغلب هؤلاء الرماة كما ذكرنا سابقا من الأغزاز لأنهم كان مشهور عنهم تحكمهم بالرمي[6]، إضافة إلى المهاجرين الأندلسيين الذين انضموا إلى جيوش دول بلاد المغارب، فقد كانوا أيضا مشهورين بتحكمهم في الرمي بالقوس الفرنجية[7].

المشاة:

وهي فرقة تحتل أهمية محترمة في تركيبة الجيش بعد فرقة الفرسان، جنود هذه الفرقة يقاتلون بدون أحصنة، ويكون ترتيبهم في الجيش خلف الفرسان، فبعدما تبدأ المعركة ويقاتل الفرسان يأتي دورهم لتعويضهم، وكانوا

[1] ابن قيم الجوزية، الفروسية المحمدية، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، 2007، ص394.

[2] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص32.

[3] نفسه، ص103.

[4] نفسه، ص85.

[5] نفسه، ص99.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص150.

[7] ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص224.

يقاتلون بالقنا الطويلة، لهم عدة أدوار في المعركة، فقد كانوا يحمون الأسوار، حيث انفرد صاحب نظم الدر والعقيان بنص ذكره عن كتاب درر الغرر المفقود، فقد ذكر صاحبه أن حماة الأسوار كانوا يقاتلون فرسان الجيش المريني وانتصروا عليهم في عدة مرات حتى أنه تعجب من شجاعتهم ورباطة جأشهم[1]، كما زود أبو حمو الثاني أسوار مليانة بحامية من الرجالة بعد ترميمه لها سنة 769هـ/1367م[2].

إضافة لما سبق كانت لهم أدوار مهمة في عملية الحصار التي كان يقوم بها الجيش الزياني لمختلف المناطق، فقد كانوا يساعدون الرماة في مضايقة الحصورين خلف الأسوار[3]، زيادة على توكليهم مهمة تسلقها، ففي حصار لقلعة أرجو سنة 761هـ/1359م أمر أبو حمو الثاني جنوده باقتحامها " فتعلقت الرجال بالأسوار، بعد المشقة والإعسار"[4]، ويرجح أن هؤلاء الفرسان الرماة كانت لهم حاراتهم المخصصة للسكن، ففي حديثه عن سيرة محمد بن مرزوق، ذكر أنه كان يقرئ بمسجد ابن جحاف الواقع مقره بحارة الرماة[5].

ب–العناصر غير المقاتلة:

الفعلة:

اشتدت الحاجة لهذه العناصر في الجيش الزياني في معاركه، ذلك أنه يحتاج إلى خدمات لتسهيل أداء مهمته بالإضافة إلى تمهيد ظروف الإقامة للمحلة في طريقها للمعارك، سواء حفر الآبار أو ردمها حتى لا يستعملها العدو أو حفر للخنادق أو تثبيت أسلحة الحصار من سلالم ومجانيق، بالإضافة إلى تشييد القلاع والحصون والمحارس، وعناصر الفعلة تتكون من عدة مهن، ففيها النجارون والصناع والبناءون، وغيرها من الصنائع التي يحتاجها الجيش، ويتميزون بقوة جسدية تعينهم على تحمل أعباء عملهم[6]، وأغلب الظن أنهم كانوا من أسرى الروم بحكم أنهم كانوا على معرفة وخبرة بالبناء، فقد استعان أبو تاشفين الأول لتشييد قصوره "

[1] التنسي، المصدر السابق، ص132.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص193.

[3] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص104.

[4] نفسه، ص105.

[5] محمد ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008، ص154.

[6] قويدر عباس، الجيش في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016، ص48.

بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم بين نجارين وبنائين وزليجين وزواقين"[1]، كما استعان بهم في بناء تامزيزدكت بنواحي بجاية[2].

الكفلاء:

هي فرقة تختص بحماية معسكر السلطان وما يحويه من حريم وأموال، على أنهم يكونون من مماليك الملك سواء أعلاج أو وصفان، وهو ما تحدث عنه أبو حمو الثاني في القسم الرابع من أقسام الجيش، حيث حصر مهمتهم في ملازمة الأمير أينما كان، يتميزون عن باقي الجند بارتدائهم زي خاص مزركش بمختلف الألوان، ويحملون حرابا قصيرة على رأسها راية الدولة الزيانية، وبهذا نستفيد أن مهمتهم إضافة إلى ما سبق تتمثل في إضفاء منظر استعراضي للأمير[3]، فبعد هزيمته أمام معارضه أبي زيان سنة 769هـ/1367م، انسحب أبو حمو من المعركة وجهز حريمه وحمل أمواله وأوكل مهمة حمايتهم إلى الكفلاء من الخصيان والنصارى، غير أنهم ظلوا طريقهم إلى تلمسان[4].

الجواسيس:

يرتبط نجاح الخطط العسكرية للقادة سواء في ساحات القتال، أو في إطار الصراع السياسي بصفة عامة، في قدرتهم على تحصيل المعلومة، كما أن التخطيط الصحيح للمواجهات العسكرية يكون مبتورا إذا لم يستند إلى معلومات من الجواسيس والعيون[5]، وقد قيل قديما "إذكاء العيون أنفى للظنون"[6] بحكم أنه يوفر للقائد مساحة أكبر للاستعداد واتخاذ الإجراءات اللازمة، وهو معطى مهم من معطيات العقيدة الإسلامية التي أمرت المسلمين بضرورة الاستعداد للعدو بكل ما يملكونه من قوة والتي يعد غرس العيون بين العدو من مستلزماتها[7] بشرط أن تكون في وقتها حتى تحدث بها فائدة، لأن وصولها في منأى عن عامل الوقت يجعلها غير ذات فائدة، ولنشاط التجسس أهمية معتبرة في تحديد وأخذ انطباعات عامة ودقيقة عن معطيات الخصم،

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص239.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص144.
[3] أبو حمو الثاني، المصدر السابق، صص145-146.
[4] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص196.
[5] كرم حلمي فرحات، تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، 2007، ص5.
[6] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983، ص153.
[7] محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985، صص32-33.

فلا يمكن التعويل فقط على إعداد القوة العسكرية كعامل وحيد للظفر بالمعركة دون إسنادها بنشاط معرفة واستطلاع ما لدى الآخر.

كما أن إعداد خطة القتال تفشل حتما إذا أعدت بدون الاستناد على المعلومات التي توفرها العيون المبثوثة في معسكر العدو[1]، وهو ما نجد له أثرا في وصايا أبي حمو الثاني الذي أكد على أن حسن الرأي في الحرب لا يكتمل إلا بوضع الأمير لجواسيس في بلاد العدو تكمن مهمتهم في مراقبة تحركاتهم، وتتبع أحوال عمالهم وتصرفاتهم، على أن هؤلاء الجواسيس ملزمون بتنفيذ مهمتهم في أي وقت ولا يلتزمون بدوام معين بل يسهرون للحصول على المعلومات متى سنحت لهم الفرصة[2]، وهو ما سعى أمراء بني عبد الواد للقيام به، فالمعاهدات السلمية التي قام بها عثمان بن يغمراسن في بداية حكمه مع المرينيين تعود إلى عمل استخباراتي وتجسسي قام به عنهم حسب أحد الباحثين[3].

وكان أبو حمو الثاني يبث جواسيسه حتى وسط الجيش المريني، ففي سنة 761هـ/1359م تمكنوا من إرسال معلومات له تتضمن وصفا دقيقا لمحلة أبي سالم المريني[4] كما بثهم بين خصومه من العرب وأنصار معارضه محمد بن عثمان[5]، وحتى في ملاحقته من طرف الجيش المريني بعد خروجه من تلمسان سنة 772هـ/1370م أنفذ عيونه بينهم لمعرفة تحركاتهم والمسافة التي تفصلهم عنه، وهو ما سمح له بتفاديهم عن طريق الأخبار التي وصلته منهم فغير تحركاته إلى شرق المغرب الأوسط[6]، وكان النشاط التجسسي قد أنقذه من خداع قبيلة زغبة التي أرسلت له بانضمامها إلى جيشه، إلا أنه وصلته أخبار من جواسيسه بعزمها على غدره[7].

[1] خالد محمد عباس الجبوري، الاستطلاع ودوره في التاريخ العربي الإسلامي لغاية 23هـ-645م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، صص58-59.

[2] أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص172.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص24.

[4] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص102.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص145.

[6] نفسه، ج2، ص230.

[7] نفسه، ج2، ص242.

وعلى غرار استعمال دول المشرق الإسلامي خصوصا الدولة العباسية للجواري كجواسيس في بلاطات خصومهم[1] فإن أمراء الدولة الزيانية نحوا المنحى نفسه، فقد أهدى عثمان بن يغمراسن جارية رومية لأبي سعيد المريني، وكان يزودها بمرتب لتعرفه بالأخبار[2]، ففي إحدى السفارات لعقد الصلح بين الزيانيين والمرينيين، أرسل يغمراسن الشيخ إبراهيم بن يخلف التنسي، وأصر حاجب البلاط الزياني أبو سعيد عثمان بن عامر أن يكون ابنه الخطيب ضمن هذه السفارة، ويبدو أنه كان يتجسس لصالح المرينيين، لأنه بعد وصولهم طلب الاختلاء بالأمير المريني وأطلعه على أمور تتعلق بالبلاط الزياني وسب يغمراسن، وكانت الجارية خلف الحجاب أين سمعت ما دار بينهما من حديث وأرسلت به إلى عثمان بن يغمراسن الذي قام بقتله وسبي نساء بيته[3].

وكان الجواسيس ينقسمون إلى قسمين، قسم يستقر في بلاد العدو ويعيش فيها لالتقاط الأخبار، وقسم آخر يتردد بين بلاد الخصم وتلمسان ليطلع الأمير على الأخبار، وقد كان أحمد بن قاسم بن الحاج جاسوسا وكان منزله مأوى للجواسيس، فقبض عليه أبو الحسن وسجنه، وتشفع له ابن مرزوق[4]، وهناك أيضا نوع آخر يرتبط بهذا النشاط، وهو ما يسمى بالشواف أي الرجل يتمتع بالنظر جيدا ولمسافات بعيدة، وقد استخدمه أبو حمو الثاني لمعرفة تمركز جيش أبي تاشفين[5].

3–قادة الجيش:

تعتبر القيادة الركن الأهم في هرم المؤسسة العسكرية نظرا لما تتميز به من صلاحيات تعد بمثابة الموجه للجنود في المعارك[6]، على أنه في النظام القبلي كان إسناد القيادة إلى شيوخها، فالزعيم يجمع بين شقين سياسي وعسكري إن صح التعبير، فكان يخرج على رأس المعارك ويوجهها بحكم توفر عدة مؤهلات فيه من شجاعة وسداد الرأي والكرم والبذل والتضحية وغيرها من صفات الزعامة المعروفة[7]، فكان الحال نفسه مع بني عبد الواد في مرحلة القبيلة، واستمر أيضا في مرحلة الدولة مع تغييرات وظهور قيادات بحكم تعدد جبهات القتال،

---

[1] عارف عبد الغني، نظم الاستخبارات عند العرب المسلمين، دار الهدى، الجزائر، د.س، ص108.

[2] الغريب أن بعض الباحث عبد العزيز فيلالي قد أورد هذا الخبر على غير ما جاء في المصدر الذي ذكره، ويبدو أنه استخدم نسخة مخطوطة وقع فيها تحريف كلمة رزقا بكلمة ورقا، فظن أن عثمان بن يغمراسن قد درب جاريته على علم التعمية وهذا خطأ، فضلا عن أن الدولة العبد الوادية كانت بدوية في مراحلها الأولى. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1،ص25.

[3] محمد ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص285.

[4] محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن، صص322-323.

[5] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص108.

[6] خميسي بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018، ص53.

[7] عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، 1961،ص75.

وقد فصل أبو حمو الثاني في هذه القيادات وعلاقتها مع الأمير ومراسيم تعامله معها ومواصفاتها، فقد اعتبرهم أهم المفاتيح للانتصار في المعارك، واشترط فيهم مؤهلات أهمها حب الحاكم والإخلاص له[1] فقائد الميمنة رأى أنه ملزم بتوفر رباطة الجأش والصدق في شخصيته[2]، أما قائد الميسرة فيجب عليه التحلي بثبات القلب في المعركة ومعرفة مواقع الحرب، أما المقدمة فاشترط في قائدها الخبرة بخوض المعارك ذو مقدرة على استكشاف نقاط ضعف جيش العدو والجرأة عند المواجهة، في حين يشترط في قائد الساقة أن يكون مشاركا في عدة معارك، كما اشترط أن يكون من " ذوي الحسب اللباب والكرم في الأنساب"[3].

هذا وقد اشتهر عدة قادة عسكريين خاضوا عدة معارك، ففي عهد يغمراسن أسند قيادة حامية سجلماسة لابن أخته عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة[4] وفي عهد أبي حمو الأول كان ابن عمه مسعود بن أبي عامر برهوم وصهره محمد بن يوسف ومولاه مسامح وموسى بن علي الكردي من أبرز قواده[5] وفي عهد أبي تاشفين الأول نذكر عيسى بن مزروع الياتكتني قائد الجيش بتامززدكت[6] وموسى بن علي الغزي أو الكردي الذي جدد ثقته فيه وأسند له قيادة عدة معارك ضد الحفصيين والمرينيين[7]، أما في عهد أبي حمو الثاني كان من قواد جيشه الحاج موسى بن علي بن برغوث[8] وشعيب بن إبراهيم المعطاوي[9] وأبو يعقوب[10] وأبو عبد الله بن مسلم الزردالي[11]وعمران بن موسى بن فارس بن حريز اللؤلؤي[12] وعمر بن موسى المطهري[13] ويعيش بن راشد بن الزعيم المجني[14].

---

[1] وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، ضمن كتاب مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011،ص188.

[2] أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص143.

[3] نفسه، ص144.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص114.

[5] نفسه، ج7، ص137.

[6] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص242.

[7] نفسه، ج1، ص240.

[8] نفسه، ج2، صص23-24، 47.

[9] نفسه، ج2، ص49.

[10] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص100،79،77. يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص55-56.

[11] مؤلف مجهول، نفسه، ص85. يحي ابن خلدون، نفسه، ج2،ص56

[12] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2،ص63.

[13] نفسه، ج2، ص146،99.

[14] نفسه، ج2، ص146.

تثمينا لما سبق أولت السلطة الزيانية اهتماما بترتيب جيشها في ميادين المعارك على اختلافها بين البسائط والجبال وحرب العصابات، فقد اتبعت التقسيم المعهود السائد لدى الجيوش الإسلامية والذي يقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب وساقة، مع مراعاة لمواصفات مقاتلي كل جهة في أدبيات السلطة ما يعطي انطباع بمتابعة هذا التنظيم من السلطان الزياني نفسه، وقد استعدت المعارك الصغيرة إسنادها لكتائب معدة خصيصا لمثل هذه المهمات والتي تعتبر الوحدة الأساسية للكراديس، على أن هذه الأخيرة مرتبة وفق نظام الصفوف، وتنوعت الفرق من ناحية الأسلحة والترتيب، فهناك فرقة الفرسان التي تمتطي الخيول وتقاتل في مقدمة الجيش، وقد كان لها الدور الأساسي في ترجيح كفة الجيش بالعديد من المعارك، فضلا عن الأدوار التي قاموا بها كالضربات الخاطفة على محلات العدو، إضافة إلى فرقة المشاة الضين يرتبون خلف الفرسان ويقاتلون بالرماح الطويلة والسيوف، كما كانت توكل لهم مهمة حماية أسوار المدن، دون نسيان الفرق غير المقاتلة والتي كانت لها أدوار مهمة مكملة لأداء الجيش، على غرار الفعلة المختصين ببناء الأسوار والحصون والمحارس وحفر الآبار في طريق مرور المحلة وأيضا فرقة الكفلاء المختصة بحماية حريم السلطان وخبائه وتتكون في معظمها من العبيد والأعلاج، كما اعتبر الجواسيس من أهم هذه الفرق لدورها المهم في التجسس على الخصم والحصول على المعلومات التي يتحرك الجيش بناء على معطياتها .

الفصل الثالث: الانعكاسات الاقتصادية

أولا: الحرب والغذاء

1-الحصار وانعكاساته على الغذاء

2-التدابير الغذائية لمواجهة الأزمة

3-الحرب والماء

ثانيا: الحرب والنهب

1-أمراء الدولة الزيانية والنهب: دافع مشترك

2-تضرر الجيش وأحواز تلمسان من النهب

أ-نهب عمالات الدولة الزيانية

ب-نهب المحلة الزيانية

ثالثا: الحرب والأرض

1-تضرر المجال الفلاحي

2-الإقطاع وتغيير نشاط الأراضي

أولا: الحرب والغذاء:

عالجنا في الفصلين السابقين إشكالية حضور الحرب خلال المرحلة الممتدة من تأسيس الدولة العبد الوادية في بداية الثلث الثاني من القرن السابع، إلى مشارف نهاية القرن التاسع، فتبين لنا من خلال رؤية تكميمية الحضور المؤثر لهذه الصراعات العسكرية، على أننا لا نبالغ في حدتها، فظاهرة الحرب وإن كانت مترسخة في بنية القبيلة فإنها لا تحيل إلى ذلك الصراع الدموي العنيف حسب أحد الباحثين، بل هي أشبه بالحالة الاجتماعية التي تحولت إلى تقليد وجد تقبلا واسعا لدى معظم القبائل في العصر الوسيط[1]، مما يحيلنا إلى تتبع انعكاساتها على حياة الإنسان خصوصا ما تعلق بحاجاته الاقتصادية من مأكل ومشرب. بل يمكننا القول أن تحصيل الغذاء كان تحدي خاضه الإنسان خلال هذه الفترة، لأنه عاش في ظل ظروف متوترة لم تكتفي بتهديد حياته، بل خيمت على طريقة تفكيره، وغرست إفرازات ذهنية ترسخت كقيم سار على حمولاتها ومضامينها سواء كانت سلبية أم إيجابية، وإذا كانت فترة السلم تعني تداول السلع بما فيها الأغذية بطريقة طبيعية تميزها الوفرة، فإن فترات الحروب والحصارات تعكس المعطيات، ويحل شبح الندرة فترتفع أسعار الأغذية، هذا إذا توفرت، فيضطر إذا حل به الجوع أن يضع قيم الحلال والحرام والطاهر والنجس جانبا[2]، ويسعى إلى الوصول لمبتغى واحد فقط وهو سد الجوع، على أنه سيضطر كما سنرى إلى أغذية غريبة في ظل عدم توفر ما اعتاد تناوله في الحالات العادية في محاولة منه التكيف مع مستجدات نظام غذائي مبني على معطيات الأزمة[3]، سنحاول في هذا المبحث تفكيك جدلية الحرب والغذاء، وانعكاسات الأولى على الثانية:

1-الحصار[4] وآثاره على توفير الغذاء:

يعتبر الحصار منعا لممارسة الحياة اليومية والأنشطة الاقتصادية للإنسان بصفة اعتيادية، بما يحيل ارتباطه بعامل الندرة، بل كان أبرز العوامل رفقة الكوارث الطبيعية مساسا بغذاء الإنسان خلال العهد الزياني، كما

---

[1] حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء،2009، ص83.

[2] زهوة أعزيبي، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، أطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2019، ص188.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، عبد الهادي البياض، ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها زمن المجاعات: المغرب والأندلس من القرن 6هـ حتى القرن 8هـ/ 12-14 أنموذجا، مجلة عصور الجديدة، العدد 7-8، 2012،2013، وهران، ص31.

[4] جذوره اللغوية كلها تفيد على معنى واحد وهو المنع، فالحصيرُ هو الملك لأنه يمتنع عن العامة، وحَصِرَ أي بخل، وكل من امتنع عن شيئ فقد حصر عنه، والرجل الحَصُور هو الذي يمتنع عن النساء، والحَصِرُ هو الكتوم للسر، وحصره العدو أي أحاطوا به وضيقوا عليه وحاصروه محاصَرة وحِصارا. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، صص631-632.

شكل تهديدا للأمن الغذائي خلال الفترة مدار الدرس[1] فالهدف الأول للحرب يتمثل في الإخضاع، وإذا لم يتمكن العدو منه ولاذ الخصم بالأسوار للتحصن خلفها، فإنه يلجأ لسلاح التطويق للتضييق عليه وتجويعه[2]، فهو في دلالاته قائم على ثلاثية الإحاطة بالعدو، بما ينجر عنها من تضييق عليه ومنعه[3]. لكن قبل التطرق لمخلفاته السلبية عليه، يجدر بنا أولا طرح إشكال متعلق بمدى حضور الحصار خلال هذه الفترة، كم مدينة حوصرت؟ كم عدد الحصارات التي تعرضت لها تلمسان؟ وهذا في اعتبارنا الضرورة الأولى التي ينبغي منح الاعتبار لها، في قالب إحصائي يبعدنا قدر الإمكان عن المزالق المنهجية:

المدينة	سنة الحصار	المحاصر	مدة الحصار	المصدر والصفحة
حصن تافركينت	649هـ/1251م	يغمراسن بن زيان	أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص208.
سجلماسة	655هـ/1257م	يغمراسن بن زيان	/	يحي ابن خلدون، بغيةالرواد، ج1، ص228.
تلمسان	670هـ/1272م	أبـو يوسـف يعقـوب المريني	ثلاثة أشهر وثلاثة أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص245. ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص310. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص128.
سجلماسة	672هـ/1274م	أبو يوسف يعقوب	ثلاثة أشهر	ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص312.
مازونة	686هـ/1287م	عثمان بن يغمراسن	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص123.
تافركينت	686هـ/1287م	عثمان بن يغمراسن	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص124.
بجاية	686هـ/1287م	عثمان بن يغمراسن	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص125.

[1] خالد بلعربي، إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018، ص115.

[2] حميد اجميلي، جوانب من التاريخ الديموغرافي بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، منشورات مركز تافيلالت للدراسات والتنمية والأبحاث التراثية، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2016، ص155.

[3] بوقاعدة البشير، فن الحصار في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10-14م)، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2017، ص141.

جبل وانشريس	686هـ/1287م	عثمان بن يغمراسن	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص211.
تامة	687هـ/1288م	يوسف بن يعقوب المريني	40 يوما	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص284.
تلمسان	689هـ/1290م	يوسف بن يعقوب المريني	16 يوم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص126.ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص379.
برشك	693هـ/1294م	عثمان بن يغمراسن	40 يوما	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص133،124،90. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، صص230-231.
ندرومة	696هـ/1297م	يوسف بن يعقوب المريني	40 يوما	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص290. ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص385.
تلمسان	697هـ/1298م	يوسف بن يعقوب المريني	ثلاثة أشهر	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص126. ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص385.
قلعة بني سلامة	697هـ/1298م	عثمان بن يغمراسن	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص126.
تلمسان	698هـ/1299م	يوسف بن يعقوب المريني	8 سنوات و3 أشهر و5 أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، صص90-91/127/291-292.
وهران	699هـ/1300م	يوسف بن يعقوب المريني	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص292.
مازونة	699هـ/1300م	يوسف بن يعقوب المريني	سنوات	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص91.
جبل بني بوسعيد	704هـ/1305م	أبو يحي بن يعقوب المريني	/	العبر،ج7، ص91.
بجاية	711هـ/1311م	مسعود بن برهوم العبد	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7،

		وادي		ص138.
الجزائر	712هـ/1312م	أبو حمو موسى الأول	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص135.
جبل موصاية	712هـ/1312م	مسعود بن برهوم العبد وادي	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص138.
حصن توكال	719هـ/1319م	عمر بن عثمان	ثمانية أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص142. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص143.
بجاية	719هـ/1319م	أبو تاشفين الأول	ثلاث أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص143.
قسنطينة	721هـ/1321م	موسى بن علي الغزي	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص143.
قسنطينة	725هـ/1325م	موسى بن علي الغزي	15 ليلة	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص144. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص241.
بجاية	726هـ/1326م	موسى بن علي الغزي	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص144. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص241.
بجاية	729هـ/1329م	عيسى بن مزروع	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص145.
وجدة[1]	735هـ/1335م	أبو الحسن المريني	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص339.
تلمسان	735هـ/1335م	أبو الحسن المريني	سنتين	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص147. يحي ابن خلدون، بغية

[1] مدينة كبيرة يحيط بها سور، تمتعت بإمكانيات زراعية مهمة حيث كثرت بها البساتين والجنات، بفضل الشبكة الهيدروليكية التي تمتعت بها من عيون وجداول، زيادة على جودة تربتها، كما صلحت أراضيها للمرعى ما سمح لساكنتها بترتيبة المواشي والتجارة في لحومها وصوفها التي كانوا يصنعون منها أكسية لعل أشهرها ما سمي بالعبيدي الذي كان سعره مقدرا بخمسين دينارا، كما أهلها موقعها أن تلعب مكانة تجارية هامة باعتبارها حلقة وصل من وإلى المغرب، جدير بالذكر أنها تقع في بلاد المغرب الأوسط وليس المغرب الأقصى. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص177.

				الرواد،ج1، ص243. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص145.
وهران	749هـ/1348م	أبو ثابت	أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص156. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص259.
وهران	750هـ/1349م	أبو ثابت	أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص157.
تنس[1]	752هـ/1351م	أبو ثابت	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص160،94.
معاقل بلاد مغراوة	752هـ/1351م	أبو ثابت	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص158. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، صص262-263.
جبل أجرواو	752هـ/1351م	أبو ثابت	أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص160. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص262.
تنس	752هـ/1351م	أبو ثابت	أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص160. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص153.
قسنطينة	759هـ/1358م	أبو حمو الثاني	سنة	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص20.
ميلة	759هـ/1358م	أبو حمو الثاني	/	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص25.
وهران	760هـ/1359م	الحاج موسى بن علي بن برغوث	/	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص47.
تلمسان	760هـ/1359م	أبو حمو الثاني	/	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني

[1] مدينة محصنة بأسوار، بها مسجد وجامع وعدة أسواق، ولها نهر يسمى تامن، كثر بها الزرع والسفرجل، وأسعار مختلف الأغذية بها رخيصة وتصدر منها إلى بلاد المغارب، وهي مدينة يتاجر بها الأندلسيون كثيرا. ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص78. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص133.

				زيان، ص46. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص159.
الجزائر	760هـ/1359م	أبـو يعقـوب وعبـد الله بن مسلم الزردالي	/	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص85.
الجزائر	761هـ/1360م	أبو يعقوب	/	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص99.
جبل الوانشريس	761هـ/1360م	أبو حمو الثاني	/	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص111.
تنس	761هـ/1360م	أبو حمو الثاني	ثلاثة أيام	مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، صص112-113.
وهران	761هـ/1360م	عمـران بـن موسـى بـن فارس	/	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص74.
تدلس	766هـ/1365م	أبو حمو الثاني	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص171.
جبل تيطري	768هـ/1367م	موسـى بـن علـي بـن برغــوث وعطيــة بــن موسى	/	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص179.
سجلماسة	771هـ/1370م	محمد بن أنعجوب	/	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص224.
بلاد مغراوة	776هـ/1375م	أبو حمو الثاني	/	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص281.
مليانة[1]	778هـ/1376م	أبو زيان بن أبي سعيد	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص184.
الجزائر	778هـ/1376م	أبو حمو الثاني	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص185.

[1] مدينة معمرة منذ العهد الروماني، جدد بناءها زيري بن مناد الصنهاجي، تتميز بحصانتها الطبيعية بحكم وقوعها في سفح جبل نكار، ويصل الماء إليها من هذا الجبل الذي يكثر به الريحان، وبها أنهار وبساتين تنتج مختلف الفواكه، وتشرف على سهول واسعة تزرع فيها مختلف المنتوجات، يسكنها عدة قبائل بربرية. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص171.

تازة[1]	784هـ/1382م	أبو حمو الثاني	سبعة أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص462،188.
جبل تيطري	788هـ/1386م	أبو تاشفين الثاني	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص480،192.
تلمسان	792هـ/1390م	أبـو زيان بـن أبي حمـو الثاني	أيام	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص481،196.
تلمسان	792هـ/1390م	أبـو زيان بـن أبي حمـو الثاني	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص481،196.
حصن تاحجموت	795هـ/1393م	صالح بن حمو المريني	/	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص482،197.
تلمسان	831هـ/1428م	أبو فارس الحفصي	/	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص245.
بلاد بنو يزناسن(وجدة وأحوازها)	833هـ/1430م	أبو فارس الحفصي	/	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص246. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص129.
الجزائر	841هـ/1438م	محمد المستعين بالله	/	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص251.
تلمسان	867هـ/1463م	أحمد العاقل	14 يوم	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص257.

[1] تعتبر بلاد تازا أول بلاد المغرب الأقصى، تتميز جغرافيتها بكثرة الجبال الحصينة، تكثر فيها زراعة الفواكه كالتين والأعناب، والجوز، سكنتها قبائل غياتة وهي بربرية الأصل، شيد الموحدون فيها مدينة الرباط سنة 568هـ/1173م، وهي مدينة كبيرة تقع في سفح جبل، تضم عدة جداول مائية وعليها سور يحيط بها، تمتعت بمقدرات زراعية جعلت صاحب الاستبصار يصفها بأخصب بلدان المغرب والمشرق حسب اطلاعه.مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص186.

التوزيع الزمني للحصارات:

الفترة	عدد الحصارات
القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي	17
القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي	38
القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي	4
المجموع	59

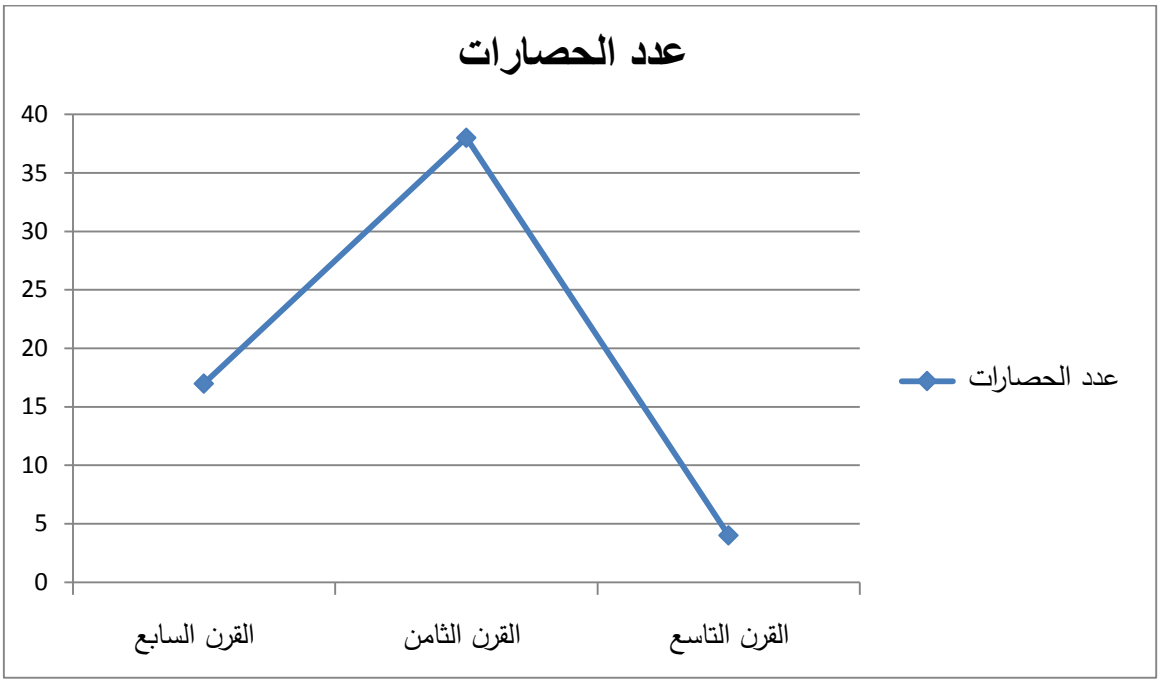

تعليق:

شهد المغرب الأوسط خلال الحيز الزمني الممتد من الثلث الأول من القرن السابع وهي الفترة التي شهدت تأسيس الدولة العبد الوادية إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع وتحديدا سنة 867هـ/1468م مجموعة من الحصارات على مختلف مدن المغرب الأوسط، وبعض المدن الواقعة في مجال المغرب الأقصى والتي كانت تحت سيطرة السلطة الزيانية، حددنا رقمها في حدود سبعة وخمسون حصار في ظل ما توفر لدينا من معلومات، جدير بالذكر أن الإيستوغرافيا لم تهمل التوطين الزمني لهذه الحصارات ما يحيل إلى مقدار سطوة فعل الحصار على الإنسان خلال الفترة المذكورة.

أما من ناحية التوزيع الزمني لها فقد استأثر القرن الثامن بنصيب الأسد، حيث شهد المغرب الأوسط خلاله ثمان وثلاثون حصار عانى منها الإنسان من مختلف صنوف البؤس والمعاناة، يليه القرن السابع بسبعة عشر حصار والقرن التاسع بأربع حصارات، هذا القرن والذي يختصر حسب رأينا المشهد المنهك الذي عرفته الدولة الزيانية، التي تراجعت حدودها وتقلصت سطوتها على الكثير من القبائل، بل وصلت لدرجة سيطرة القبائل العربية عليها.

الحصارات المتعددة على المناطق:

المدينة	عدد مرات الحصار
تلمسان	10
وهران	5
بجاية	5
الجزائر	5
تنس	3
قسنطينة	3
سجلماسة	3
مازونة	2
حصن تافركينت	2

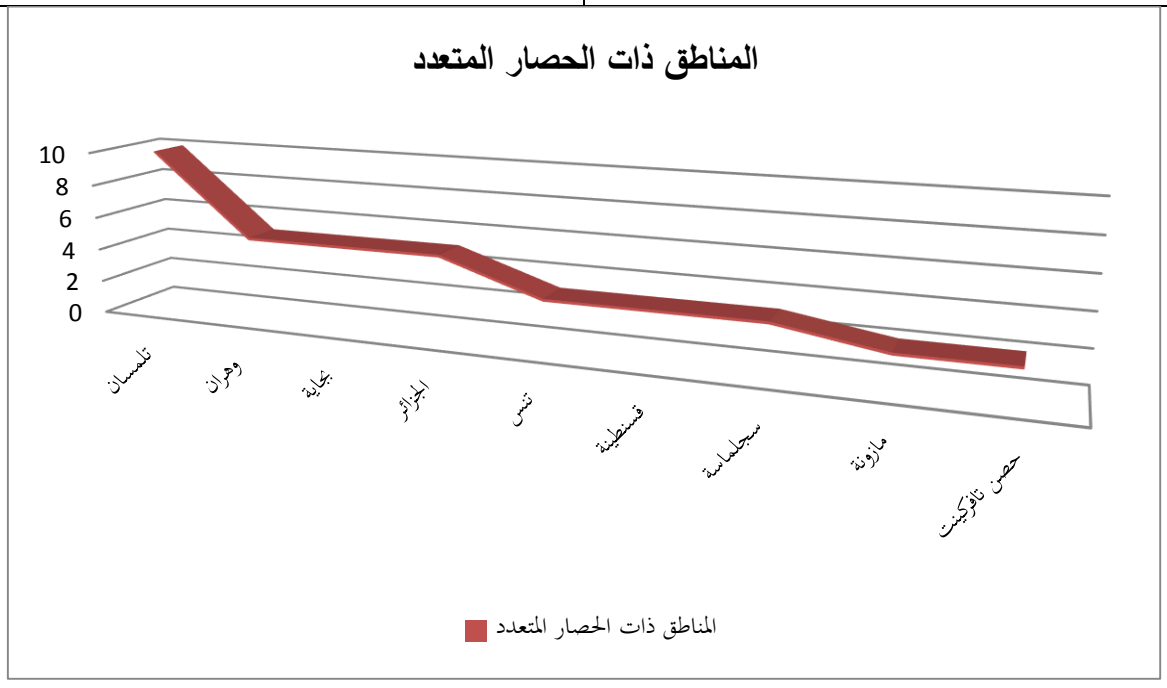

تعليق:

توضح لنا هذه الأرقام ترديد الحصار على مدن معينة نتيجة أهميتها التجارية والعسكرية، وتأتي على رأسها تلمسان التي حوصرت عشر مرات، فكانت كما قال ابن الخطيب " بسبب حب الملوك مطمعة للملوك"[1] وهو ما يبين حجم الضغط الذي عاشته في فرض نفسها على الساحة السياسية وحماية السلطة المستميت لها رغم ما تكبدته من خسائر خصوصا الديمغرافية، أربعة منها كانوا خلال القرن السابع وكلها كانت من طرف المرينيين، شكل الحصار الثاني من بينها الأشد والأبشع والأطول والأشهر[2] في تاريخ الحصارات في تاريخ الغرب الإسلامي بصفة عامة، أما القرن الثامن فشهد أيضا أربع حصارات لها، كان أشدها ما تم على يد أبو الحسن المريني، أما الثلاثة الباقية فكان اثنان منها في إطار صراع داخلي على السلطة عقب مقتل أبو حمو الثاني، وآخر كان في إطار إحياء الدولة الزيانية على يد هذا الأخير، ثاني هذه المدن التي عرفت عدة حصارات نذكر وهران[3] والجزائر وبجاية، وهي كلها مدن ساحلية، وهو ما يبين طبيعة الصراع التجاري الذي احتدم بين الزيانيين والمرينيين والحفصيين على هذه المدن التي تدر موانئها مداخيل قمرقية معتبرة، وحتى حصار سجلماسة[4] التي كانت تحت سلطة السلطة الزيانية تحكمت فيه دوافع اقتصادية، فعرب المنبات الذين ساندوه للتحكم بها كانوا يوجهون القوافل التجارية من سجلماسة إلى تلمسان، وكانت همزة وصل بين بلاد السودان وميناء هنين، كما مثلت أهميتها باعتبارها منطقة تمد الخزينة الزيانية بالضرائب[5]، هذا

[1] لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص184.

[2] ابن سماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص271.

[3] مدينة ساحلية شيدت من طرف الأندلسيين بعدما اتفقوا مع القبائل البربرية الساكنة بها، ويبدو أنها كانت تمثل بالنسبة لهم منفذ بحري تجاري هام بحكم أنها تضم ميناء، كما تتمتع بمقدرات فلاحية هامة، حيث تكثر بها البساتين والثمار بفضل كثرة العيون والأنهار المتواجدة بها والتي أعطت دفعا قويا للنشاط الفلاحي، قدر الوزان الكتلة الديمغرافية بها بستة آلاف كانون أي ما يعادل 30.000 نسمة وكانت في أواخر العهد الزياني من المدن المهمة، حيث كانت تضم العديد من المساجد والفنادق والحمامات، ولها سور عالي يحميها، ويشتغل أهلها بالحياكة والصناعة، ويتميزون بالكرم ومحبة الغريب حسب وصف الوزان، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص133.الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص30.

[4] من إحدى مدن المغرب الأقصى، قريبة من بلاد السودان الغربي، أسست سنة 140هـ/757م على يد مدرار بن عبد الله، وكانت عاصمة لدولة بني مدرار، سكنتها قبيلة مسوفة الصنهاجية، تميزت بقلة عمرانها، تقع على نهرين ينبعان من موضع يسمى أكلف، تضم عدة بساتين والكثير من النخل والأعناب ومختلف الفواكه وتشتهر بالزبيب المسمى الطلي وبنوع من الرطب المسمى بالبرني، كما تنتج محاصيل الحناء والكرويا والكمون والقطن التي تصدر لمختلف الأقطار. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، صص200-201. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص226.

[5] حسن حافظ علوي، المرجع السابق، صص202-203.

ما يفسر الإقدام الزياني والمريني على حصارها لافتكاكها، أما بجاية فقد اعتبرت السلطة الزيانية أنه من حقها السيطرة عليها لاتخاذها ملجأ لحماية نفسها من هجمات المرينيين[1].

يشكل الحصار أزمة تتجلى آثارها الوخيمة على الساكنة في الإجراءات الاقتصادية التي تلقي بظلالها على غذاء الساكنة المتضررة من هذا النشاط العسكري، فتكون أولى النتائج توقف النشاط التجاري وتداول السلع، ما يؤدي إلى اضطراب في عملية العرض والطلب، فإذا كان رخص الأسعار بفضل كثرة السلع المتداولة، أي تحكم عامل الوفرة في إنقاص السعر، فإن الندرة تحدث عكس هذا النظام، وترتفع الأسعار نتيجة كثرة الطلب وقلة العرض، فتكون فرصة للتجار الذي لهم كميات مخزنة من السلع فيبيعونها ويحققون من خلالها الكسب السريع، وهذا ما حدث في الحصارات التي تعرضت لها مدن المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، ولعل أشهرها حصار يوسف بن يعقوب المريني لتلمسان سنة 698هـ/1299م فكانت مدته الطويلة سببا في ارتفاع الأسعار وانتشار الجوع أوساط الساكنة وحتى السلطة الحاكمة، وهو ما فرض عليهم اللجوء إلى تدابير غذائية يواجهون بها هذه الأزمة:

أسعار المنتوجات الحيوانية:

المادة	الكمية	السعر	المصدر
اللحم	رطل	ربع مثقال (المثقال الشرعي هو الدينار)	الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص18.
اللحم	رطل	2 دنانير	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص132.
دجاجة	1	30 درهما	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
دجاجة	1	16 درهم	المقريزي، درر العقود الفريدة، ج3، ص483.
دجاجة	1	8 دنانير ذهبية	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص132.

[1] دومينيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي، ج1، ترجمة علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ص81.

دجاجة سنة 703هـ	1	10 دنانير ذهب	ابن قنفذ، أنس الفقير،ص70.
بقرة	1	60 مثقالا (المثقال الشرعي هو الدينار)	عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7،ص128.
الضأن (نوع من الأغنام)	1	7.5 مثقال	عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7،ص128.
لحم الخيل	رطل	10 دراهم صغيرة (عشر دينار 10/1)	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص128.
جلد البقر	رطل	30 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص128.
البيض	1	6 دراهم	عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص128.
الشحم	أوقية	20 درهم	عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص128.

تعليق: خلّف الحصار نتائج وخيمة على القدرة الشرائية لساكنة تلمسان، ما فتح الباب لارتفاع الأسعار نتيجة توقف الحركة التجارية بسبب الحصار، فأسعار اللحوم ارتفعت، ورغم شح المعلومات حول أسعارها في الفترات العادية، إلا أن حديث المصادر عن الأسعار أوقات الحصار دليل كاف على عملية التحول في كمية الطلب نتيجة قلة العرض، ما يعني ارتفاعها، إضافة إلى أن أحواز تلمسان تتمتع بتوفر المواشي ما يدل على رخص أسعارها في الأوقات العادية، فسعر اللحم في بداية الحصار بلغ ثمنه ربع دينار للرطل، أما مع نهايته واشتداد وطأة الندرة على السكان ارتفع بحجم غير طبيعي، بحيث زاد ثمانية أضعاف ليتحول إلى دينارين للرطل.

نفس الملاحظة حول أسعار الدجاج الذي كان يبلغ ثلاثين درهما في بداية الحصار، لأن ساكنة تلمسان لم يتوقعوا أن تطول مدته كل هذه السنوات، ليرتفع سعرها إلى ثمانية دنانير ذهبية حسب التنسي،

وعشرة دنانير حسب ابن قنفذ، ما يعادل ثمانمئة أو ألف درهم أي تضاعف سعر الدجاجة إلى أكثر من ست وعشرين ضعفا.

أما سعر البقرة فكان ستين دينار، ولا ندري هل هذا السعر كان في بداية الحصار أم مع نهايته، لكننا نرجح أنه كان في بدايته، لأن الحصار لم يشكل مجاعة على الإنسان فقط، بل حتى على الحيوان، فالبقر كميات غذائه من العلف كبيرة لا تسمح لصاحبه أن يستمر في تغذيته مع انعدام المراعي التي تتواجد في أحواز تلمسان، وإذا كان بعضهم فضل بيعها حية، فإن العديد من الجزارين قام بذبح ما لديه من بقر وفضل بيعه لحما، بل لم يستثنى حتى الجلد من ذلك، حيث بلغ الرطل منه ثلاثين درهما، ومن الغريب أن يكون سعر بقرة ستة أضعاف لسعر الدجاجة في نهاية الحصار، رغم أن وزنها أضعاف مضاعفة لها، وهو ما يصور لنا حجم المعاناة التي عاشتها ساكنة تلمسان كلما مر عليهم يوم من الحصار.

كما بلغ سعر الخروف سبعة دنانير ونصف ذهبية، وحتى الأحصنة طالتها يد النحر لتباع لحومها في مواجهة أزمة الجوع، حيث بلغ رطل من لحمه عشرة دراهم، وهو سعر أقل نسبيا من سعر لحم الخروف، ربما لتواجد الأحصنة التي يستعملها الجيش، وقد تصنف حتى من بين التدابير الغذائية التي طبقتها السلطة الزيانية في مواجهة الجوع مساندة لرعيتها كما سنرى.

أسعار الحبوب: (المثقال بمعنى الدينار الذهبي)

المادة	الكمية	السعر	المصدر
القمح	روجيو	30 مثقال	الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص18.
القمح	6,250 كغ	2.5 مثقال	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
القمح	صاع (ما يقارب 2 كغ)	2.25 دينار	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص135. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1،ص234.

الشعير	صاع	دينار وربع	يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1،ص234.

تعليق: تكتسي الحبوب أهمية معتبرة في النظام الغذائي ليس لساكنة المغرب الأوسط فقط، بل لشعوب البحر المتوسط بصفة عامة، لأنه غذاؤها الأساسي وأصل معاشها وعليه عول الإنسان في تحقيق أمنه الغذائي[1]، بل ندعم اعتبار أحد الباحثين أن القمح كان أحد محركات تاريخ البحر الأبيض المتوسط على مر التاريخ باعتباره عامل وراء الكثير من الأحداث التاريخية، فغيابه مثل وجوده له وقع بالغ في ذهنية إنسان البحر المتوسط[2]، كما يشير باحث آخر أن الحبوب ترسخت كمادة أساسية قدمتها ساكنة الحوض الغربي للبحر المتوسط على اللحم وفق عدة اعتبارات متعلقة بتعودهم على تناولها[3] لهذا فقد شهدت أسعار الحبوب ارتفاعا كبيرا على غرار اللحوم، فالحصار المريني كان في ماي 1299م أي منتصف الربيع، وموسم الحصاد لم يكن قد حان بعد، وهو ما كان له السبب المباشر في التحول الكبير في سعر القمح والشعير، فالساكنة في هذه الفترة تكون مدخراتها من الحبوب قد شارفت على النفاذ، فستة كغ من القمح بلغت دينارين ونصف، لترتفع إلى الضعف مع اشتداد مدة الحصار، فتحول الصاع الواحد منه إلى دينارين وربع، وهو سعر مرتفع، بدليل أنه بعد زوال الحصار انخفض سعره وأصبح ثمانية أصع أي ما يقارب ستة عشر كغ بثمن دينار، ويفسر ارتفاع سعره باعتباره من الأغذية الأساسية للساكنة خلال العصر الوسيط، بل نزعم أن هذا القمح ليس حتى من النوعية الجيدة، وحتى الشعير الذي تقل قيمته عن القمح وبالرغم من المحاصيل الكثيرة التي تنتجها أحواز تلمسان إلا أنه لم يسلم أيضا من حملة ارتفاع الأسعار وبيع ما يقارب اثنان كغ بدينارين وربع.

أسعار الخضر والفواكه وبعض المواد: (المثقال بمعنى الدينار)

الفول	أوقية	20 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128. المقريزي، درر العقود

[1] عبد الهادي البياض، أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب والأندلس، كتاب المجلة العربية، الرياض، 1434هـ، ص20.

[2] فرناند بروديل، البحر المتوسط والعالم المتوسطي، ترجمة عمر بن سالم، د.ط، تونس، 1990، ص78.

[3] سعيد بنحمادة، الأغذية والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: مدخل لدراسة العوائد والقيم، ضمن كتاب النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، منشورات الزمن، الرباط، 2016، صص53-54.

			الفريدة، ج3، ص483.
الكرنب	رأس	ثلاثة أثمان المثقال	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
الخس	رأس	20 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
اللفت		15 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
الفقوس	1	40 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
الخيار	1	ثلاثة أثمان دينار	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
البطيخ	حبة	30 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
التين	حبة	2 دراهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
الإجاص	حبة	2 دراهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
الملح	رطل	2 دنانير	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص132.
الملح	سكورزو	3 مثاقيل	الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص18.
الملح	أوقية	10 دراهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
الزيت	أوقية	12 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،

			ص128.
الزيت	رطل	2 دنانير	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص132.
السمن	أوقية	12 درهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.
السمن	رطل	2 دنانير	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص132.
العسل	رطل	2 دنانير	التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص132.
الحطب	أوقية	10 دراهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.

تعليق: انتقلت حمى الأسعار أيضا للخضر والفواكه، فبعض الخضر التي كانت أسعارها منخفضة بل لم تذكر في الأوقات العادية نتيجة سهولة تداولها، قد أصبح عسيرا الحصول على البعض منها، فالفول بيع منه أوقية (31 غ) بعشرة دراهم، ما يجعلنا نرجح أن الفول كان يباع مطهيا، وبلغ سعر رأس واحد من الكرنب وحبة خيار ما يقارب ثلاثة أثمان دينار، ورأس واحد من الخس عشرين درهما، وهو الذي لا يكفي وحده لسد رمق الجوع، والفقوس أربعين درهما.

أما الفواكه فبعدما كانت تباع بالمكاييل المعهودة نظير أسعار مقبولة في الحالات العادية، أصبحت تباع بالحبة وبأسعار معتبرة، فحبة من التين والإجاص بلغت درهمين لكل واحدة منهما، والبطيخ ثلاثين درهما، أما الملح والزيت فارتفاع أسعارهما يبين أن المطبخ التلمساني استمر في العمل رغم ندرة التموينات، فقد كان سعر أوقية من الملح في بداية الحصار بعشرة دراهم، ليرتفع سعر الرطل إلى دينارين، أما الزيت فأوقية بيعت باثنتي عشر درهما ليرتفع إلى دينارين للرطل، لكن إذا أجرينا مقارنة بين أسعار اللحوم والخضر من جهة، وبين أسعار الحبوب نجد أن هذه الأخيرة سعرها جد مرتفع عن الصنف الأول، وقد أرجع أحد الباحثين ذلك كون اللحوم

والخضر من المواد السريعة التلف بعكس الحبوب إضافة للعسل والسمن وهي مواد قابلة للادخار لفترات طويلة[1].

2-التدابير الغذائية لمواجهة الأزمة:

تعتبر التدابير الغذائية التي اتخذتها ساكنة تلمسان خلال الحصار المريني بمثابة نزول في سلم الأولويات ومواجهة خيمت عليها ذهنية الاضطرار بحكم الظرف الصعب الذي عاشوه، فالمائدة التلمسانية لاشك أنها طرأت عليها تغيرات عدة، سواء المائدة السلطانية أو موائد الساكنة، فيمكننا القول أن حتى النظرة للطعام تغيرت، فتلاشى شيئا فشيئا خطاب الشبع والتخمة، ليحل محله خطاب التقشف والندرة وتناول المقزز وحتى المحظور، فلا مجال لأحكام الحلال والحرام أمام إنسان لا يبحث عن أي شيء سوى ما يملأ بطنه، ولو بطرق ملتوية، بل وحتى بطرق عنيفة، وما يؤسف له في هذا الحال أن الإيستوغرافيا لا تسعف الباحث للغوص أكثر في عمق هذا الخطاب وحمولاته السوسيولوجية ومخلفاته السيكولوجية، ما يضطرنا إلى بذل جهد أكبر في تفكيك المعلومات على قلتها ومقارنتها ببعضها البعض، على أننا لا نخفي ما ينطوي عليه هذا التأويل من مزالق منهجية تجعلنا نعيد النظر في التعامل بحذر معها:

كانت هذه الأطعمة الجديدة على النظام الغذائي لساكنة تلمسان تحدي فرض عليهم لأن الأمر لم يعد يتعلق بالذوق واللذة بقدر ما ارتبط للتكيف مع شبح الجوع والتخفيف من حدته، لكن هذه التدابير كانت مستوحاة من الطبيعة وليس ما افتري عليهم من طرف بعض المصادر المغرضة، وعلى رأسها صاحب كتاب تاريخ الدولة الزيانية[2] الذي بلغ حقده على السلطة الزيانية أن اتهم ساكنة تلمسان بأنهم كانوا " يجعلون غائطهم في الشمس حتى يعود يابسا فيطبخونه ويأكلونه"[3] وهو تحامل لاشك أنه واحد من بين عديد التهم المغرضة التي كالها لبني عبد الواد، كما لا يمكن تصديق الزعم القائل بأكلهم لحوم الموتى[4]، بل هو اتهام مغرض لا هدف له سوى تشويه الوقفة الصامدة للسلطة الزيانية، ولرعيتها التي ساندتها ولم تضغط عليها للاستسلام

[1] عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ)، دار الطليعة، بيروت، 2008، ص108.

[2] بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية بالمغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2017-2018، ص379.

[3] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص69.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128. ابن الأحمر، نفسه، ص69.

رغم أنه كان في إمكانها فعل ذلك، فإذا كان زعمهم له نسبة من الصحة فلماذا لم يحدث طاعون يحصد ساكنة تلمسان خلال فترة الحصار باعتبار أن أشلاء الجثث والهواء الذي يفسد بسببها يعد من أبرز ممهدات حلوله[1]؟.

كما لجأت الساكنة إلى تناول الحشائش والنباتات الطبيعية الموجودة داخل تلمسان، وأوراق مختلف الأشجار الموجودة داخل الحدائق المنزلية، فغذاء السلطان الزياني كان يضم أوراق شجرة الليمون وأوراق أشجار أخرى[2] لا شك أنها كانت مغروسة في حدائق القصر، وهي وصية من وصايا أبي حمو الثاني في واسطة سلوكه، حيث أكد على ضرورة غرس أشجار في الحصون والأسوار للانتفاع من ثمارها وقت الحصار، كشجر التين والزيتون[3]، وهو مما لا شك فيه أنه كان موجودا داخل تلمسان، فكان تدبير غذائي لجأت إليه الساكنة، كما أن نظرة متمعنة لبعض الخضر التي تحدث عن أسعارها ابن خلدون تبين أن ساكنة تلمسان كانوا يزرعونها في منازلهم، فالعديد منها لا يطول نضجه على غرار الكرنب الذي يتحمل البرد والصقيع وينضج في مدة شهرين ونصف، بل حتى بعض الأشجار المثمرة كالإجاص والتين التي غالبا ما تغرس في البيوت، إضافة إلى ذلك هل يمكننا الحديث عن تناول الساكنة ثمار الخروب[4] خصوصا أنها شجرة مشهورة في البحر الأبيض المتوسط، بل واعتبرها ليون الإفريقي غذاء بديل للخبز لدى سكان جبل بني يزناسن[5]؟.

إضافة إلى ما سبق تتوفر لدينا بعض القرائن التي تسمح لنا باعتبار الفول من بين أبرز البدائل الغذائية التي لجأت إليها ساكنة تلمسان، أما لماذا الفول بالضبط فلأن ذكره غالبا ما يكون أوقات الأزمات، فقد سئل علي بن محسود عن سلف الفول الأخضر وكان جوابه بجواز ذلك "وقت الحاجة وشدة المجاعة لما فيه من إحياء

[1] ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق حياة قارة، منشورات دار الأمان، الرباط، 2015، صص65-67.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص18.

[3] أبو حمو الثاني، المصدر السابق، ص154.

[4] يسمى في بلاد الشام بالخرنوب، ويتكون من عدة أنواع، فمنه ما هو طويل وقشرته رقيقة ويصطلح عليه بالنارجين، ونوع آخر ثمرته طويلة تتميز بالغلظة وتعرف بالصندلي، ونوع رطب قصير يسمى بالصيني، تفيد في إطلاق وتليين البطن ويعسر هضم الأطعمة أي يحبس فترات طويلة بالشبع، وقد ذكر ابن الخير الإشبيلي أنه طعام يؤكل زمن الشدة والمسغبة. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س، ص317. أبي الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص207.

[5] الحسن الوزان، نفسه، ج2، ص43.

النفوس"[1] وهو ما ذهب إليه أحد الباحثين معتبرا أن الفول كان يلجأ إليه في المجاعات[2] فاذخار الفول بعد تجفيفه قرينة تدعم اعتباره كبديل غذائي في ذهنية إنسان المرحلة.

كما سئل أحد الفقهاء أيضا عن رجل نشر فولا فوق سطح بيته[3]، ومما يدعم قولنا أن محلة أبي عنان المريني في طريقها إلى قسنطينة اشتد عليها الغلاء، فلم يذكر صاحب مناقب التلمسانيين أسعار المواد سوى الفول مفردا له بصيغة التعجب بقوله " حتى بلغ فيها الفول ثمانية بدرهم"[4]، وفي فترة الحصار كان يباع مطهيا بدليل الكيل الذي ذكره ابن خلدون حيث كان يباع بالأوقية[5] وهي التي لا تتعدى أربعون غرام، على أن أبرز إشارة ذكرها لنا التنسي والتي تنم عن ارتباط الحصار بالفول في قوله عن حصار أبي فارس لتلمسان سنة 831هـ/1428م أن ساكنتها لما اشتد عليهم الحصار " ألجأ أهلها إلى الفول"[6] وهي أهم إشارة تدعم ما قلنا به، وثمة نصوص تبين أنه كان حاضرا في أمثلة العامة التي قالت "الفول إذا نور شهر يدور"[7] وهو مثل يعبر عن سرعة نضوجه.

أيضا من بين التدابير المتخذة لجوء الساكنة إلى نمط اقتصاد بدائي مبني على الصيد[8] وهو ما يتجلى في أسعار بعض اللحوم المبينة أسفله في الجدول، ما يدعم قولنا تسعير العصفور والفأر والحية وهو ما يوحي بوجود نشاط قنص لهذه الحيوانات: (المثقال بمعنى الدينار)

المادة	الكمية	السعر	المصدر
القط	1	1.5 مثقال	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128. المقريزي، درر العقود الفريدة، ج3، ص483.

[1] أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب، ج4، تحقيق محمد عثمان، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص442.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 2006، صص42-43.

[3] الونشريسي، نفسه، ج2، ص274.

[4] عبد الله بن محمد الثغري التلمساني، مناقب التلمسانيين، تحقيق قندوز بن محمد الماحي، دار الوعي، الجزائر، 2018، ص251.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص128.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص245.

[7] محمد بن عاصم الغرناطي، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، تعليق أبي همام عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق الرقمية، القاهرة، 2014، ص281.

[8] عبد الهادي البياض، المناخ والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، ص66.

لحم البغل والحمار	رطل	ثمن المثقال	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص128.
الكلب	1	1.5 مثقال	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص128.
الفأر	1	10 دراهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص128. المقريزي، درر العقود الفريدة، ج3، ص483.
الحية	1	10 دراهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص128.
عصفور	1	6 دراهم	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص128.

تعليق: كما يمكننا الحديث عن تدابير السلطة لمساندة رعيتها ولو بصفة مقتضبة، فيبدو أنها بذلت جهودا محمودة للتخفيف من حدة الأزمة، في ظل ما توفر لها من إمكانيات، فقد كان السلطان الزياني يرسل لأسرة ابن مرزوق ما يحتاجونه من أغذية[1]، كما كان يحي بن موسى قد تولى مهمة توزيع القوت بالمقدار على الجنود في الأسوار ليلا مع أعوانه[2] لأن الجيش والساكنة على حد سواء رغم شدة الجوع لم يخونوا السلطان الزياني وبقوا على ولائهم له وهو ما قدره بل تمنى لو فداهم بلحمه نظير هذا الولاء[3]، على أننا لا نميل للرأي الذي تقدم به بعض الباحثين بخصوص دعم السلطة للرعية باعتباره " اقتصاد الأخلاق" لتحسين صورته في أوساط العامة[4]، أو حتى اعتبار هذه التدابير واجهة لمقابل يبحث عنه الحاكم والمتمثل في المزيد من الولاء[5]، ففي ظل أزمة كالحصار لا نرجح تفكير الحاكم إلا بما يخفف الأزمة عن رعيته، ولهذا ما يحسب لها حسب رأينا

[1] محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص194.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص151. مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص284.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص18.

[4] عز الدين العلام، الآداب السلطانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2006، ص191.

[5] إبراهيم القادري بوتشيش، نصائح الآداب السلطانية كآلية استباقية لتجنب العنف بمغرب العصر الوسيط، ضمن كتاب " العنف في تاريخ المغرب"، منشورات ملتقى الطرق، الدار البيضاء، 2015، ص97.

هو لجوؤها إلى ذبح أحصنة الجيش الزياني وتدعيم سعره فقد بلغ سعر رطل منه حوالي عشرة دراهم صغيرة، وهو سعر رمزي مقارنة بهول الأزمة، وإن لم تصرح المصادر بهذه التدابير إلا أننا نرجحها في ظل السعر المقبول أولا، إضافة إلى أن الأحصنة تتوفر بكثرة لدى الجيش، وتحتاج إلى علف لتغذيتها، فكان لزاما التقليل من ذلك وذبحها للاستفادة منها، ولنا إشارة أخرى توضح انعدام الخيول لدى الجيش الزياني، فقد نقل لنا التنسي نصا عن مصدر مفقود كان مؤلفه قد شهد الحصار المريني على تلمسان، وذكر عن مقاتلة تلمسان الشهادة التالية " ما قاتلوهم يوما إلا وكان الربح للحصورين، ولقد رأيتهم يحملون وهم رجالة على الفرسان فيفرون أمامهم، ولا يقدرون أن يكروا عليهم، فما أكاد أقضي العجب من شجاعتهم"[1]، فالجيش الزياني كان كله رجالة، زيادة على هذه القرائن، فإن حتى الحاكم الزياني كان غذاؤه متكون من لحم الحصان[2].

على أنه تجب الإشارة إلى مسألة مهمة تتمثل في تسلل الأغذية لتلمسان من طرف الجند المريني، فقد أرسل خال محمد بن مرزوق لابن أخته وعاء سمن كان يرسله له كل مرة، غير أنه وصل الخبر للسلطان المريني الذي كان قد قتل عدة قواد وجنود من الجيش المريني متلبسين بإرسال أغذية للمحاصرين داخل تلمسان[3]، ويبدو أن الجند المريني استغل هذه الفرصة للمتاجرة بالأغذية، بل نرجح أن قائمة الأسعار التي أوردتها مختلف النصوص لم تباع من داخل تلمسان، بل من خارجها، فمن هذا التاجر في ظل تواصل الحصار والندرة الشديدة للأغذية يبيع سلعته؟ لأنه لا فائدة من المال حينما يكون الإنسان مهددا في حياته، ولهذا فالجند المريني كانوا يتعاملون مع ساكنة تلمسان خفية ويبيعون لهم الأغذية، بدليل أن البطيخ لا ينبت إلا في فصل الصيف، في حين أن الحصار كان في ماي 1299م أي في فصل الربيع، وهي قرينة قاطعة تدعم ما قلنا به، كما نشطت العديد من شبكات التهريب حسب أحد الباحثين والتي مثلت تجارة سرية منظمة تولاها كبار التجار الذين استغلوا الفرصة لتحقيق الإثراء[4].

3-الحرب والماء:

يعتبر الماء تبعا لأهميته محددا رئيسيا في تحديد مصير الكثير من الأحداث التاريخية، فقد كانت له كلمة الفصل في قلب نتائج معارك، والقضاء على مقاومة المحصورين داخل الأسوار، ولهذا أولى له القادة العسكريون

[1] التنسي، المصدر السابق، ص132.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص18.

[3] محمد ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص194.

[4] بوقاعدة البشير، فن الحصار في بلاد المغرب الإسلامي، ص157.

حقه من الاهتمام في عنصر التخطيط، فحرصوا على السيطرة على نقاط توفر المياه، فضلا عن حرمان العدو من الآبار باستخدامهم الفعلة في ردم كل بئر يقع على طريق الخصم، زيادة على تدابير أخرى جعلت منه عامل مهم في الحرب، ويبدو أن هاجس الماء لازم مجتمع المغرب الأوسط، فقد تناوب الجفاف والحرب في ترسيخ ذهنية إذخار الماء وتخزين مياه الأمطار والعيون في صهاريج[1].

وباعتبار تنقلات الجيش عبر مسافات طويلة تطلب من القادة وضع خطط تتضمن مختلف المسالك التي يمر عبرها الجيش، واضعين نصب أعينهم تحديد المسافات الفاصلة بين نقط توفر الماء[2]، ففي إطار مواجهة أبي حمو الثاني المرينيين بقسنطينة[3] فضل النزول قرب نقطة تتوفر فيها المياه، فعسكر بماء السمارة، في حين كان الوزير المريني معسكرا بفحص قسنطينة[4]، ويبدو أنه واجهته صعوبة بعد ذلك في إيجاد نقطة ماء لجيشه، حيث اضطر للمسير عشرة أيام " لم يحل بها ولا قومه سرجا، ولا حطوا فيها قتبا" ليحل بوادي ملال أين اضطر لخوض معركة ضد المرينيين ليستقر أياما بذلك الوادي[5].

كما يظهر منحى تمركزه في المراكز المائية بتوقفه لأخذ البيعة بمائي الخضراء والأخضر، كما توقف أيضا بماء شعيب[6]، ويظهر من تسمية المناطق وتخصيصها بالماء دلالة على أهمية الماء في خطة سير الجيش، كما انتقل بين أربع نقاط ماء في إطار صراعه مع المرينيين سنة 760هـ/1359م حيث خيم بعيون يسر، ثم ماء مرسيط لينتقل في اليوم الموالي إلى عيون النشاب[7]، وكان قطع العرب مع أبي زيان الطريق عليه وتمركزهم بماء تغالين عاملا فاصلا في تفضيل أبي حمو الانسحاب على المواجهة[8]. وفي سنة 772هـ/1370م بعد مطاردته من العرب واجه مشكلة في وجود مصدر ماء، حيث اضطر للمشي أربعة أيام لم يجد فيها شيئا، حتى وجد ماء

[1] كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص57.

[2] لوبنى زبير، الماء والحرب بالمغرب زمن السعديين، دار الأمان، الرباط، 2016، ص113.

[3] مدينة أزلية كبيرة، بها عدة آثارا للدول السابقة التي كانت تحت حكمها، مدينة في غاية المنعة والحصانة، بها خندق كبير وقنطرة أعلاه، يكثر بها الزرع ومختلف الفواكه، تتميز بشدة برودتها والثلوج الكثيرة التي تتساقط عليها في فصل الشتاء. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، صص165-166.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص21.

[5] نفسه، ج2، ص21.

[6] نفسه، ج2، ص22.

[7] نفسه، ج2، ص48.

[8] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص187.

قارة المهر في اليوم الخامس وانتقل منه إلى ماء السمارة ومكث فيه أربعة أيام وقد عانى الجيش من ندرة الماء لدرجة بلغ ثمن شربة منه ربع دينار[1]، كما مر في خط سيره سنة 772هـ/1370م على عيون النشاب وماء تاملحت وعين النور[2]، كما مر بعدة نقاط في سيره سنة 773هـ/1371م كما هو مبين في الجدول:

المنطقة	المصدر والصفحة
وادي مينة	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
ماء تونكيرة	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
ماء ساوس	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
فيض الجرنينة	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
وادي القصب	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
بئر تاويالا	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
فيض الجمالة	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
عين العنب	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
وادي الحجل	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
عين الكلب	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص241.
ماء مفسوخ العقل	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص242.
عين وهب	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص242.
ماء الشجرة	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص242.
منهل الحضرى	يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2،ص242.

وخلال توغله في الصحراء بجيشه واجهته مشكلة قلة الآبار فضلا عن ارتدامها بفعل تحرك الكثبان الرملية، ففي سنة 759هـ/1357م دخل الصحراء وسار من ريغ إلى وارجلان مدة خمسة أيام، ثم إلى مصاب ثم

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص231.

[2] نفسه، ج2، صص233-234.

زرقون، وهي مواضع " تجف فيها الروايا من شدة الأوام...كلها مهامه تعرف فيها الجنون، ويعرض على السالك فيها المنون"[1] .

كما حدث له الأمر نفسه سنة 773هـ/1371م أين بقي بماء الأسمام يومين تجهز فيها جيشه بالماء ودخل وادي رمل يعرف بالهبور تقل فيه الآبار فقام بتغطية بئرين فيها بالجلد حتى يجدهما في طريق عودته، وتوغل في الصحراء خمسة أيام " على حين مشارفتهم الهلاك" ونفقت عدة خيول وجمال من محلته، حتى وجد بئر يعرف بتينوالو واستقر به خمسة أيام شارفوا فيها على الهلاك لدرجة أن يحي ابن خلدون عبر عن هذا الحادث بقوله عن استقرارهم بالبئر الذي وجدوه "رجعوا فيه على آثارهم لالتقاط ما طرحه يأس الحياة من أيديهم"[2] وهي مغامرة أقدم عليها أبو حمو وخرج منها سالما.

ولعب الماء أدوارا مهمة في الحد من مقاومة المحصورين خلف الأسوار، فغالبا مايكون الماء الداخل إلى المدن ينبع لهم من عيون وأودية خارج المدينة، لهذا حرص أمراء الدولة على توجيه أوامرهم لإخفاء منابع قنوات المياه الداخلة لتلمسان[3]، ويبدو أن هذا العامل ساعد أبا الحسن المريني في حصاره لتلمسان، حيث كان الماء ينبع من عيون خارج المدينة وكانت مخفية تحت البناء، فجاء أحد البنائين إليه وأطلعه عليها، فاستغل هذه الثغرة وقطعها عليهم مما شكل أزمة لساكنة تلمسان " فقنعوا بالعين التي في داخل بلدهم واكتفوا بالبلالة"[4]. وكان عطش ماشية مغراوة عاملا حاسما في إنهاء الحصار بعد اشتداد العطش عليها فنزلت تطلب المورد[5].

خلاصة القول أن الحرب تكون دائما مدعاة لأخطار وصعوبات تخيم بظلالها على المجتمع وتضطره إلى التفكير في إيجاد أساليب وابتكار حلول يتعايش من خلالها مع الأزمة خصوصا ما تعلق منها بمعيشته اليومية من مأكل ومشرب، وهي متطلبات يومية لا غنى له عنها، ورأينا أن حالات الحصار التي عانت منها مدن المغرب الأوسط خاصة تلمسان قد كانت حالة مؤذنة بضنك العيش وظهور شبح الجوع والندرة في الأغذية والتموينات لأن الحصار يحيل على منع ممارسة الأنشطة اليومية وتكبيل لسيرورة حياة المجتمع، وقد توصلنا من خلال إحصاء عدد حالات الحصار كرونولوجيا أن القرن الثامن للهجرة تصدر بثمان وثلاثون حالة حصار،

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، صص30-31.
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، صص246-247.
[3] مارمول كربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، 1989، ص299.
[4] العمري، المصدر السابق، ج4، ص205.
[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص160.

يليه القرن السابع بسبعة عشر حالة ثم القرن التاسع بأربع حالات، على أن أكثرها شهرة كان الحصار المريني على تلمسان في نهاية القرن السابع، والذي صمد أمامه ساكنة تلمسان رغم شدته وحالات التضييق التي مارسها الجيش المريني عليه، ورأينا من خلال المصادر أنه لجأ لأغذية بديلة كتناول الأطعمة المقززة والجيفة من الحيوانات واللجوء إلى تناول الحشائش وثمار الأشجار المنتشرة داخل تلمسان، والتي تحولت إلى وصية من أهم الوصايا التي نص عليها أبو حمو الثاني في واسطة سلوكه، فضلا عن وقوف السلطة مع رعيتها بذبحها لأحصنة الجيش وتدعيم أسعارها، ونعتقد أن جداول الأسعار التي حفظتها لنا المصادر عن الأثمان المرتفعة لبعض اللحوم والفواكه والتموينات لا تعبر لنا سوى عن ممارسة الجيش المريني للتجارة مع ساكنة تلمسان واستثماره في الأزمة لتحقيق الأرباح وهو ما ترجم في أمر يوسف بن يعقوب بمعاقبة كل من يمرر الغذاء إلى داخل تلمسان.

ثانيا: الحرب والنهب:

تمكن عبد الرحمن ابن خلدون بحكم معايشته لبيئته السياسية والاقتصادية والاجتماعية من تفكيك بنية النمط الاقتصادي السائد في بلاد المغارب في فترة ما بعد الموحدين[1]، ولاحظ من خلال تتبع نمط عيش القبائل خصوصا المتنقلة منها، والمصادر المالية للسلطة، أنها تشترك مع القبائل العربية والبربرية في اللجوء إلى نمط معاش غير طبيعي، تمثل في الحصول على المداخيل باختلافها بالقوة من عند أصحاب أو ممارسي المعاش الطبيعي أي الفلاحة والتجارة، وذلك عن طريق الغارات " فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، وأن رزقهم في ظلال رماحهم"[2] فمعظم الصراعات خلال الفترة مدار الدرس كانت بسبب الأراضي الرعوية ومصادر المياه والمواشي[3] وإذا كان هذا الرأي خصه ابن خلدون للعرب فقط باعتبار نمط عيشهم المتوحش المكتسب من بيئتهم البدوية والسلوك الحيواني الذي جعلهم يتعاملون مع ساكنة البسائط بمنطق النهب[4]، إلا أن أحد الباحثين يرجع سبب هذا النهب وهذا السلوك الذي خصه ابن خلدون للعرب ليس إلا حكما قاسيا عليهم متناسيا عامل ندرة القوت يمثل السبب الأساسي في تنقلاتهم[5].

هؤلاء البدو عاجزون تماما عن استصلاح وخدمة الأرض، فإن زناتة تتشابه أيضا معها في هذا النمط، فبنو عبد الواد قبل تأسيس دولتهم كانوا قبائل رعوية لا علاقة لهم باستصلاح الأراضي، وهو ما فرض عليهم اتباع سياستين لتحقيق دخل مالي، الأولى تمثلت في الإقطاع الذي منحته لمختلف القبائل مقابل ضريبة معينة، إضافة إلى ضريبة الحرب التي فرضتها على القبائل الخاضعة تحت سلطتها، والثانية تعتبر تكميلية لها، فإذا لم تدفع الضرائب تخرج الدولة في حملات تأديبية تنهب فيها كل ما يصادفها من أموال ومزروعات ومواشي، وجدير بالذكر أن سلاطين الدولة الزيانية كانت إقطاعاتهم كلها تقريبا للقبائل العربية، وهذه الأخيرة تفتقر

---

[1] اللحظة الفارقة التي حقبها مالك بن نبي بإنسان ما بعد الموحدين كانت نقطة تحول في السياق الحضاري بصفة عامة، حيث خرج مجتمع بلاد المغارب من نموذج المجتمع الذي يستجيب لفكرة ويتحمس لها، إلى مجتمع تتحكم فيه العوامل الجغرافية وتخضعه تبعا لمميزات كل بيئة وكل مجال، بمعنى أنه تراجع من النموذج الفكري إلى النموذج الجغرافي.مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر، 2013، صص11-12.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص287.

[3] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1930م، تعريب محمد مزالي، بشير سلامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، تونس، 1978، ص211.

[4] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص148.

[5] محمد عادل لطيف، الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، زينب للنشر، تونس، 2019، ص338.

للخبرات الفلاحية[1]، ولا تستخدم الأرض إلا لرعي مواشيها، وبالتالي كثرة عمليات النهب إن دلت على أمر فإنما تدل على عجز الخزينة الزيانية عن استيفاء مصاريفها خصوصا رواتب الجيش[2].

1-أمراء الدولة الزيانية والنهب: دافع مشترك

كانت أول مواجهة تنفتح فيها غنائم معتبرة على الدولة العبد الوادية تلك التي جمعت يغمراسن بالسعيد الموحدي، حيث تمكن من نهب جميع ما وجد في معسكر السعيد من أمتعة ومواشي وأموال، ولأثرها الظاهر على خزينة الدولة ربطها يحي ابن خلدون بتوسع ملك يغمراسن بقوله " فضخم بعدها الملك وعلت يده وبعد الصيت وتوطدت الدولة"[3]، وكان من بين الغنائم أمتعة ثمينة منها عقد يسمى الثعبان يضم من حبات الياقوت الفاخر[4] إضافة إلى المئات من الأخبية، ويبدو أن فسطاط السعيد اشتمل على غنائم ثمينة منها العقد الآنف الذكر، وهو ما جعل يغمراسن يستأثر بها لنفسه[5]، وانفتحت شهيته لثقافة الجاهز فواصل حملاته، منها ما نهبه من تافرسيت عقب هزيمته بجلدامان سنة 657هـ/1259م[6].

واصل خليفته أبو سعيد عثمان سياسة النهب، خصوصا أن الدولة لازالت في مرحلة توطيد حكمها، على أنه ركز معظم غاراته على معارضيه من القبائل البربرية، فقد كثر نهبه عيثه في بلاد بني توجين[7] ففي سنة 690هـ/1291م شن عليهم غارة نهب فيها أموالهم[8].

كما لم يجد بنو عبد الواد عقب زوال الحصار المريني سوى النهب وسيلة لبعث الروح من جديد في خزينة الدولة، خصوصا مع الإنهاك الذي بلغوه، وخروج معظم المدن عن حكمهم، وبالتالي توقف تمويل الخزينة بالضريبة لمدة ثمان سنوات، فخرج أبو زيان إلى العرب " إلى أن ظفروا بالمراد فيهم استئصالا للأموال والأنفس"[9].

---

[1] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج6، سينا للنشر، بيروت، 2000، ص72.
[2] صلاح الدين بسيوني رسلان، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، كتب عربية، القاهرة، د.س، ص177.
[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص227.
[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص111.
[5] نفسه، ج7، ص110.
[6] نفسه، ج7، ص112.
[7] نفسه، ج7، ص216.
[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص230.
[9] نفسه، ج1، ص234.

كما أن الجيوش الأربعة التي أرسلها أبو حمو الأول إلى النواحي الشرقية قامت بالعديد من عمليات النهب، فكل جيش اتخذ منحى يسير فيه وارتكب في طريقه عدة غارات في شرق المغرب الأوسط، ورغم شح المصادر عن التفصيل في هذه العمليات إلا الوصف الذي أطلقه عليهم عبد الرحمن ابن خلدون بأنهم "فعلوا الأفاعيل"[1] تعبر عن هول عمليات النهب واشتداد وطأتها على ساكنة مختلف المناطق التي مر عليها الجيش، خصوصا أنه يحتاج إلى تموينات لمواصلة سيره، بل حتى في طريق عودتهم من بلاد العناب مجتمعين نهبوا الجبل المحاذي لقسنطينة، ويبدو أنها كانت غارة كثرت فيها الأموال والمسلوبات لدرجة نشوب خصومة بين قواد الجيوش الأربعة[2].

واصل أبو تاشفين الأول الذي استهل حكمه بحماسة بعد اغتياله لوالده، فكان بحاجة لإثبات نفسه عسكريا، وتحقيق التوازن المالي للخزينة بعد إلغائه الضرائب الإضافية عن ساكنة تلمسان، واتخاذه لمنحى يتسم بالترف بعد تشييده لعدة قصور، فخرج لبلاد الوانشريس " واستأصل نفوسهم وأموالهم"[3]، كما أرسل جيوشه إلى شرق المغرب الأوسط " وعادوا إليه بالظفر والغنيمة"[4]، وتمكن موسى بن علي الغزي من نهب كل من جاجرت سنة 722هـ/1322م[5] ومعسكر الحاجب ابن سيد الناس سنة 727هـ/1327م[6]، ليتكرر نفس المشهد مع السلطان الحفصي حيث " استولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة"[7].

تطلب إحياء الدولة من طرف أبي سعيد وأبي ثابت تقوية الخزينة الزيانية لتمويل الجيش ومختلف مصاريف البلاط، لأن النشاط الضريبي كان يوجه للخزينة المرينية التي كانت مسيطرة على المغرب الأوسط، وبالتالي فإن الخروج في حملات عسكرية اعتبرت ضرورة ملحة يفرضها الوضع المالي للدولة، فاقتضى ذلك منهما أن يستعيدا تحت حكمهما مختلف المدن والمناطق التي كانت تحت سيطرة الدولة العبد الوادية من قبل والتي سيطرت عليها السلطة المرينية بعد اغتيال أبي الحسن المريني لأبي تاشفين، واستغلال التفوق في المعارك لنهب معسكر الخصم، بل يمكن القول أن النهب بدأ منذ انسحابهم من جيش أبي الحسن المريني، ففي طريق

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص137.
[2] التنسي، المصدر السابق، ص137.
[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص239.
[4] نفسه، ج1، ص239.
[5] نفسه، ج1، ص240.
[6] نفسه، ج1، ص241.
[7] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص333. يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص242. التنسي، المصدر السابق، ص144.

عودتهم لتلمسان نزلوا على جبل الزان ببلاد زواوة " فاستأصلوهم سلبا للأموال"[1] فقد نهب أبو ثابت معسكر مغراوة بوادي رهيو سنة 750هـ/1349م[2] كما طال النهب محلة أبي الحسن المريني الذي " استبيح معسكره بما فيه من متاع"[3].

نفس النمط تواصل في عهد أبي حمو الثاني الذي باشر في نهب القرى والمداشر على طول طريقه من تونس إلى تلمسان لتمويل حملته وتموين القبائل العربية المساندة له، ففي جبل بني ثابت أغاروا " فاقتلعوا الفرسان وسلبوا الأنفس والأموال"[4] واستولى بعدها بأيام على محلة القائد المريني الوزجوني والتي ضمت عدة أسلحة وخيول وأموال[5]. ولم تكن غاراته موجهة للحاميات المرينية أو ساكنة البسائط فقط، بل كان يتوغل في الجبال أيضا، فقد دخل على جبل عياض " فاستباحوا الأموال واستأصلوا الحلل"[6] وكان مصير وادي ملال نفس ما حدث لهم، فقد استباح أموالهم ونهب إبلهم، بل واستولت بنو عامر على مراعيهم[7]، ولم تكن المنهوبات عبارة عن أموال ومواشي فقط، بل حتى المعدات العسكرية، فقد نهب طبول وأعلام المعسكر المريني سنة 759هـ/1359م[8]، وحتى الخيول، ويبدو أنه كان يعاني جيشه نقصا منها، مما جعله يجرد جنود الجيش المريني من خيولهم بعد استسلامهم ومنحها لأنصاره من العرب[9].

يبدو أن هذه العمليات ملأت خزينة أبي حمو لدرجة جعلته لم يصادر أموال ابن أحشمي وأحمد بن أجانا بعدما أسرهما رغم أنه كان معهما أموال كبيرة من جباية الضرائب[10]، كما سنحت له فرصة بعد دخوله تلمسان بالاستيلاء على الخزينة المرينية التي خلفتها بها، وكانت متكونة من الكثير من الأمتعة والسلع والزرع

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص253.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص158.
[3] نفسه، ج7، ص159.
[4] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص20.
[5] نفسه، ج2، ص20.
[6] نفسه، ج2، ص21.
[7] نفسه، ج2، ص21.مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص31.
[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص24.
[9] مؤلف مجهول، نفسه، ص46.
[10] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص49.

المخزن، كما احتجز هدية كانت سترسل إلى ملك برشلونة، متكونة من عدة خيول بسروجها[1]، إضافة إلى استيلائه على صندوق الأوقاف المملوء ذهبا وفضة[2].

في نفس السياق ترتب عن دخول المرينيين تلمسان سنة 760هـ/ 1360م استباحته لمعسكرهم بأنكاد بعدما خالفهم إلى أراضيهم بل وفرّ الجنود عراة إلى وجدة[3]، ولم يسلم حتى الجيش المريني الرابض بتلمسان، حيث دفعوا ضريبة سيطرتهم عليها أضعافا مضاعفة، فنهب الجيش الذي أرسلوه لأنكاد، وحتى الجيش الذي خرجوا به للعودة إلى المغرب، حيث هجم عليهم العرب "وامتلأت أيديهم من أسلابهم وظعنهم"[4].

بعد مرحلة تثبيت الحكم استهل أبو حمو الثاني تجهيز حملات عسكرية لا يخفى عامل النهب في توجيهها، سواء نهب عشوائي بعد هزيمة الخصم واستباحة غنائمه، أو رضوخ الخصم ودفع ضريبة الحرب، فقد خرج والده أبو يعقوب "واستولى على أموال سويد وتوجين"[5]، وشن عبد الله بن مسلم العديد من الغارات على عدة مداشر ونهبها[6]، وفي سنة 761هـ/1361م دخل أبو حمو على أجرسيف " واجتاح الناس ما كان بها من كراع وأمتعة"[7]، وواصل غاراته إلى تاوريرت " فتركها أيده الله خاوية على عروشها"[8] ولم يكتف بهذين فقط بل " تمادى على الحصون ينهب ويخرب"[9].

وفي سنة 761هـ/1361م استولى على محلة معارضه أبي تاشفين بن أبي سعيد[10]، وأرسل في نفس السنة جيشا تمكن من هزيمة ابن خلوف الياباني ونهب محلته[11]. واتجه في نفس السنة إلى بلاد مغراوة "ثم عاد إلى محلته سالما، ولأموالهم وحللهم غانما"[12].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص400.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص37. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص57.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص401،164.

[4] نفسه، ج7، ص401. مؤلف مجهول، نفسه، ص61.

[5] مؤلف مجهول، نفسه، ص78.

[6] نفسه، ص82.

[7] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص73.مؤلف مجهول، نفسه، ص104.

[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص74.مؤلف مجهول، نفسه،ص104.

[9] مؤلف مجهول، نفسه، ص105.

[10] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص109.

[11] نفسه، ص111.

[12] نفسه، ص112.

كما تعرضت وهران لعملية نهب كبيرة سنة 762هـ/1361م والتي سمح خلالها أبو حمو لجنوده بعد اقتحامها بنهبها من العصر إلى وقت صلاة الظهر من اليوم الموالي[1]، وفي السنة الموالية أمعن أبو تاشفين الثاني في مطاردة العرب وأمعن "في أموالهم النهب الشنيع"[2]. وكانت الغنيمة تعتبر قرينة على حسن بلاء قائد الجيش في المعركة، وهو ما يظهر في ابتهاج أبي حمو بخبر نهب العرب وحتى أبو تاشفين كان بنفس الشعور حيث دخل تلمسان "بالمحلتين غانما إلى حظرة أبيه، ظافرا من الأمل بما يشتهيه"[3]، ونفس الأمر كان بعد تمكنه من هزيمة خالد بن عامر سنة 777هـ/1376م في معركة كثرت فيها الغنائم وأصبح " له بها ذكر على الأيام"[4].

وأغار عبد الله بن مسلم على حمزة ونهب الكثير من الأمتعة والضروع من ساكنتها[5] وترتب عن هزيمة المعقل وبني عامر انتهاب أموالهم ومواشيهم، وتوزيعها على الجنود بعد تعدادها، ويبدو أنها كانت كبيرة لدرجة أن أبا حمو استغل هذه الوفرة في استقطاب بني عامر، حيث "استرد على بني عامر كل ما رزأهم أولياؤه" وهو ما أدى إلى رجوعهم لطاعته[6].

واكتسى النهب في بعض المعارك صبغة الانتقام خصوصا إذا تحصن الخصم في قلعة أو جبل، فيغير الجيش على أحواز مجاورة وتابعة له، وهو ما كان سنة 771هـ أين نزل أبو حمو ببقود " وأطلق أيدي النهب فيها، فلا تسأل عما استولت عليه من زرع ومتاع وضرع، فليس ذلك مما يحصى ولا يحصر"[7] وفي نفس السنة اقتحم بلاد متيجة "فانتهب الأموال"[8]، زيادة على دوافع النهب الآنفة نذكر سبب آخر تمثل في هزيمة الجيش في المعارك ويضطر على إثرها إلى ترك محلته عرضة للنهب من طرف الخصم، ويعوض ذلك من مدن وقرى في طريق إيابه لعاصمته، وهو ما وقع لأبي حمو حين انهزم واستبيح معسكره من طرف العرب، هزيمة جعلته ينجو بنفسه، وعوض ذلك في طريق الصحراء الذي سلكه حيث مر على قصور بني عامر ونهبها[9]، وفي سنة

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص140.
[2] نفسه، ص212.
[3] نفسه، ص213.
[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص183.
[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج2، ص127.
[6] نفسه، ج2، صص188-189.
[7] نفسه، ج2، ص217.
[8] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص224.
[9] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص437.

774هـ/1373م اقتحم جبل يلسيت على مغراوة " واستأصل جميعهم سلبا"[1] كما نجم عن هزيمة أبي تاشفين لسويد فرارهم عن نجعهم " بما فيه من الكراع والضرع والذخائر"[2]، كما لم ينجُ ساكنة قلعة تاسكدالت من مضايقات السلطة الزيانية، وكان معظمهم من قبيلة هوارة الأمر الذي حال دون استمرارهم بالإقامة فيه مما اضطرهم إلى الهجرة[3].

2-تضرر الجيش وأحواز تلمسان من النهب:

في المقابل تضررت تلمسان وأحوازها كثيرا جراء عمليات النهب التي تعرضت لها في عديد المرات، إضافة إلى محلة الجيش الزياني التي كثيرا ما كانت عرضة للنهب في عدة معارك انهزموا فيها، والحاصل أن عمليات النهب لم تكن تختص بمنطقة أو قبيلة معينة، بل كانت نمط إنتاج غير طبيعي يمتهن من مختلف القبائل البربرية والعربية، وهو السبب الذي نرجحه وراء كثرة المعارك والغارات، لأن ثقافة الجاهز سيطرت على ذهنية إنسان المرحلة، زيادة على الإغراءات التي تنطوي عليها الحرب من الناحية المادية، فالغنائم التي يحصلها الجيش في معركة واحدة لا يمكنه الحصول عليها من أنماط الإنتاج الطبيعية إلا بعد سنوات، بحكم المصاريف الكبيرة التي يتطلبها تجهيز الجيوش ودفع الرواتب ومصاريف البلاط، خصوصا في مرحلة جني ثمرات الملك، كل هذه الأسباب مجتمعة حتمت على فترة ما بعد الموحدين أن تكون أشبه بحالة حرب الكل ضد الكل على حسب تعبير توماس هوبز[4]:

أ-نهب عمالات الدولة الزيانية:

تضرر ساكنة تلمسان جراء اقتحام أبي زكريا لمدينتهم سنة 639هـ/1242م حيث أباح لجيشه نهبها يوما كاملا[5] ارتكبوا خلاله الأفاعيل في تلمسان، وكان سماع ساكنة تلمسان لنداء الاستباحة عامل خوف واضطراب، حيث سعى كل واحد منهم في إخفاء أمتعته حتى تسلم من النهب، فقد اجتمع أهل مرسى الطلبة

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص262.
[2] نفسه، ج2، ص307.
[3] عمر تابليت، هوارة ودورها في تاريخ المغرب، الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص26.
[4] توماس هوبز، الليفياثان، ترجمة ديانا حرب، بشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011، ص136.
[5] ابن أبي زرع، الذخيرة ا لسنية في تاريخ الدولة المرينية، ص61.

عند الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق وطلبوا منه أن يسمح لهم بوضع أمتعتهم بداره علها تسلم من النهب بحكم أنه ولي صالح، إلا أنه نصحهم بوضعها في مطبق قريب من الجامع[1].

بلغ حجم عيث الجيش في هذه الموقعة لدرجة تهديد الساكنة، فقد هددوا أحد التجار الأندلسيين الذين كانوا بتلمسان، فاضطر إلى تبليغهم بمكان المطبق الذي كانت فيه " أموال لا تحصى كثرة، للشيخ أبي عبد الله المدخس، وإخوته، وبني اللجام، القاضي والخطيب، وإخوانهما، وابن حسون، وابن جلاب، وغيرهم من أرباب الأموال الطائلة"[2] فكانت عملية نهب كبيرة تكبدها وجوه أهل تلمسان من التجار والعلماء، ولا شك أنه كان لهذا النهب أثر بالغ على أسرهم وحتى على نفسياتهم.

إضافة لهذا النهب للأموال، فإن الجنود لم يكتفوا بذلك، بل جردوهم من كل ما يملكونه حتى " إنه لم يسلم إلا سلك كان بيده، وبطنية كانت على وسطه"[3] وحتى المتاع البسيط من ألبسة ونحوها لم تسلم من النهب، فقد نهبت أمتعة سيدي أبي مدين شعيب التي كانت بحوزة ابن اللجام[4].

كما جرت هزيمة إيسلي على يغمراسن ملاحقته من طرف المرينيين للإجهاز عليه وهو في حالة ضعف، وإذا تمكن من التحصن بفضل مناعة أسوار تلمسان، إلا أن أحوازها دفعت الثمن، حيث أباح أبو يوسف المريني لجنوده " وأطلق الأيدي في ساحتها بالنهب والعيث"[5]، وكانت عمليات على كميات كبيرة من الغنائم، يظهر ذلك من خلال نصيب محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، الذي شارك في هذه العمليات، حيث منح له مئة حصان وألف ناقة حلوب "وعمهم بالخلع مع الصلات والخلع الفاخرة، واستكثر لهم من السلاح والفازات والفساطيط"[6].

تكرر المشهد نفسه سنة 680هـ/1281م أين تحالف مرة أخرى مع المرينيين وكانت وجهتهم نحو أحواز تلمسان الخالية من الحماة، حيث عاثوا فيها نهبا وسلبا للعديد من القرى[7]، ما يحيل إلى عنف المشهد

[1] محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص172.
[2] نفسه، ص173.
[3] نفسه، ص173.
[4] نفسه، ص172.
[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص245.
[6] نفسه، ج7، ص245.
[7] نفسه، ج7، ص209.

الذي عاشته ساكنة أحواز تلمسان التي كانت دوما تدفع السياسة العسكرية الفاشلة للسلطة الزيانية، وإذا أعذرنا يغمراسن بحكم أنه كان في مرحلة تثبيت أركان دولته، فإن هذا الإهمال لأحواز العاصمة تواصل في عهد خلفه أبي سعيد عثمان، الذي واصل سياسة إهمال حماية ساكنة هذه القرى، لأنهم الحاجز الأول قبل وصول الجيوش إلى تلمسان، ففي سنة 689هـ خرج يوسف بن يعقوب المريني لمواجهة تلمسان، لكنه أغار أولا على القرى المحيطة بها وأمعن في نهبها[1]، ظنا منه أن أبا سعيد عثمان سيخرج لمواجهته دفاعا عنها، غير أنه فضل التحصن وراء أسوار تلمسان تاركا هؤلاء لمصيرهم المحتوم.

وفي موقعة أخرى سنة 714هـ/1314م فضل أبو حمو الأول اللياذ بالأسوار " وترك رعيته وبلاده للدمار"[2]، فكان أبو سعيد المريني[3] يدرك جيدا أن القرى المحيطة بالعاصمة ستكون لقمة سائغة له، فنهب أموالها "واكتسح نواحيها واصطلم نعمها"[4]،كما عاث العرب خصوصا بني عامر في أحواز تلمسان نهبا، حيث ارتكبوا الأفاعيل[5]. وكانت القواعد العسكرية أيضا عرضة للنهب بما تضمه من مؤن وأسلحة، فقد نهبت قاعدة الزيانيين تامزيزدكت التي شيدها أبو تاشفين الأول ببجاية، حيث سير لها أبو الحسن المريني سنة 732هـ أسطولا أين " انتهبوا ما كان من الأقوات مختزنا بها"[6].

وشكل اقتحام جيش أبي الحسن المريني لتلمسان سنة 737هـ مشهدا عنيفا تعرضت فيه ساكنة تلمسان لشتى أصناف الهمجية والبشاعة، فما إن دخلوا تلمسان "حتى انطلقت أيدي النهب على البلد، فلحقت الكثير من أهله معرات في أموالهم"[7] حتى المصاحف لم تسلم من النهب، فقد نهب لأبي عبد الله الأكبر ابن مرزوق مصحف في غاية الحسن[8]، ولم يستثنى من هذا النهب حتى الأمراء، فقد كانت ثياب أبي تاشفين الأول وسائر الثياب الموجودة في القصر الزياني من نصيب أبي الحسن المريني[9]، وحتى القرى البعيدة عن تلمسان عانت الكثير من التجاوزات بسبب بعدها عن الجيش الزياني وقلة الأمن، وهو ما كان يضطرها في

[1] ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص379.
[2] نفسه، ص399.
[3] الحاكم التاسع للدولة المرينية، حكم بين 710-732هـ/1310-1331م.عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص319.
[4] نفسه، ج7، ص321.
[5] نفسه، ج7، ص182.
[6] نفسه، ج7، ص335.
[7] نفسه، ج7، ص341.
[8] محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص148.
[9] محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن، ص449.

الكثير من الأحيان إلى دفع ما يشبه ضريبة الأمان تفاديا لشر الظلمة كما سمتهم كتب النوازل، فقد سئل قاسم العقباني عن ساكنة قرية هجم عليهم جماعة من مقاتلي الأعراب ما يزيد عن ألفي فارس وخمسمائة راجل مما أدى إلى فرار الكثير من أهلها، فقام شيخ القرية بعدما علم أنهم سيعودون في الغد برجال أضعاف مما كانوا في اليوم الأول، وهو ما جعله يلجأ إلى مصالحتهم بدفع مائة دينار ذهبي ليأمن أهل القرية غائلتهم[1].

ب-نهب المحلة الزيانية:

تعتبر المحلة أولى غنائم المنتصر، وغالبا ما تكون الهدف الأول في الهجوم حتى في غمرة وطيس القتال، لما تضمه من أموال وأحصنة ومؤن الجيش، فالحصول على معسكر الخصم أسال لعاب الجيوش المرينية على الخصوص التي كان لها النصيب الأكبر من الانتصارات على الجيش الزياني، وكثيرا ما قرنت لنا المصادر بترك الزيانيين معسكراتهم عرضة للنهب مع كل هزيمة يتجرعونها، وفي ضوء هذا الاعتبار سنحاول إحصاء عدد المحلات الزيانية التي تم نهبها، مع تعليق عليها:

صاحب المحلة	السنة	المصدر والصفحة
يغمراسن	666هـ/1268م	ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ص66. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص305.
يغمراسن	670هـ/1272م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص244.ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص310،295.
أبو ثابت	749هـ/1348م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص156.يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص259.
أبو ثابت	753هـ/1352م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر ،ج7، ص381.
أبو ثابت	753هـ/1352م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص382.
أبو ثابت	753هـ/1352م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص382.
أبو حمو الثاني	763هـ/1362م	ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص186.
أبو حمو الثاني	767هـ/1366م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص173.
أبو حمو الثاني	768هـ/1367م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص582،174. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص187.

[1] أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب، ج2، تخريج جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، صص115-116.

أبو حمو الثاني	768هـ/1367م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص562.
أبو حمو الثاني	769هـ/1368م	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص196.
أبو حمو الثاني	772هـ/1371م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص177،437. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، صص230-231.
أبو حمو الثاني	774هـ/1373م	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص178.

تعليق:

أحصينا في ضوء ما توفر لنا من معلومات نهب ثلاثة عشر محلة زيانية، وهو رقم لاشك أنه تقريبي بحكم أن المعارك التي انهزم فيها الجيش الزياني كانت عديدة، ومن المعروف أن المنهزم غالبا ما يفر من ساحة المعركة تاركا متاعه غنيمة للمنتصر، ففي معركة تلاغ " انتهبت بنو مرين جميع ما كان في عسكرهم من الخيل والأموال والسلاح"[1] وشهد نفس المصير في معركة إيسلي التي فر منها تاركا متاعه غنيمة للمرينيين[2].

وكانت محلة أبي ثابت أيضا عرضة لنهب عبو بن سعيد بن أجانا[3]، كما ترتب عن هزيمة أنكاد سنة 753هـ/1352م استباحة المعسكر الزياني ونهب كل الأموال والدواب التي كانت فيه[4]، ولم يسلم منه إلا بعض الخيول والأمتعة التي انسحب أبو ثابت وأخذها، ليتعرض طريقة قبيلة زواوة " وأرجلوهم عن خيلهم وانتهبوا أسلابهم"[5].

وشهدت محلة أبي حمو الثاني النهب عدة مرات، منها ما حدث في بجاية حيث " نادت القبائل في جموعهم ونهبت المحلة"[6]، ورغم أنه في موقعة أخرى حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من محلته عقب انهزامه سنة 767هـ/1366م إلا أن جنود أبي زيان "أجهضوه عنها فتركها وانتهب ما خلفه أجمع"[7]، وتكرر المشهد بعدها بسنة، حيث امتلأت أيدي الجيش بأسلابهم ولم ينجُ إلا مخيم السلطان أبي حمو[8].

[1] ابن الأحمر المصدر السابق، ص66.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص244. ابن أبي زرع، روض القرطاس، صص 295،310.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص156. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص259.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص382.

[5] نفسه، ج7، ص382.

[6] ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص186.

[7] عبد الرحمن بن خلدون، نفسه، ج7، ص173.

[8] نفسه، ج7، ص،ص، 174،582. يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص187.

وحتى إذا تمكن هذا الأخير من الانسحاب بمحلته في بعض الهزائم، إلا أنه في الطريق لم يسلم من نهب ساكنة الجبال، وهو ما تعرض له بعد انسحابه من أمام أسوار بجاية، حيث " أخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من كل ناحية، وقد غشيهم الليل، فتركوا أزوادهم ورحالهم"[1]. وفي سنة 769هـ/1368م تعرضت محلته للنهب بعد غدر العرب له، إلا أنه تمكن من أخذ ما غلا ثمنه وتركوا بقية المحلة لنهب العرب[2]، وعانى من نفس المشكل، حيث قام العرب الذواودة بنهب"جميع معسكر السلطان أبي حمو بأمواله وأمتعته وظهره"[3]، وفي سنة 774هـ/1373م انهزم أمام المرينيين " وانتهب معسكره وأمواله"[4].

خلاصة القول أن النهب كان أحد أبرز الآثار الاقتصادية الناجمة عن حالة الحرب السائدة خلال الفترة مدار الدرس، فالسلطة الزيانية وجدت نفسها بحاجة إلى الغنائم لتسيير دواليب الدولة وتغطية نفقاتها، فكان النهب ملجأها لتحقيق ذلك، فقد رأينا أنه بعد زوال الحصار الطويل على تلمسان لم تجد لانعاش الخزينة سوى الخروج في عمليات عسكرية للحصول على الغنائم، كما كانت في الكثير من الفترات تغير على القبائل الأضعف منها سواء البربرية أم العربية، إضافة إلى تركيز بعض السلاطين حملاتهم على النواحي الشرقية لتحقيق نفس الهدف خصوصا عثمان وأبو حمو وأبو تاشفين، على أنها وقعت ضحية لنفس المنطق في العديد من المعارك التي انهزمت فيها وبالأخص أمام المرينيين والحفصيين فقد كانت المحلة الزيانية عرضة لنهب المنتصر في كل معركة تنهزم فيها.

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص562.
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص196.
[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7،ص177.
[4] نفسه، ج7، ص177.

ثالثا: الحرب والأرض

1-تضرر المجال الفلاحي:

في غمرة الصراع العسكري الدائر رحاه بين الدول الثلاث من جهة والقبائل من جهة أخرى، لاشك أنه خلف آثارا وخيمة على النشاط الفلاحي، بحكم أنه معاش يمارس في البوادي، ما يضع ممارسيه في وسط هذه الحرب، لأنهم يفتقرون للأمن، من هنا نفهم السياق التاريخي للمقولة الخلدونية التي أطلقت حكما يبدو غريبا إذا بتر عن بيئته وظرفيته التاريخية، إلا أن الغموض سرعان ما يزول إذا وضعناها في قالب حالة الحرب خلال الفترة مدار الدرس، فالفلاحة هي معاش طبيعي لها قيمتها الاقتصادية باعتبارها منتجة للغذاء، إلا أنه تمت مزاحمتها أو التشويش عليها من قبل نمط إنتاجي غير طبيعي مبني على ذهنية الجاهز، وهو نمط الإنتاج الحربي[1] القائم على الغارات وسلب ونهب متاع وممتلكات ممارسي المعاش الطبيعي بالتعبير الخلدوني، خصوصا الفلاحين، سواء نهب المحاصيل على اختلافها بالأخص القمح والشعير، أو سلبهم أراضيهم وتغيير نمطها، فكان لذلك أثر مباشر في توقف الفلاحين عن فلح أراضيهم وتركهم البسائط والسهول، إضافة إلى فرض الضرائب عليهم، فهذا الحكم لم يطلقه ابن خلدون إلا في ظرفية معينة تتمثل في سيطرة الملك العضوض الذي يتميز بقهر الرعية على دفع المغرم[2]. وحتى السلطة الزيانية لم تسجل لها مساعي للنهوض بالقطاع الفلاحي، فلا ننسى أن بني عبد الواد الزناتيين قبيلة رعوية لا خبرة لهم ولا اهتمام لهم باستصلاح الأراضي وزراعتها، فهم يرون فيها مراعي لمواشيهم فقط.

عموما نجد في المصادر عدة عبارات تصف حجم الضرر الذي لحق بالفلاحة والفلاحين، فمع كل غارة أو معركة إلا ويكون النهب قدرا مسلطا على الفلاحين، ولم يكن مرتبطا بقرى وأحواز تلمسان فقط، بل حتى المناطق البعيدة عن العاصمة، مثلما كان الحال مع بجاية[3]، فعثمان بن يغمراسن قطع مسافة من تلمسان

---

[1] سماه الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش باقتصاد المغازي، وهو نمط إنتاج اقتصادي يعتمد على الحروب لتدعيم خزينة الدولة، فالجيش في هذا النوع من النمط يحتل مكانة أساسية في استمرارية تدفق الموارد المالية، لأن ضعفه يجر الضعف المالي للدولة، مما ينتج عنه فرض سياسات ضريبية مجحفة في حق الساكنة تؤدي إلى قيام ثورات ضد السلطة. إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص17.

[2] علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان، ط2، لندن، 1994، ص97.

[3] مدينة ساحلية كبيرة، شيدت من طرف الحماديين حيث اتخذوها عاصمة بدل قلعة بني حماد التي خربها عرب بني هلال عقب هزيمتهم للحماديين والزيريين في معركة سبيبة قرب القيروان، بها داران لصناعة السفن، وبها مرسى كبير يقصده التجار من مختلف المناطق، كما أنها كثيرة الفواكه والثمار. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، صص128-130.

إليها " فقطع جناتها وأحرق قراها وقفل"[1] وهو لا شك منظر مروع يقض مضجع الفلاحين المهددين في أي وقت بضياع مجهوداتهم ومحاصيلهم، على أنه يمكن تفسير هذا الفعل بحاجة المحلة الزيانية للتموينات وهو ما وجدوه سبب في الإقدام على النهب.

وكان سهل متيجة يتمتع بمقدرات زراعية هامة أهلته لتبوأ مكانة في الخارطة الاقتصادية للمغرب الأوسط فقد حدد الوزان طوله بخمسة وأربعين ميلا، وعرضه ستة وثلاثين ميلا، واشتهر بإنتاج القمح[2]، وبالتالي فقد كانت هذه المكانة على ما يبدو عاملا قض مضاجع الفلاحين الذين لم يسلموا من الغارات، فقد نهب كل محاصيلها خاصة الزرع وتركها خاوية على عروشها[3].

كما طال النهب سهول بلاد بني توجين فكانت زروعها كثيرا ما تجد طريقها لمطامر تلمسان رغم قوة عصبية هذا القبيل[4]، وتعرضت حمزة لنفس المصير، ويمكن القول أن لها مقدرات زراعية هامة خصوصا تمتعها بشبكة هيدروليكية تمنحها دفعا قويا لتفعيل النشاط الفلاحي، وبالتالي فقد كانت مستهدفة[5]، فقد سار إليها الوزير عبد الله بن مسلم[6] في موسم حصاد الزرع ليجد المحاصيل جاهزة " واجتاح الناس ما ألفوه بحمزة من الزرع قائمة والحصيد، وانتهبوا ما أدركوه من الأمتعة والضروع"[7]، ولنا أن نتصور فضاعة المشهد في نفسية الفلاح، فإذا كان موسم الحصاد يعتبر وقت يبتهج فيه الفلاح بجني ثمرات غرسه، إلا أن الحرب معطياتها غير معطيات السلم، فمن الراجح أن القلق والتوجس لم يغادر ذهنية الفلاحين لأنهم مهددين بانتزاع جهدهم في أي لحظة حالما تلوح في الأفق غبار الأحصنة تنذر بغارة عنيفة.

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص230.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص37.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص123.

[4] نفسه، ج7، ص124.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص731.

[6] ينتمي لبني زردال، وهي من بطون بني يادين إخوة بني عبد الواد، وقد اختلطوا بهم نظرا لقلة أعدادهم وصاروا منهم، نشأ في كفالة موسى بن علي الكردي، واشتهر بكفاءته القتالية خصوصا في حصار تلمسان على يد أبي الحسن المريني، وبعد سيطرته عليها اتخذ سياسة الجمع بين القبيلين ليكون رئيس زناتة بدل رئيس بني مرين فقط، وعلى هذا الأساس انتقى خيار رجال بني عبد الواد وكان عبد الله بن مسلم شائع الذكر، فأرسله إلى درعة لقتال العرب، وبعد وصول أبي عنان المريني للحكم عينه حاكما عليها، ولما أحيا أبو حمو الثاني الدولة الزيانية لجأ إلى قبائل المعقل الذين أوصلوه لأبي حمو ومعه الكثير من المال والأتباع وقلده الوزارة. عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، صص165-166.

[7] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص127.

كما توجه سنة 769هـ/1367م إلى مجالات الديالمة " فانتسفها والتهمها وحطم زروعها"[1] ما يخول لنا طرح إشكال بخصوص تلازم النمط الرعوي بالقبائل العربية ويبدو أن إشارات كهذه التي تفيد مزاولة بعض القبائل العربية للنشاط الزراعي من شأنها أن تهز قواعد هذه المسلمة.

وتعرضت سهول بقود إلى عملية نهب واسعة غنم فيها أبو حمو الثاني الكثير من المحاصيل " فلا تسأل عما استولت عليه من زرع ومتاع وضرع، فليس ذلك مما يحصى ولا يحصر"[2]، ولم يكن هذا الضرر يمس النواحي الشرقية للمغرب الأوسط، بل حتى الأراضي المرينية الواقعة على التماس، بل كثيرا ما كانت أولى المتجرعين للآثار السلبية للحروب مع خروج كل محلة بحكم أن مناطق الحدود كانت خط سير الجيوش التي كانت تتعرض لساكنتها وترتكب في حقهم تجاوزات.

وحتى من الناحية الأمنية فإن الدول لا تمنح أهمية لتخصيص حاميات بهذه المناطق، فقد استباح أبو تاشفين الأول[3] قرية كارث " واكتسح زروعه وقفل"[4] ودخل أبو حمو الثاني على أجرسيف " واجتاح الناس ما كان بها من كراع وأمتعة وزروع"[5] وكرر عليها الحملة سنة 766هـ/1365م ونهب كل زروعها[6] ولم تسلم سهول قرية دبدو[7] من عيثه حيث " جاس خلال دياره واستباح ضرعه وزرعه"[8].

وفي المقابل لم تسلم أحواز تلمسان والقرى المحيطة بها من عيث الجيش المريني، فقد عاث نهبا في سهولها سنة 670هـ/1272م[9]، وكانت عملية تخريبية قاسية على تلمسان، فقد وصف ابن أبي زرع فضاعة المشهد بقوله " فقطعوا الثمار والجنات وخربوا الرباع وأفسدوا الزروع ورقوا القرى والضياع، حتى لم يدعوا بتلك النواحي

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص175.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص217.

[3] الحاكم الخامس للدولة العبد الوادية أو الزيانية، ولد سنة 692هـ/1293م، وصل للحكم بعد قتله لوالده أبي حمو موسى الأول، حكم بين 718-737هـ/1318-1337م. نفسه،ج1، ص238 وما بعدها.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص146.

[5] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص73.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص171.

[7] يبدو أنها تحولت بعد ذلك إلى مدينة، وهي مشيدة على جبل شاهق أقطعها عبد الحق المريني لبني ورتاجن وهي إحدى بطون بني مرين، وقد دخلوا في حروب عنيفة من القبائل العربية انتهت بانتصارهم وحفاظهم على مدينتهم، يمارس ساكنتها الزراعة الجبلية بفضل كثرة العيون والجداول بالجبل، يفصلها عن سهلها خمسة أميال لكنه سهل لا يكفي لحاجة ساكنتها الغذائية، ما يضطرهم في الكثير من الأحيان بشراء حبوبهم من مدينة تازا. الحسن الوزان، نفسه، ج1، ص351.

[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص234.

[9] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص245.

قوت يوم حاشا السدرة والدوم"[1]وهي قرينة تدل على الأثر المباشر الذي يخلفه ارتجاج المنظومة الفلاحية،حيث تعود آثارها على ساكنة الحاضرة بانعدام القوت، ويصور لنا موقف يغمراسن جراء هذه العملية "وبقي يغمراسن محصورا أرق وحنق"[2].

وكرر عليها يوسف بن يعقوب الأمر نفسه، ونهب زروعها[3]، على أن المساحة الغابية عانت من نفس الضرر الذي أصاب السهول، فقد كان قطع الأشجار وتخريب المساحات الخضراء من أبرز مظاهر التي طبعت المشهد المحزن للقطاع الفلاحي، فقد انتقم السلطان المريني من قرية تامة عقب فشل حصارها "وقطع أشجارها وأباد خضراءها"[4] ويزول الارتياب إذا وضعنا في اعتبارنا أهمية الشجرة في مجتمع العصر الوسيط، بما ترمز إليه من وسيلة للتدفئة، خصوصا في البوادي والمناطق المعروفة بمناخها البارد. كما ترتب عن محاصرته وهران تخريبه للقرى والسهول المحيطة بها[5]، وفي خروجه الثاني لتلمسان سنة 689هـ/1290م "بقي يرتحل في أحوازها ويأكل زروعها"[6].

وفي سنة 714هـ/1314م شهدت سهول تلمسان عملية نهب واسعة من طرف الجيش المريني، خصوصا أن الجيش الزياني تركهم لمصيرهم المحتوم[7]، ولم تسلم البوادي من غارات العرب خصوصا في القرن التاسع، حيث وردت الكثير من النوازل التي تتحدث عن عيث قبائل العرب ونشرهم الخوف والهلع في أوساط الفلاحين وساكنة البوادي، فقد سئل أبو الفضل العقباني عن قرية هاجمها الأعراب فتصدى لهم أهل القرية وقاتلوهم يوما واحدا، إلا أنه شاع الخبر بأن هؤلاء الأعراب سيكررون الهجوم بأضعاف ما جاؤوا به في اليوم الأول، وهو ما حذا بشيخ القرية أن يفتدي أهل قريته بمئة دينار وجنبهم القتل والنهب[8].

على أن هذا التهديد لم ينحصر في الحالة الجماعية، بل حتى في حقولهم لم يسلم الفلاحون من هذا التهديد، فقد سئل الفقيه الآنف الذكر عن فلاح أخذ ثوره من أحد الظلمة[9]، ولم يقتصر الأمر عند النهب

[1] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص311.
[2] نفسه، ص132.
[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص284.
[4] نفسه، ج7، ص284.
[5] نفسه، ج7، ص292.
[6] ابن أبي زرع، نفسه، ص379.
[7] عبد الرحمن بن خلدون، نفسه، ج7، ص136.ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص399.
[8] أبو زكريا يحي المغيلي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج2، شبكة الألوكة، و 26.
[9] نفسه، ج2، و 40.

فقط، بل طال حتى الأراضي التي غصبت من الفلاحين، حيث سئل سيدي محمد بن مرزوق "عمن عرف بالغصب والعداء إذا وجد بيده عقارا أو غيره، مدعيا شراءه وادعى وعرف له قبل ذلك أنه مغصوب منه هل يقبل قوله مع يمينه ولا سيما وهو تحت ولايته وقهره"[1]، وسئل أبو الفضل العقباني عن رجل اشترى أرض فيها الكثير من المغروسات من العنب وأشجار الزيتون، واستغلها مدة عشرين سنة وتوفي وورثها ولده عنه واستغلها أيضا مدة عشرين سنة حتى جاءه شخص يدعي ملكية هذه الأرض بحكم أنها غصبت منه[2].

كما سئل إبراهيم العقباني "عن رجل تعدى على أرض مجشرها على وجه البغي والظلم فأنكر عليه ذلك ونهي عنه، فصمم على حرثها"[3]، وفي نازلة أخرى سئل أبو الفضل العقباني عن غاصب تعدى على مكتري للأرض وحرثها لنفسه[4]، وهي صعوبات ومشاكل عرقلت ممارسة النشاط الفلاحي وزادت من نسبة الهجرة والفرار عن الأراضي والتحصن بالجبال، فقد افصحت نوازل عدة عن الكثير من الفلاحين من " قد فر بنفسه وبعياله وبما خف من متاعه"[5] وعن أراضي صاحبها غائب[6]، وهو ما يفسر لنا كثرة ساكنة الجبال في أواخر عهود الدولة:

اسم الجبل	موقعه	المصدر والصفحة
جبل بني يزناسن	بين قفر كرط وأنكاد	الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص43.
جبل مطغرة	يبعد ستة أميال عن ندرومة[7]	الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص43.
جبل ولهاصة	قرب هنين[8]	الحسن الوزان، وصف إفريقيا،ج2،

[1] أبو زكريا يحي المغيلي المازوني، المصدر السابق، ج2، و 34.

[2] نفسه، ج2، و 34.

[3] نفسه، ج2، و 65.

[4] نفسه، ج2، و76.

[5] نفسه، ج2، و26.

[6] نفسه، ج2، و 75.

[7] مدينة أزلية أسسها الرومان على نفس النمط المعماري لروما، شيدت على سهل فسيح، تحيط بها عدة بساتين وأراضي مغروسة بأشجار الخروب، كما يكثر بها العسل الذي اتخذه ساكنتها غذاء أساسيا في موائدهم، ويمارس ساكنتها مهنة النسيج بفضل تواجد القطن بكميات معتبرة. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص14.

[8] مدينة قديمة، متوسطة المساحة، تفصلها أربعة عشر ميلا عن تلمسان، تضم ميناء يحرسه برجين،يقصده التجار من مختلف الأقطار، وبها العديد من الأسواق والمساجد، كما تحيط بها أسوار عالية لحمايتها، أراضيها تنتج كميات معتبرة من الفواكه كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ

		ص44.
جبل أغبال	قرب وهران	الحسن الوزان، وصف إفريقيا،ج2، ص44.
جبل بني ورنيد	يبعد ثلاثة أميال عن تلمسان	الحسن الوزان، وصف إفريقيا،ج2، ص44.
جبل مغراوة	قرب مستغانم	الحسن الوزان، وصف إفريقيا،ج2، ص44.
جبل بني بوسعيد	قرب تنس	الحسن الوزان، وصف إفريقيا،ج2، ص45.
جبل ونشريس	بلاد بني توجين	الحسن الوزان، وصف إفريقيا،ج2، ص45.

والتين. خالد بن عيسى البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، تحقيق الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، د.س،ص148. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، صص15-16.

2-الإقطاع وتغيير نشاط الأراضي:

الإقطاع في العهد الزياني لم يكن وليد الفترة بل إرث موحدي بحكم أن هذه الأخيرة منحت الكثير من الإقطاعات للعديد من القبائل[1]، وهو من الجوانب الهامة في القطاع الفلاحي، ولاشك أن رصد حيثيات هذا الجانب يسهم في إزالة العتمة عن أنماط العلاقة بين السلطة الزيانية والقبائل العربية خصوصا، ونكون قد جانبنا الصواب إذا حصرنا هذه العلاقة في المجال الحربي فقط، إذ أنها تنطوي على محددات بنيوية تشكل العديد من المظاهر والتمفصلات التي تفسر الكثير من الأحداث من زاوية الإقطاع، علما أن الدارس لهذا الموضوع لن يجد الأمر مفروشا بالورود، ويعود السبب إلى مشكلة ندرة النصوص، وما تضمنته لا يعدو أن يتعدى الشذرات القليلة المتناثرة في سياق عام بعبارات تحمل طابعا تعميميا. جدير بالذكر أن نظام الإقطاع كان نظاما شائعا معمولا به حتى فيه أوروبا، مع بعض الاختلافات بينه وبين الإقطاع الإسلامي، فإذا كان هذا الأخير يقدم نظير خدمة ما ويقسم بين ورثته بعد وفاته[2]، فإنه في أوروبا كان نظاما قائما بذاته يمتلك صاحبه حرية التصرف فيه كيفما شاء[3].

يجد المطلع على هذه الشذرات أن المغرب الأوسط في العهد الزياني شهد حضور الإقطاع وإن كانت ملامحه صعبة التحديد، ويمكن القول أن حالة الحرب الشبه الدائمة في الفترة مدار الدرس كانت عاملا أساسيا في الحضور القوي له، فضلا عن أنها شهدت بروز قبائل كانت لها اليد الطولى في خلخلة النشاط الزراعي، بحكم أنها قبائل غير متعودة على فلح الأرض، بل تحويلها إلى مراعي لمواشيها[4].

دون إهمال العامل الطبيعي الذي ساهم في حضوره وتكريسه، فبلاد المغرب الأوسط تتكون من العديد من الجبال في مختلف المناطق، ما تحيل على غياب طابع الحكم المركزي بها، وهو ما كان مشجعا على التجزء متمثلا في انتشار الإقطاعيات، وجدير بالذكر أن القبائل العربية كانت المعني الأول بها، نظرا لحاجة السلطة الزيانية لهم " فاستعملتهم الدول وولوهم الإمارة على أحياءهم وأقطعوهم في الضاحية والأمصار والتلول"[5].

---

[1] عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة، 1983، ص143.

[2] بشار قويدر، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب والمشرق، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص75.

[3] إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص269.

[4] حميد تيتاو، المشهد الزراعي بالمغرب الأقصى أواخر العصر الوسيط، ضمن كتاب الفلاحة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2019، ص100.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص6.

حيث استأثرت كل قبيلة بمنطقة معينة، وكانت الطفرة الديمغرافية التي تعيشها القبائل العربية المؤهل الأهم الذي سمح لهم باستلام عدة إقطاعات من الدولة الزيانية التي كانت تحتاجهم في حروبها[1]، فقد أقطع يغمراسن لقبيلة بني عامر الكثير من الأراضي بصحراء تلمسان حتى يكونوا حاجزا بينه وبين عيث قبائل المعقل[2]، وكان بنو عامر قد"استقلوا هنالك يتقلبون في قفارها في المشاتي ويظهرون إلى التلول في المرابع والمصايف"[3].

ولم تكن الإقطاعات تسير في توجه واحد، ففي مراحل قوة الدولة لم تكن تتورع عن انتزاع الإقطاع من أي قبيلة عربية تعارضها، مثلما كان الحال مع بني مالك وهم بطن من زغبة، حيث نشبت بينهم وبين يغمراسن فتنة نتج عنها طردهم "عن التلول والأرياف من بلاد عبد الواد إلى القفر المحاذي لأوطان بني توجين على المهادنة والمصاهرة فصاروا لهم حلفاء على بني عبد الواد"[4]، كما أقطعت السلطة الزيانية نواحي المدية[5] لقبيلة حصين[6].

وعرف عهد أبي حمو الثاني توسع الإقطاع للقبائل العربية، بل يمكن القول أن مساندة القبائل العربية له في إحياء الدولة كانت خير فرصة وجدوها لاقتحام المراعي الخصبة للتلول، فحسب أحد الباحثين أن أبا حمو قد وعدهم بتحقيق مطلبهم[7]، فقبيلة زغبة مثلا كانت أكثر قبيلة حيازة للإقطاعات من السلطة الزيانية، لا لشيء سوى "في سبيل الاستظهار بهم"[8] وكان لهذه القبيلة سيطرة على الكثير من الأراضي في أواخر القرن الثامن وفترات كثيرة من القرن التاسع بحكم أن السلطة الزيانية عجزت عن مواجهتهم والتصدي لهم، فلجأت إلى سياسة البذل بالإقطاعات لتضمن ولاءهم كما يقول عبد الرحمن ابن خلدون "فتملكت زغبة سائر البلاد بالإقطاع من السلطان طوعا وكرها رعيا لخدمته وترغيبا فيها وتمكينا لقوته حتى أفرجت لهم زناتة عن كثيرها ولجؤوا إلى سيف البحر"[9] وهو ما يحيل إلى تكبد السلطة لنكسة في أراضي الخراج، بل وسيؤدي هذا الضعف

[1] محمد ياسر الهلالي، الاشتغال بالفلاحة في مغرب أواخر العصر الوسيط "علاقة التمثلات بالواقع التاريخي"، ضمن كتاب الفلاحة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2019، ص134.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص56.

[3] نفسه، ج6، ص68.

[4] نفسه، ج6، ص62.

[5] مدينة تشرف على سهل فسيح، وتحيط بها عدة بساتين وأنهار، يتميز ساكنتها بمستواهم المعيشي الجيد بحكم ممارستهم للتجارة مع قسنطينة، تفصلها عن تلمسان ما يزيد عن 200 ميل. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص41.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص58.

[7] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو الزياني حياته وآثاره، صص90-91.

[8] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج6، ص55.

[9] نفسه، ج6، ص58.

إلى غياب شبه تام للسلطة في أواخر عهده وفي القرن التاسع أيضا الذي شهد طغيان هذه القبائل على الساكنة، وقد لخص لنا ابن خلدون الوضع بقوله " والحال بالمغرب الأوسط لهذا العهد على ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكزها بسيف البحر وتضاؤل قدرتها على قدرتهم وإعطاء اليد في مغالبتهم ببذل رغائب الأموال وإقطاع البلاد والنزول عن الكثير عن الأمصار"[1].

وبالإطلاع على ما توفر لدينا من نصوص يمكن القول أن السلطة الزيانية أصبحت تمارس سلطتها في العاصمة وما يحيط بها من قرى فقط:

القبيلة	الإقطاع	المصدر والصفحة
بنو يزيد	بلاد حمزة	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص64.
بنو حسين	ضواحي المدية	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص64.
العطاف	ضواحي مليانة	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص64.
الديالم	بلاد وزينة	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص64.
سويد	بلاد توجين	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص64.
بنو عامر	تسالة وميلانة وصيرور وجبل كيدزة	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص64.
سويد	مازونة	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص65.
عبيد الله المعاقلة	وجدة-ندرومة-بني يزناسن-مديونة-بني	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6،

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص186.

	سنوس	ص81.

جدير بالذكر أن الإقطاع لم يمس القبائل فقط، بل كان يمنح للأشخاص، سواء كانوا موظفين في البلاط الزياني، أو جنود، أو شيوخ القبائل العربية، فقد أقطع يغمراسن الكثير من الأراضي ببلاد البطحاء وسيرات ليوسف بن مهدي[1] كما أقطع أيضا مجموعة من الأراضي في بلاد البطحاء لعنتر بن طراد[2]، واستفاد أبو عامر إبراهيم بالعديد من الأراضي التي منحها له أبو زيان الأول وأبو حمو الأول[3]، ما حققت له الثراء حسب ابن خلدون[4]، وأقطع عثمان بن يغمراسن عدة أراضي من بلاد حمزة لداود بن هلال[5]، على أن هذه الإقطاعات لوجوه السلطة لم تكن تستصلح من قبلهم مباشرة، بحكم أنهم كانوا يفضلون الحياة الحضرية[6]، وهو ما فتح الباب للعديد من صيغ استغلالها من قبل آخرين إما شركة أو كراء.

ويبدو أن الإقطاع الفردي الممنوح للأفراد حمل مفهوم استثماري إما لأخذ الخراج أو استصلاح الأراضي مع شروط معينة تسعى للحفاظ على ملكية الأرض في يد السلطان[7]، وتحفل نوازل المازوني بالعديد من النوازل التي توضح انتشار الإقطاع الفردي، فقد سئل سيدي عبد الرحمن الواغليسي "عن رجل جندي يخدم السلطان فيعطي له الأرض يأخذ كراءها عمن يحرثها، والأرض أرض عنوة فيكريها الرجل المذكور بدينار معلومة يأخذها في وقت معتاد إما زمان الربيع أو زمان الصيف"[8]. تفصح هذه النازلة عن أن السلطة الزيانية كانت تمارس سياسة اغتصاب الأراضي وتوزيعها في شكل إقطاعات للجنود، غير أن هؤلاء لم يكونوا يستصلحون الأراضي، بل يقومون بتأجيرها للفلاحين مقابل دينار لكل سنة.

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص61.

[2] نفسه، ج6، ص61.

[3] الحاكم الرابع للدولة العبد الوادية أو الزيانية، امتدت فتره حكمه بين 707-718هـ/1307-1318م، تميز بشخصية صارمة وميالة لعدم الثقة والشراسة. يحيى ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص235 وما بعدها.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص140.

[5] نفسه، ج6، ص69.

[6] إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، 2002، ص77.

[7] عبد المجيد مزيان، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي-دراسة فلسفية اجتماعية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر،2001، ص153.

[8] أبو زكريا يحي المغيلي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج2، و 46.

وكان الإقطاع يعطل النشاط الفلاحي حسبما يظهر في النازلة التي سئل فيها سيدي الشريف عن فلاحين استصلحوا قطعة أرض منحها السلطان لجندي في شكل إقطاع انتفاع[1]، وهو ما وضع هؤلاء الفلاحين في مشكلة استرجاع الجندي لإقطاعه بعدما بذلوا فيها جهودا لاستصلاحها، بل وكانوا يدفعون خراج مقابل عملية الاستصلاح تسمى نصف الأثمن للسلطان[2].

ورغم أن السلطة لم تكن تعارض استصلاح الأراضي الشاغرة، إلا أن الفلاحين كانوا يعيشون هاجس انتزاعها منهم في أي وقت، فقد أفصحت نازلة عن جواز انتفاع الفقراء من غرس الأرض إذا انتزع السلطان الأرض من مستصلحيها[3].

وأثار الإقطاع العديد من التساؤلات التي طرحت على الفقهاء، منها النازلة التي استفسر فيها عن جواز الإقطاع، خصوصا أن السلطة تبحث من ورائه جباية الضرائب التي تسبب الكثير من التجاوزات في حق الساكنة[4]، وكانت تنشأ مشاكل أخرى نتيجة تجاور الأراضي وتجاوز كل فلاح لحد أرضه، فقد أقطع السلطان أرضا لشيخ من شيوخ العرب تمليكا مطلقا فعدت مواشيه على أرض فلاح كان غارسا فيها الشمرة[5]. وتوضح لنا النازلة إحدى الوسائل التي كانت تحل المشاكل المتعلقة بهذا النمط من النزاعات، فقد كانت السلطة الزيانية تخصص سجل سمي بدفتر المياومة والذي يبدو أنه سجل خاص بالأراضي والإقطاعات حسبما يظهر من

---

[1] وسئل سيدي الشريف عن أرض المخزن يقطعها السلطان لبعض أجناده انتفاعا، فيأتي قوم يغرسون فيها وما يقطعون على الجنات يسمى نصف الأثمن والعادة جارية أن السلطان يحب أن يعمر الأرض بالغراسة ولا ينكر ذلك على من يجعله فيبقى الغارس ينتفع بجنانه ويبيعها إن أراد ويهبها ويتصرف فيها تصرف الملاك فهل للمقطوع له الأرض أن ينتزع الجنة". نفسه، و76. وفي نازلة أخرى مشابهة لها في الموضوع جاء فيها " وسئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقباني عن أقوام جرت عادتهم في وطنهم أنهم يعمدون إلى شجر أو غيرها فيكسرونها ويمدونها ويغرسونها من غير إذن ملك الوقت والموضع ليس بموات ولم يسمع قط في وطنهم أن السلطان أنكر على أحد ممن يجعل ذلك أو نائبه من قائد ذلك الوطن أو عامله، بل يعلم بالعادة أنهم يحبون عمارة الأرض بالغراسة وغيرها وغاية الأمر أنهم إذا رأو الغرس أثمر وضعوا عليه وظيفا يسمى نصف الأثمن وينتفع الغارس بغرسه ويبيعه ويهبه ويرث عنه هذا استمر حال هذه الوطن مع أهله ومع ملوكهم خلفا عن سلف ثم إن من أنعم عليه السلطان ببعض هذه الأوطان يقول لأرباب هذه الجنات لا شيء لكم فيها". أبو زكريا يحي المغيلي المازوني، المصدر السابق، ج2، و 74.

[2] يبدو أنها ضريبة كانت تفرض على الفلاحين الذين يستصلحون أراضي شاغرة دون الحصول على ظهير من السلطان يتيح لهم استغلالها، وهذه الضريبة تفرض عليهم من طرف قائد الوطن الذي تقع فيه الأرض، سمته الأستاذة دحماني نصف إلا ثمنا، غير أننا وجدناه في المخطوطة التي اطلعنا عليها تحت اسم نصف الأثمن. سهام دحماني، المصطلحات الاقتصادية في كتب النوازل-نوازل المازوني نموذجا-، ضمن كتاب المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، تنسيق بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص125.

[3] المازوني، نفسه، ج2، و 75.

[4] فأجاب: أما الأرض التي لا مالك لها وأعطاها السلطان جنديا، فإن أعطاها له على القيام بأهل الكفر وحفظ بيضة المسلمين وقتال أهل الفساد والبغي جاز له أخذ ذلك على طاعة معطيه في كل ما أمره به وفي ذلك قتال من لا يجوز قتاله أو على إعانته على جابية الظلم فليس هذا الحلال، وأما من أعطوه شيئا من ذلك يحرثه على وجه المسكنة فليس ذلك بحرام، غير أنه نكروه عند العلماء وأهل الورع لغير ما وجه... نفسه، و 79.

[5] نفسه، ج2، و 76.

النازلة "فلما وقفوا عليه وجدوا فيه الشمرة المذكورة من الأرض التي ملكها الأول وأنها ليست من أرض الثاني الذي أحياها"[1].

خلاصة القول أن الحرب فرضت وضعا خاصا للأرض خلال الفترة مدار الدرس، فبسبب انعدام الأمن تحولت الفلاحة إلى معاش للمستضعفين بسبب كثرة الغارات من جهة والمغارم من جهة ثانية، وهو ما نتج عنه تراجع النشاط الزراعي، فمع اقتراب كل موسم حصاد كان الفلاحون يعانون من غارات القبائل المتنقلة وحتى من السلطة الزيانية، وهو ما كان له سبب مباشر في القضاء على كل محفزات زراعة الأرض، وأدى إلى إخلاء البسائط وتحول ديمغرافي إلى السكن في الجبال، فضلا عن سياسة الإقطاع التي اتبعتها السلطة الزيانية لاستقطاب القبائل العربية في جيشها، وإذا كان بإمكانها انتزاع الإقطاع في مرحلة القوة، فإنه في مراحل ضعفها كانت عاجزة عن ذلك ولم تتجرأ على استرجاع أراضيها المقطعة لشيوخ القبائل العربية، وكان لهذه السياسة أثرها السلبي على الأراضي حيث غيرت هذه القبائل نمطها من الزراعي إلى الرعوي، كما شهدنا من خلال النوازل أن الإقطاع كان يمنح للأفراد إلا أنه عانى من نقائص بسبب تخوف الفلاحين من انتزاعها منهم في أي لحظة.

[1] أبو زكريا يحي المغيلي المازوني، المصدر السابق، ج2، و 76.

الفصل الرابع: الانعكاسات الاجتماعية والذهنية

أولا: الترسبات الذهنية للحرب

1-الحرب والخوف

2-الضغوطات النفسية للحصار

3-الحرب والتصوف

4-الحرب والإدخار

5-ذهنية التخريب

أ-تخريب العمران العسكري

ب-تخريب العمران المدني

ثانيا: الحرب والقتل

1-القتل الفردي

أ-أمراء بني عبد الواد

ب-موظفو السلطة ووجوه البيت العبد الوادي

ج-أبناء الأمراء

د-وجوه حركات المعارضة

هـ-قتلى الجهة الغربية

و-وجوه القبائل الداخلية

2-القتل الجماعي

ثالثا: الحرب والنخب العلمية

1-دور العلماء في السفارات

2-العالم وتجاذبات الحرب

3-التنظير للحرب في مصنفات النخب

أولا: الترسبات الذهنية للحرب

الحديث عن الحرب المستعرة بالمغرب الأوسط في الفترة الزيانية هو حديث عن منظومة متكاملة كيفت نفسها مع المعطيات المفروضة على الساحة السياسية والعسكرية والتي سرعان ما انتقل هشيمها ليشعل الجبهة الاجتماعية التي وجدت نفسها وجها لوجه أمام متغيرات عديدة فرضتها عليها الأحداث فرضا، وحتى لا نغرق في التعميم فإن الإنسان الذي عاش خلال العهد الزياني لا شك أنه تميز بسلوكيات معينة لا تفسر إلا بوضعها في إطارها الأصلي، أي ترصد هذه السلوكيات والترسبات الذهنية في إطار الحرب التي اكتوى بنارها هذا الإنسان بحكم أنها تفسر وتبرر الكثير من هذه السلوكيات، على أن هذا التفسير لا يكون إلا من خلال الانطلاق من أرضية تعتبر أن الخوف بصفة عامة كان الشعور الأساسي الثاوي خلف مختلف السلوكيات التي تشكلت في ذهنية ونفسية الإنسان، وذلك للارتباط الوثيق بين الحرب والخوف الذي لا يعد منقصة بقدر ما يعتبر إفراز طبيعي نظرا للتهديدات التي تطال المجتمع في الحروب، والحديث عن الخوف لا نختصره في الخوف من القتل فقط، وإن كان الموت في الأخير يعتبر رابط مشترك بين مختلف التخوفات، وإنما نعممه على العديد من الأحاسيس على غرار الخوف من الجوع، والخوف من السبي والاغتصاب، والخوف من نداءات الاستباحة التي رافقت كل عملية اقتحام الجيوش لمدينة ما، على أن المشهد يكون مبتورا إذا تغاضينا عن الإشارة إلى المجتمع القبلي الذي تميز بعدة سلوكيات وعادات كانت في معظمها مرتبطة بالحرب، والحديث عن هذه الترسبات لا تكتمل صورته إلا بتتبع مختلف الحلول التي حاول المجتمع الركون إليها لتحقيق ولو القليل من الاطمئنان النفسي هروبا من الواقع الأليم الذي عايشه، وهو ما تندرج تحته إشكالية هذا العنصر التي سنحاول عبرها لملمة شتات النصوص على ندرتها من تقديم مختلف السلوكيات التي ظهرت خلال هذه الفترة وتكيف المجتمع معها من خلال الحلول التي رأى أنها كفيلة بأن تخفف عنه ضغط الحرب.

1-الحرب والخوف:

عاش مجتمع المغرب الأوسط وسط ضغوطات نفسية تحت عنوان الخوف، فمع كل غارة أومعركة أو حصار إلا وتزداد خفقات القلب وتكثر الهواجس والتخوفات في نفسية الإنسان لأنه سيكون طعمة لكل الممارسات الشنيعة واللاأخلاقية في حالة الانهزام، وعلى الرغم من تغاضي المصادر عن رصد هذا المنحى إلا ما جاء عرضا في خضم سرد وقائع المعارك، من ذلك حالة الخوف التي حلت على ساكنة تلمسان عقب اقتحامها من طرف أبو زكريا الحفصي وقد ترجم هذا الخوف بمسارعتهم للاختباء في أحط الأماكن كقنوات صرف المياه

والمواضع الخربة حتى لا يقعوا في أيدي جنود الجيش الحفصي، أما ممتلكاتهم فلم يجدوا فرصة لتأمينها أمام حالة الهلع الكبيرة خصوصا أنهم " سمعوا النداء بالاستباحة"[1]، بل وبذلوها لجنود الجيش الحفصي نظير تأمين أنفسهم أمام اندفاعهم الجنوني سعيا للنهب، وتجلى ذلك في الحوار الذي دار بين تاجر أندلسي كان بتلمسان وبين أحد الجنود الذي هدده فأجابه التاجر قائلا " لا تهددوني ولا تهددكم، جميع ما رزقني الله وأهل هذا الزقاق المغابن في هذا الموضع، وأشار إلى موضع الأسباب فاحتمل جميعها"[2] وهو ما يفسر شعور الخوف من القتل الذي لازم ساكنة تلمسان؛ وإذا كان هذا الحال مع الرجال، فإننا نتساءل عن الفقراء المعدمين الذين لم يجدوا ما يقدمونه للجنود حتى يتفادوا ضربات السيوف الطائشة، على أننا سنتساءل أيضا عن شعور النساء وحالة الهلع التي أصابتهم أمام هذا الاندفاع المحموم، فالخوف من السبي والاغتصاب شكل هاجسا عانت منه المرأة خلال هذه الفترة، بل نطمئن إلى أن هذا التخوف فاق شعور الخوف من الموت، ففي ظل مجتمع قبلي يؤمن بالكرامة والشرف لم يكن للمرأة إلا أن ترى في انتهاك شرفها منقصة لا تقارن أبدا بالقتل، بل رأته أهون بكثير من هذا العيث الحيواني بجسدها، ولعلنا لم نكن لنطمئن إلى هذا الاستنتاج لولا الحوار الذي دار بين دعد وهي قهرمانة قصر المشور وبين أبي زيان، وهو حوار إن دل على أمر فإنما يدل على وفاء المرأة للقيم القبلية فقد جاء فيه " تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء، وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لاتهامكم، ولم يبقى إلا فواق بكيئة لمصارعكم، فأريحونا من معرة السبي، وأريحوا فينا أنفسكم وقربوا إلى مهالكنا، فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم"[3].

ومن صور الخوف ما عانت منه ساكنة البوادي من غارات العرب، وهو ما وضعهم في حالة هلع شبه دائمة بحكم أنهم معرضون للخطر في أي لحظة، خاصة وأن البوادي لا تتوفر على أسوار تحميها كالمتواجدة في المدن، فضلا عن غياب حامية من الجيش، ورغم اتفاقنا مع المقولة الخلدونية بتولي البدو الدفاع عن أنفسهم إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك مع الأعداد الكبيرة للقبائل العربية، ومن صور ذلك ما سئل عنه قاسم العقباني بخصوص هجوم جيش من الأعراب على قرية "فاشتد الخوف" ولم يجد ساكنتها إلا الفرار بما خف من متاعه[4]، وهو ما استغلته هذه العصابات البدوية في تهديد ساكنة الأرياف لتموينهم بالأطعمة، فقد سئل سيدي أبو الحسن "

[1] محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، صص172-173.

[2] نفسه، ص173.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص129.

[4] أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب، ج2، صص115-116.

عن رجل كان يلقى المحاربين ويطعمهم وقتلوا النفس التي حرم الله، وكان يدعي أنه يأويهم ويطعمهم لخوفه منهم هل يحبس بما عمل أو يقتل؟"[1].

ونجد أن الخطاب الفقهي كان مراعيا للظروف الصعبة التي كان يرزح ساكنة الأرياف تحت وطأتها، بدليل أن إجابة أحمد بن الحسن عن هذه النازلة قضت بتصديق قول الرجل ومراعاة شعور الخوف الذي تملكه من تهديدهم له وتبرئته من تسليط أية عقوبة عليه[2]، على أنه كان صارما في الجزم بضرورة الهجرة من المكان الذي يهدد الإطمئنان النفسي للساكنة، فقد وردت نازلة سئل فيها عن "قوم يسكنون في وطنهم، وهم في هذا الوقت يخافون من العرب، كما رأيت هرج هذا الوقت، ولا شك أن هذا الخوف مشكوك فيه، هل لهم المقام بذلك الموضع أم لا"[3] ولعل الغريب في نص السؤال يكمن في تشكيك السائل في حقيقة خوف الساكنة من العرب، وجاء جواب المفتي بعدم جواز تعريض الأموال وتقديم الحريم للغصاب وهي دعوة للهجرة من أماكن سكناهم[4].

2-الضغوطات النفسية للحصار:

ساهم الحصار في إحداث تغيرات نفسية على الحصورين، وهي تغيرات سلبية قوامها الضغط والقلق المترسب في مكامن النفس جراء التضييق الذي عانت منه الساكنة من المحاصرين، ولاشك أنها ورثت أنماط تفكير ومشاعر وأحاسيس معينة يقف الباحث متحسرا عن تهميش المصادر للإشارة لها، نستثني من ذلك بعض العبارات العامة التي وردت مبعثرة في ثنايا سرد المصادر للأحداث السياسية، وهي لا شك أنها غير كافية لتقديم صورة متكاملة عن الخارطة النفسية للحواضر الواقعة ضحية للحصار، على أننا سنقدمها لرسم بعض الملامح لتكون أرضية لدراسات مستقبلية في حال استكشاف المفقود من المصادر الخاصة بالعهد الزياني؛ فقد أدى الضغط وانعدام الحلول إلى تجرأ السلطان أبو سعيد عثمان إلى الإقدام على الانتحار بتناوله سما واضعا حدا لحياته "تفاديا من معرة غلب عدوهم إياهم"[5] لقد عاش عثمان وسط ظروف سيئة خيم عليه فيها الشعور بالذل نتيجة عجزه كسلطان عن مجابهة الجيش المريني، فلا شك أن الضغط كان كبيرا حتى من داخل البلاط

[1] أبو زكريا يحي المازوني، المصدر السابق،ج4، ص365.
[2] نفسه،ج4، ص365.
[3] يحي بن موسى المازوني، كتاب الجامع، تحقيق نور الدين غرداوي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص291.
[4] نفسه،ص292.
[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص127.

نتيجة كثرة الشكايات واختلاف آراء شيوخ بني عبد الواد حول الموقف من مواجهة المرينيين، وورث خليفته في الحكم أبو زيان تركة ثقيلة فلم يسلم هو الآخر من الضغط النفسي، ويقدم لنا الحسن الوزان مشهد معبر تمثل في عجز أبو زيان عن إيجاد حلول للمجاعات التي عانت منها الساكنة وقد وجد نفسه في تجاذب بين الضغط والإحراج، فساكنة تلمسان برغم التضييق الممارس عليهم إلا أنهم استمروا في ولائهم للسلطة الزيانية وهو الأمر الذي قدره أبو زيان جيدا لدرجة أنه أبدى لهم استعداده إطعامهم لحمه لو كان كافيا كعربون لهذا الولاء الكبير، ليقرر بعدها وضع حد لهذا التضييق بالخروج لمواجهة الجيش المريني[1] وفي مشهد آخر يعبر عن الشخصية المرهفة لأبو زيان على عكس أخيه أبو حمو الأول الذي تميز بالشراسة، ويظهر ذلك في طلب نساء القصر من السلطان بقتلهم كما تقدم سابقا، فكان موقف أبو حمو الأول بمباشرة العملية في حينها بل ووجه نقدا لاذعا لأخيه وقام من المجلس غاضبا، أما أبو زيان فقد جهش بالبكاء[2] وهو ما يوحي بتأثر كبير وضغط نفسي ليس من المحاصرين فقط، وإنما حتى من المقربين له وأولهم أخيه الأصغر أبو حمو الأول، ولعل الإجراءات التي بادرت السلطة الزيانية باتخاذها بعد زوال الحصار تؤكد بما لا يدع مجالا للشك عن الكرب الذي اشتد عليهم، لدرجة أن سنة انفراج الأزمة تحولت إلى معلم تاريخي وسميت بسنة الفرج، كما نقشوا على سكتهم عبارة "ما أقرب فرج الله"[3] وعلق يحي بن خلدون على مبادرة أبو زيان بترميم القصور وغرس المتنزهات معتبرا ذلك معبرا عن خلفية نفسية "مطاردة للأمل وطمأنينة إلى الدنيا"[4].

أما العامة فقد عانت هي الأخرى صنوف الضغط النفسي المسلط عليهم، فقد اتفقت المصادر على الشدة التي حلت على ساكنة تلمسان في الحصار المريني سواء الأول أو الثاني المسلط من قبل أبي الحسن المريني فوصف ابن خلدون ذلك بقوله " ناالهم فيها من الجهد ما لم ينله أمة من الأمم"[5] بل حتى الايستوغرافيا المرينية كانت متفقة على حجم الهول الذي خلفه الحصار، بدليل وصف ابن أبي زرع بقوله "وأضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشرفوا على الهلاك"[6] وحتى أبو الحسن المريني اعترف قائلا "فإني نعلم ما يكابده الضعفاء

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص18.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص129.
[3] أحمد بن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص204.
[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص234.
[5] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص128.
[6] علي ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص387.

من الروع والاستعداد لأرباب الحصار"[1] وقد يؤدي هذا الضغط والتضييق إلى تملك النفس نرفزة وعصبية لا تجد متنفسا لها إلا من خلال العنف اللفظي، فخلال الحصار المريني لسجلماسة الواقعة تحت حكم بني عبد الواد سنة 672هـ ضاق أهلها من شدة الحصار "فكانوا يصعدون على الأسوار فيسبون ويلعنون بالقبيح"[2] وفي حصار أبو الحسن المريني لتلمسان سنة 737هـ/1337م وصفهم ابن مرزوق بالتفحش في السب[3] وكان ساكنة تلمسان يختارون شخصا يتمتع بصوت جهوري تؤلف له شتائم معينة يلقيها بصوت مرتفع من أعلى السور ليسمعها الجيش المريني، بدليل أنه بعد اقتحامهم المدينة قبضوا على رجل "كان قد اشتهر بالسب، وأرصد لذلك فكان يبتدع كل يوم سفاهات من القول وقبائح تلقى عليه فيلقيها"[4] وحتى النساء كان يلقين أقبح الشتائم على أبو الحسن المريني، فأثناء الحصار سمع الجنود صوت امرأة من أعلى السور تنادي بمن ينقل لها كلاما تود قوله لأبو الحسن المريني، فلما أرسل لها تحت السور من يسمعها قالت فيه أقبح الشتائم، وهو كما قلنا سابقا تنفيس لفظي عن الضغط وهو نفس رأي أبو الحسن الذي علق على شتائمها بقوله "الشتم حيلة المغلوب، ومعاذ الله أن تكون غريمتنا امرأة محمولة"[5] كما كانت الشتائم تستهدف والدته، ففي حوارها مع ابنها لتشفع في المحاصرين داخل تلمسان رد عليها بأنهم يشتمونها[6].

3-الحرب والتصوف:

يصنف التصوف من بين إحدى أهم ملامح العصر الوسيط بفضل ما قدر له من ظروف سياسية واجتماعية معينة مهدت لتصدره المشهد العام فزاحمت أخبار التصوف أخبار السياسة في مصادر المرحلة، ونافس الصلحاء الحكام في نيل الشهرة بل تفوقوا عليهم في الكثير من الأحيان، فكان قوة اجتماعية وسياسية ألقت بسيطرتها على المجتمع خصوصا خلال فترات الأزمات السياسية والاجتماعية[7] لأنه اعتبر بالدرجة الأولى حل من بين الحلول التي لجأ إليها مجتمع المغرب الأوسط للتخفيف من وطأة الأزمة النفسية التي عانى منها بسبب

[1] محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص121.

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص312.

[3] محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن، ص202.

[4] نفسه، ص185.

[5] نفسه، ص184.

[6] نفسه، ص123.

[7] حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، ص467.

الحروب التي هددت حياته ووضعته في خوف وقلق من المستقبل فضلا عن الترقب الدائم لأي غارة أو معركة تنشب وهو ما تسبب له في المعاناة من الوساوس والهواجس، فكان التصوف بمثابة المصحة النفسية التي لجأ إليها المجتمع هروبا من مرارة الأوضاع التي كان يعيشها.

والحديث عن التصوف كمنظومة يقودنا إلى الحديث عن الولي باعتباره المجسد لفلسفة التصوف على أرض الواقع، والذي لم يكن بمعزل عن هموم ومشاكل المجتمع بل حاول بما يملكه من آليات روحية من التخفيف عنه حدة الحرب خصوصا بتوظيف الفكر الكرامي الذي يعبر عن الخوارق، لأن الولي أدرك جيدا أن المجتمع لم يجد أي حل واقعي مرضي يسكن عنه ضغط الأزمة.

فكان اللجوء إلى الخوارق أمر اضطراري، بل ونسجل أنه كان شديد التعلق بها معتقدا في صحتها، لأنها أدت وظيفة نفسية تطمينية للمجتمع ركن إليها لتحقيق هدوء واطمئنان نسبي؛ وتطلعنا كتب المناقب عن حضور الولي في المشهد كشخصية بطولية تتدخل لإنقاذ المجتمع من حرب أو غارة؛ ففي الحصار المريني الطويل على تلمسان برز الولي عبد الرحمن الهزميري الذي دخل على يوسف بن يعقوب المريني وطلب منه فك الحصار عن أهل تلمسان، ومع الرفض القاطع لطلبه قام غاضبا على السلطان المريني وتكلم له بكلام لم يفهمه ولم يعطه أهمية، فقال له "يجيئ سعادا يقضي هذا" وهو اسم لأحد خصيان يوسف بن يعقوب، لينتهي الأمر بقتله في خباءه[1].

وسواء أكانت هذه الكرامة صحيحة أم لا فإن الخطاب التاريخي لاشك أنه كان ترجمة لتصورات المجتمع عن الدور البطولي للفكر الصوفي، فتفاصيل الحادثة حاولت تقديم تأويلات تتمثل في جرأة الولي على السلطة السياسية، فيوسف بن يعقوب بحصاره الطويل وشدته على ساكنة تلمسان يمثل السطوة والبطش، باعتبار أن المخيال الجمعي يسعى دوما لتحقيق إشباع نفسي من خلال نسج أساطير وقصص تجسد خضوع السلطة السياسية أمام خوارق وكرامات الولي، وهو ما اتضح في إبداء الهزميري غضبه من يوسف بن يعقوب، كما ترمز أيضا إلى ثنائية تحقق دعاء الولي ومجاهرته بالحق بدليل أنه صارحه بمقتله على يد شخص يسمى سعادا، فهي كرامة شافية لغليل ساكنة تلمسان المنهكة، ومؤدية لوظيفة التشفي والثأر النفسي من المتسبب في المتاعب لهم، وحتى مقتله على يد خصي يعتبر في نظر المجتمع إذلال وإهانة وموتة لا شرف فيها.

[1] التنسي، المصدر السابق، صص133-134.

ويظهر هذا الانتقام النفسي أيضا من خلال إسناد الكرامة للولي بمعرفة المستقبل، وهو أمر نرجح أنه يدل على محاولة العامة تصوير السلطة الروحية للولي أقوى بكثير من السلطة السياسية، فالمنامات مثلا عبرت عن تنبأ الولي بأمر سيحدث لصالح العامة المظلومين، مثلما كان الحال في الحصار، فقد رأى أبو عبد الله القرقوني الذي كان سجينا لدى المرينيين مناما أوله بزوال الحصار عن تلمسان بل وكانت الرؤية متفقة مع المكاشفة التي قالها الهزميري بمقتل يوسف بن يعقوب، لكنها جاءت بتفصيل عنها من نواحي أخرى، وكأن المشهد وزع على الأولياء لينال كل منهم نصيبه، فالرؤيا تحدثت عن كيفية مقتل يوسف بن يعقوب بل وفصلت حتى في الطبيب الذي سيخيط بطنه، ممثلا في أبو جمعة الجرائحي الذي كان مسجونا معه[1].

وفي نفس سياق الحصار صور لنا ابن مريم ما يمكن تشبيهه بالمقابلة بين السلطان وقوته وسطوته من جهة، وهوانها بل والاستهزاء بها من قبل سلطة الولي؛ ففي حصار أبو فارس الحفصي لتلمسان نجد أن العامة هرعت مباشرة إلى العلماء حتى يتوجهوا لأبي فارس ويطلبون منه العفو[2]، لكن النص يريد أن يخبرنا عن معاني مبطنة لا تدرك إلى بتتبع بنية النص وتفكيكها؛ بداية نجد أن النخب المذكورة في النص هي ثلاثة؛ السلطان، العالم، الولي، ويمكن إضافة العامة لاكتمال المشهد، لكن أين الاستنجاد بالسلطان الزياني؟ لماذا لم يذكر ذلك في النص؟ هو من منظورنا تعبير عن عدم فعالية السلطان للتصدي للخطر، فهذه هي الأولى، لكن استشعار الخطر من طرف العامة صور لنا وكأنه تعبير عن عدم فعالية الجهة التي لجأت إليها، ألا وهي فئة العلماء، وهذه هي عدم الفعالية الثانية، لأن هؤلاء العلماء كما ذكرهم النص دون التفصيل في تراجمهم والتحقق من انتماءهم لصنف الولي أو العالم، أقول أن هؤلاء بدورهم لجؤوا لسلطة الولي حتى يخلصهم من الحصار، فالنص إذن يريد أن يصور لنا أن السلطان والعالم لا يعتبران شيئا ذا بال أمام سلطة الولي، وفعلا بعد توجه السنوسي وابن عبد العزيز للشيخ أبركان، رفض هذا الأخير أن يخرج معهما بل وقال لهما كلاما يستشف منه أن الحصار سيفشل، لينتهي المشهد بتقاسم الأولياء مواجهة الجيش الحفصي[3]، وهنا نجد استحضار لحرمة الولي الميت مع

[1] "فرأى أبا جمعة علي الجرائحي منهم كأنه قائم على سانية دائرة وجميع أقداحها وأقواسها تصب في نقير في وسطها، فجاء يشرب فاغترف الماء فإذا فيه فرث ودم فأرسله واغترف فإذا هو كذلك ثلاثا أو أكثر، ثم عدل إلى خصة ماء فجاءها وشرب منها ثم استيقظ وهو في النهار فأخبره فقال: إن صدقت الرؤيا فنحن على قليل خارجون من هذا السجن قال كيف؟ قال: الساقية الزمان والنقير السلطان وأنت الجرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج في تطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص424.

[2] ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010، ص104.

[3] نفسه، ص104.

الولي الحي، فكان أبو مدين شعيب حاضرا ليشتت ثلث الجيش، على أن الثلث الثاني كان من مهمة سيدي الحسن بن مخلوف[1].

وفي نفس سياق الحدث نجد أن النص الآنف الذكر قد قام بوظيفة هدفت لإبراز سلطة الولي وتفوقها على السلطان، ولم يكتف بهذا بل توغل في رمزيات تعبر عن القوة والسلطة، فقد ذكر أن أبو فارس رأى الحسن بن مخلوف وبيده سيف وهو صاعد نازل في مدارج البيت[2]، فالسيف رمز يحيل مباشرة على السلطان، إلا أنه ليس بيد أبو فارس، بل بيد الحسن بن مخلوف، وهو تعبير عن حيازة الولي سلطة وبطش السلطان، أما الصعود والنزول في مدارج البيت فهو تعبير عن مشيئة الولي في الحكم على السلطان إن شاء رفعه وإن شاء أذله.

كما كانت لأبي البيان واضح عدة كرامات تدل على تجشمه عناء حماية الساكنة بوادي رهيو، فقد كان سندا "لمن استغاث به واستجاره في أماكن الخوف ومواطن النهب والأزمات"[3] ويظهر ذلك في هجوم محمد بن عبد القوي التوجيني بأفراد قبيلته على مغراوة بوادي رهيو، وهو ما نشر الهلع في أوساط الساكنة "وفروا حوله بخيامهم ومواشيهم، وأحدقوا بزاوية الشيخ مستجيرين به لائذين بحرمه" وصورت أحداث هذه الواقعة بشكل يوحي بسطوة الولي وتحديه الجيش بقوة الدعاء، فتوقيت الهجوم كان مع السحور[4].

ويخبرنا الراوي أن نيران الجيش كانت كثيفة "كأنها أمواج البحور"[5] ويبدو أن تشبيهه للنيران بالأمواج ليست إلا لإضفاء مزيد من سطوة الولي الذي يتحدى النيران والمياه أي الجمع بين المتناقضين، وفي هذا المشهد "رمق السماء بطرفه وتضرع إلى ربه بدفع شره عنهم" وهو ما ترجم في استجابة الله لدعائه في وقت وجيز، فقد انتفخت بطن محمد بن عبد القوي[6].

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص104.
[2] نفسه، ص105.
[3] موسى بن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص132.
[4] نفسه، ص145.
[5] نفسه، ص146.
[6] نفسه، ص146.

وصور نص الكرامة أن حتى المقربين من محمد بن عبد القوي عارضوه وهو ما يبين تقديرهم لسطوة الولي وتفوقه على القوة العسكرية، فقد قال له أحد خاصته "لعل هذا الذي أصبت به من تغيير قلب هذا الصالح عليك غيرة منه على جيرانه، وبكاء الصغار والكبار حوله"[1] في حين يظهر نصح إحدى حظياته له بتجنب سخط الولي مشبهة له إياه بالأفعى وزاويته بالجحر[2] فإدخال الإنسان يده في جحر الأفعى يتسبب له في لسعة قاتلة، وهو رمز يعبر عن فعالية وقوة أبي البيان واضح.

على أن الولي لا يسعى بسطوته سوى حماية من يستجير به من العامة الضعفاء وليس إيذاء شخص معين، بدليل أنه رقى له في الماء وشفي، لتنتهي الكرامة بشفاءه " فصعد إليه من الغد خاضعا ذليلا واستبشر الناس وأمنوا به"[3].

أما والده عبد القوي بن العباس فقد تجرأ على زاوية الشيخ أبو يعقوب وشن عليها غارة وانتهب كل ذخائر قبيلة مغراوة التي خبأتها فيها طلبا لحمايته، وتم ذلك أمامه بل وبلغ الاستهزاء به أن طلب منه الدعاء له "فقال له: يا عبد القوي، يا عبد القوي، وكررها يعني الدعوة عليه لا له" لينتهي به أمر التعدي على حرمة الزاوية والاستهزاء بدعاء الولي بتقطع أحشائه من دبره ووفاته في طريقه[4].

وكانت العامة بسبب حالة الخوف تسكن قرب زوايا الأولياء، فقد كانت زاوية الولي أبو يعقوب بأحواز مازونة "كثيرة العمارة لانضمام الناس إليه لانتشار الفساد في ذلك"[5] ورغم ذلك فقد كانت الغارات تشن من طرف بعض القبائل، مثلما كان الحال مع جيش ابن غانية، فتدخل أبو يعقوب في مشهد يعبر عن جرأة الولي ودفاعه عن المظلومين، ويعبر الحوار الذي دار بينه وبين ابن غانية عن ثقة كبيرة في حرمة زاويته وكأن هجوم ابن غانية على أحوازها يمثل حالة شاذة "كيف يغير جيشك على زاويتي؟" لينتهي التدخل بإرجاع كل ما نهب لأصحابه[6].

[1] موسى بن عيسى المازوني، المصدر السابق، ص146.
[2] نفسه، ص146.
[3] نفسه، ص146.
[4] نفسه، ص198.
[5] نفسه، ص197.
[6] نفسه، صص196-197.

حضور الفكر البطولي في سرد أخبار الأولياء وإنقاذهم للساكنة من بطش السلطان نجده أيضا في سيرة سيدي عزوز الذي أنقذ قبيلة مكناسة من غارة أبو حمو الأول بسبب تعديهم على رسله الذين طلبوا منهم تحضير الضيافة للجيش الزياني، فلم تجد القبيلة سوى الشيخ عزوز معتقدين في كراماته وصلاحه " فجاؤوا صغارا وكبارا للشيخ سيدي عزوز وبكوا حوله وأخبروه بما عزم عليه السلطان"[1].

وعلى شاكلة الكرامات السابقة صوّر دخوله على أبو حمو الأول في مشهد بطولي، فلما أقبل على الجيش رآه الجنود ورددوا لفظة "العابد جاء"[2] وهو ما يعطي انطباع بشهرة الولي، "فصار يخترق الساقات إلى أن وصل إلى السلطان"[3] وهو تعبير عن تحدي الولي للجيش وتفوقه عليه.

أما تعامله مع السلطان الزياني فكان بفظاظة وأمام جنوده متحديا له، فقد قبضه من لحيته بقوة وخنقه ولم يتركها إلا بعدما استجاب له بقضاء حاجته، ويبدو أن القبض من اللحية تعبر عن سطوة الولي وبأنه هو الآمر الناهي للسلطان[4]، فقد أمسك موسى عليه السلام أخيه هارون من لحيته وترفق هذا الأخير لنبي الله حتى يتركه.

واتقاء دعوة سوء من الولي كانت عاملا مشتركا بين السلاطين وشيوخ القبائل في استجابتهم لطلبات الأولياء، فقد كان الدعاء سلاح الولي في مواجهة القوة، فلما احتج وجوه البلاط عليه استجابته له وعودته لتلمسان، أجابهم أبو حمو الأول أن عودته هي اتقاء لدعوة سوء كانت ستحل عليه لو هجم على قبيلة مكناسة[5].

تحصن العامة بالأولياء لم يكن في فترة حياتهم فقط، بل تجاوزها إلى الاعتقاد في حرمة قبره، فيمكن القول أن قبور الأولياء اعتبرتها العامة منظومات دفاعية كالقلاع والحصون، وخصوصا في البوادي أين تنعدم التحصينات الدفاعية، ويمثل هذا الأمر تعويض النقص المادي بالروحي، فإذا كان سكان الحواضر المدعمة بالأسوار المتينة يعيشون في اطمئنان بفضل توفر هذه التحصينات، فإن توفير هذه الشحنة من الطمأنينة لساكنة البوادي تكون من خلال الاعتقاد بحرمة قبر الولي، وتدعم العديد من الإشارات هذا الاستنتاج فقبر سيدي أبو يعقوب

[1] موسى بن عيسى المازوني، المصدر السابق، ص403.
[2] نفسه، ص403.
[3] نفسه، ص403.
[4] نفسه، ص403.
[5] نفسه، ص403.

ببني حلوان في مازونة " يفزع لحماه أوقات النهب والفساد وشن الغارات على أهل هذه البلاد، فلا يري الله من اعتصم به واستند لحرمه سوءا ببركته وبركة سلفه الصالح"[1] ونفس الأمر كان مع قبر أبي البيان واضح الذي كانت تعتصم العامة حوله فلا ترى سوءا بفضل بركاته[2]، على أن الأمر لم يقتصر على العامة بل تعداه إلى السلطة السياسية ممثلة في أحمد العاقل الذي استجار بضريح أبي مدين شعيب عقب اقتحام تلمسان من طرف محمد المتوكل سنة 866هـ[3].

يثير مكان دفن الأولياء بأبواب تلمسان التساؤل عن الهدف الكامن وراء هذا الأمر، فتلمسان تمتعت بتحصينات دفاعية متينة وقف الحفصيون والمرينيون عاجزين عن اقتحامها عدة مرات فما هو سبب دفن الولي عند مدخل المدينة؟ هل هو استجلاب لبركته في حماية المدينة؟ الظاهر أن الأمر كان كذلك فقد كان الاعتقاد في حرمة قبور الأولياء واسع الانتشار في أوساط الساكنة التي تشبثت بكل ما رأت فيه تحقيقا لنوع من الطمأنينة، وهو الاعتقاد السائد حسب أحد الباحثين والذي تحول إلى تنافس في جلب الأولياء لدفنهم بالمدن معتبرا أنها مثلما تسورت بالحجر والطين فإنها أيضا تسورت من الناحية الروحية بقبور الأولياء[4] وهو ما سمته إحدى الباحثات بالجغرافية المقدسة[5]. فأبو زكريا يحي بن الصيقل وأبو عبد الله بن عيسى مدفونان خارج باب العقبة[6] كما دفن الشيخ أبو يعقوب التيفريسي بباب وهب[7].

ويظهر جليا هذا الاعتقاد في النص الذي ساقه لنا ابن مريم في حديثه عن حملة السلطان الحفصي على تلمسان، أين دار حوار بينه وبين وزراءه عن تحديد باب من أبواب تلمسان لاقتحامه، ويظهر النص أن السلطان بنفسه يعتقد في هذه الحرمة، فكان كلما ذكر له باب إلا وسأل وزراءه عن الولي المدفون عنده،

[1] موسى بن عيسى المازوني، المصدر السابق، ص286.
[2] نفسه، ص175.
[3] التنسي، المصدر السابق، ص254.
[4] حميد تيتاو، المرجع السابق، ص478.
[5] آمال لدرع، الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي "غياب الأمن" "غزو تلمسان وحصاراتها أنموذجا"، مجلة منتدى الأستاذ، العدد الثامن عشر، 2016، ص169.
[6] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص149، 153.
[7] نفسه، ج1، ص143.

فباب الجياد مدفون عنده أبي مدين شعيب، وباب الزاوية مدفون عنده أبي عبد الله الشوذي الملقب بسيدي الحلوي[1].

4-الحرب والإدخار:

ساهمت الحرب في تعكير صفو مجتمع المغرب الأوسط بحكم أنها تسببت في اختلال الحياة الطبيعية ومنع تداول السلع بسبب انعدام الأمن في المسالك وحالات الحصار التي شلت الحركة التجارية، وهو ما انعكس على ذهنية المجتمع الذي تراكمت عليه التخوفات، فمن الخوف من الموت إلى الخوف من الجوع، وإذا كنا نعتبر أن سلوك الإدخار تقف وراءه مسببات أخرى زيادة على الحرب على غرار الجوائح الطبيعية والأوبئة، إلا أن الحاصل من ذلك هو وقوف هذا العامل النفسي خلف هذه التدابير التي تقاسمتها السلطة والمجتمع، على الأخص العاصمة تلمسان التي عانت من عدة حصارات، ونرى أن الحصار المريني الطويل على تلمسان كان له كبير الأثر في تحسب ساكنة تلمسان بادخار الأطعمة، فقد كانوا يعيشون على "اقتصاد في المعاش واللباس والسكنى"[2] ليس زهدا في الحياة أو اقتداء بالسلف الصالح كما قال يحي بن خلدون، وإنما نتيجة لما صقلتهم إياه التجارب المريرة، فعيشة الكفاف هي في حد ذاتها إدخار، فالمطمورة كانت في كل بيت، حيث "سئل عن رجل له رئاسة ووجاهة،سكن زنقة تعرف به وأكثر دورها له، وسكانها خدامه وأقاربه، وكان إذا خزن زرعه يخزنه في دواره، وفي زنقته هذه مطامير في الزقاق يخزن فيها أيضا، فمات هذا الرجل وضعفت ذريته عما كان فيهم، وتعطلت أكثر تلك المطامير وبيعت تلك الدور وماتت ذريته، والآن عثرت حفيدته على حفر مطمورة في ذلك الزقاق، فصادفت بمطمورة قديمة فارغة، وغالب ظنها أنها من مطامير جدها الذي كان يخزن فيها، وكنستها وأصلحتها وحازتها نحو الثمان سنين أو عشرة"[3] وكانت الحبوب أكثر ما يدخر، فبعد موسم الحصاد تبادر الساكنة بتخزينها في مطاميرها، حيث سئل عبد الرحمن الواغليسي عن رجل أراد أن يخزن الحبوب بمطمورته في فصل الصيف فتسبب في حرقها وحرق مطامير الجيران بسبب محاولته تجفيف البلل الذي وجده فيها بالنار[4]، بل وفي بعض الدور وجدت عدة مطامير بدل واحدة حسب ما يظهر في سؤال النازلة التي سئل

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص195.
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130.
[3] يحي بن موسى المازوني، المصدر السابق، ج4، ص202.
[4] نفسه، ج4، ص374.

فيها عن رجل اكترى دار وفيها عدة مطامير[1] وتنوعت هذه الأخيرة بين مطامير مخصصة للحبوب، وأخرى للفحم وأخرى للحوم والإدام[2].

كما اتخذت السلطة الزيانية نفس التدابير تحسبا للأزمات خصوصا الحصار، فبعد زوال الحصار المريني كان أول إجراء اتخذ هو توسيع المطامر ليكفي المخزون عدة سنوات وكان هذا أول درس من تجربة الحصار المريرة، فقد قام أبو حمو الأول بحفر الخنادق "وخزن فيها من الطعام والإدام والملح والفحم والحطب ما لا حد له ولا حصر"[3] بل وحتى الشحوم خزنت في صهاريج، أما الحبوب فيبدو أنه حول تلمسان كلها إلى مطمورة كبيرة للحبوب حسب ما ذكره العمري بل وحتى الأبراج خزن فيها الملح والفحم والحطب[4] ويبدو أن هاجس التخوف والحذر لديه كان كبيرا لدرجة أنه حتى الصناديق خزن فيها الأطعمة[5] وكانت هذه التدابير والتحسبات ناجحة بدليل أنه في حصار أبو الحسن المريني لهم سنة 735هـ/1335م "ولم يظهر منهم وهن ولا خور لانقطاع الميرة لما كان عندهم من المخزون، حتى قدائد اللحوم ومسليات الشحوم"[6] وكانت جباية السلطة للضرائب من مختلف القبائل على شكل حبوب، فقد خزن أبو سعيد عثمان جباية حبوب بلاد بني توجين بمازونة تحسبا لأي حصار لها من طرف مغراوة[7] كما كانت تخزن حتى في حصونها المنتشرة في مختلف المناطق التي كانت تحت حكمها تحسبا لأي حصار تتعرض له حاميتها، مثلما كان الحال في تامزيزدكت التي شيدها أبو تاشفين الأول، ووجه أمرا لجميع ولاته بإرسال الأطعمة إليها[8] وأيضا بمليانة التي شحنها أبو حمو الثاني بالأقوات سنة 769هـ/1369م وقد كان ذلك في إطار صراعه مع أبو زيان القبي[9] ويرى أحد الباحثين أن هذه الحصون كانت بمثابة مخازن جماعية تخزن فيها الساكنة أطعمتها حتى لا تصلها أيدي النهب[10].

5-ذهنية التخريب:

[1] أبو العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص212.
[2] محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، صص190-191.
[3] النسي، المصدر السابق، صص135-136.
[4] العمري، المصدر السابق، ج4، ص204.
[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص235.
[6] العمري، نفسه، ج4، ص205.
[7] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص124.
[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص241.
[9] نفسه، ج2، ص193.
[10] حميد تيتاو، المرجع السابق، ص521.

تميز الصراع العسكري القائم بين دول ما بعد الموحدين والقبائل القاطنة بمجالات بلاد المغارب، بمخلفات وانعكاسات تكبدها المجتمع بمختلف طبقاته وأطيافه، وحتى السلطة لم تسلم من ذلك، فلعنة الحرب أصابت الإنسان ومعاشه، ومنجزاته العمرانية التي تعب وكد في تشييدها باعتبار الوسائل المتواضعة التي استعملت في البناء، سواء كانت مباني ذات طابع مدني أو عسكري، بحكم أن الحرب تحيل على التخريب والتدمير، فالخصم يفعل كل ما من شأنه تكبيد غريمه خسائر بشرية ومادية، والتي يصنف العمران من ضمنها، والدولة العبد الوادية كجارتها الدولة المرينية غربا، والحفصية شرقا قد عانت من ويلات الحرب، وتكبدت خسائر في نسيجها العمراني، خصوصا اذا استحضرنا طبيعة موقع تلمسان بصفة خاصة، والمغرب الأوسط بصفة عامة، والذي اضطر السلطة والمجتمع إلى الاستعداد الدائم للحرب، بحكم توسطها للدولتين، وهو ما يعطي انطباعا أوليا بأن النسيج العمراني لتلمسان تعرض لخسائر معتبرة بفعل سياسة التخريب، على أن السلطة العبد الوادية وسط هذه الحالة التي يمكن أن نسميها "حرب الكل ضد الكل" لم تقف موقف المتفرج على المشهد، بل بادرت بالدفاع عن وجودها، سواء باتخاذ سياسة عمرانية من خلال تعزيز دفاعاتهاذات الطابع العسكري، أو تثأر لنفسها بتخريب النسيج العمراني لخصومها، وهو ما سنساءل عنه نصوص المرحلة، منطلقين من إشكالية التخريب على نمطين عمرانيين: نمط يكتسي صبغة عسكرية أو ما يعرف بالعمران العسكري، ونمط آخر ذو صبغة مدنية، ويصنف ضمنه كل المباني التي لا تصنف ضمن الإطار الدفاعي.

أ-تخريب العمران العسكري:

اكتست الأسوار أهمية معتبرة في التخطيط العمراني للمدن خلال العصر الوسيط، باعتبارها تنطوي على دور دفاعي عن ساكنة المدن، ولهذا الدور اشترط ابن خلدون ضرورة إحاطة المدن بالأسوار واستحسن أن تكون في أماكن مرتفعة حتى يعجز العدو عن اقتحامها[1]، من هذا المنطلق يعتبر تخريب الأسوار تجريد للمدينة من شرطها الدفاعي فتصبح عرضة للغزو، فضلا عن أنها تضطر ساكنتها للهجرة أو العيش في قلق دائم، وفي أحسن الأحوال تضطر السلطة إلى فرض مزيد من الضرائب على الرعية لترميم الأسوار كضريبة التعتيب التي فرضها المرابطون على رعيتهم سنة 519هـ/1125م[2].

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص15.

[2] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ص73.

عانت مدينة وجدة من آثار الصراع بين الزيانيين والمرينيين باعتبارها منطقة حدودية يمر عليها الجيشان وقد لفت ذلك انتباه الحسن الوزان الذي أرجح تراجعها العمراني والاقتصادي بسبب انحيازها للسلطة الزيانية وعجز هذه الأخيرة عن حمايتها[1]، وبالتالي فقد تعرضت للعديد من الحملات والغارات التي أحلت عليها شبح الخراب بعدما كانت متينة الأسوار[2]، فقد مر عليها السلطان المريني أبو يوسف يعقوب سنة 670هـ/1271م وقد كانت وجدة آنذاك تابعة للسلطة الزيانية، وهو ما وضعها كأولى ضحايا ضربات الجيش المريني، فقد عاث فيها جيشه تخريبا وأمر بهدم أسوارها " وألصق بالرغام جدرانها"[3]، وتعرضت لنفس المصير سنة 695هـ/1295م فكل الجهود التي بذلت لإعادة بناء الأسوار لقيت حتفها مع حملة يوسف بن يعقوب المريني الذي خرج في حملة برسم غزو لتلمسان فمر بوجدة وهدم أسوارها وتغلب على القبائل القاطنة بها من المسيفة والزغاوة[4]، ويبدو أن أمراء الدولة المرينية طبقوا سياسة واحدة تجاه هذه المدينة، والتي اعتبروها خطا دفاعيا متقدما للزيانيين، فكانوا حذرين في تأمين جيوشهم من أي مقاومة من حامية المدينة خصوصا خلال عودتهم إلى المغرب أين يكون الجيش منهك من القتال فضلا عما إذا كان منهزما، وهي كلها تحسبات راحت ضحيتها أسوار المدينة، ويظهر ذلك في الأمر الذي وجهه أبو الحسن المريني لجيشه سنة 736هـ/1335م فرغم أنه سيطر عليها إلا أنه لم يكتفي بهذا الانتصار بل أمر بتخريب أسوارها "فأضرعوها بالأرض"[5].

تمتعت تلمسان بمنظومة دفاعية عمرانية سمحت لها بتصنيفها من أحصن مدن بلاد المغارب، وقد لفت ذلك أنظار الرحالة والجغرافيين، فقد وصفها الحميري بأن سورها "متقن الوثاقة"[6]، كما نجد نفس الملاحظة لدى أحد الرحالة المتأخرين الذي وصفها بأنها "في غاية الارتفاع والقوة"[7] ورغم أنها استعصت على المرينيين والحفصيين في العديد من الحملات وهو ما دفعهم إلى تدابير وقائية حتى تفقد تلمسان ميزتها الدفاعية، ففي فترة الحكم المريني بتلمسان أقدم أبو عنان المريني سنة 760هـ/1358م على هدم أسوارها بعدما علم بحملة أبو حمو الثاني المتوجهة نحو استعادة عاصمته، وعزم على تطبيق هذا الأمر حتى يقطع على أي محاولة تحصن

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص13.
[2] نفسه، ج2، ص13.
[3] عبد الرحمن ابن خلدون،العبر، ج7، صص244-245.
[4] نفسه، ج7، ص290.
[5] نفسه، ج7، ص339.
[6] الحميري، المصدر السابق، ص135.
[7] الحسن الوزان، نفسه، ج2، ص20.

يقدم عليها أبو حمو الثاني " وأنه زعم إذا ذهب تحصينها لا يأمن في نفسه قطينها، ولم يأو إليها منهم قائم"[1]، وتعرضت للتخريب أيضا سنة 784هـ/1382م من طرف المرينيين في عملية انتقامية حرص ونزمار بن عريف على الأمير المريني أبو العباس على تخريبها ثأرا لنفسه من تخريب قصره من طرف أبو حمو الثاني[2] وكان له ذلك "فأتى عليها الخراب في أسرع من لمح البصر"[3]، كما تعرضت للتخريب في حملة الحفصيين عليها سنة 871هـ/1466م بعدما تمكنوا من اقتحامها[4].

ولم تسلم المدن الهامة في المغرب الأوسط من تخريب لأسوارها في إطار الصراع العسكري، وخصوصا التي كانت تتمتع بمكانة اقتصادية هامة على غرار وهران، فرغم أن استرجاعها تحت حكمه كان الهدف الأساسي من حملته العسكرية عليها سنة 762هـ/1360م، لم يكتف أبو حمو الثاني بذلك بل قطع أي محاولة مستقبلية لمعارضيه باللياذ خلف أسوار قصبتها والامتناع عليه، وذلك بهدمه أسوارها لتبقى دون مقومات دفاعية[5]، ونالت تاوريرت أيضا نصيبها من آثار الصراع الزياني المريني، فقد ألصقت أسوارها بالأرض في غارة أبو حمو الثاني عليها سنة 766هـ/1364م[6]، ونرجح أن التركيز على تخريب الأسوار لا تعود أسبابه لدوافع أمنية متمثلة في تجريد المدينة من تحصيناتها وجعلها عرضة للغزو فقط، وإنما لدوافع اقتصادية أيضا، بحكم أن ترميم الأسوار أو إعادة تشييدها عملية جد مكلفة تتطلب أموال معتبرة لاشك أن السلطة تنتزعها من رعيتها عن طريق فرض المكوس الإضافية، فضلا عن توفير اليد العاملة.

فضلا عن الأسوار فإن التخريب طال أيضا القلاع باعتبارها من أهم المنشآت العمرانية ذات الطابع العسكري، بما تكتسيه من قيمة في حفظ الطرق التجارية من قطاع الطرق ومراقبة تحركات الجيوش، فضلا عن ممارسة الرقابة الأمنية على كل المناطق المحيطة بها والقريبة منها، فقد تعرض حصن تامزيزدكت لحملة شنها عليه السلطان الحفصي أبو يحي سنة 732هـ/1331م وانتهت بهدمه "فخربها في ساعة من نهار كأن لم تغن بالأمس"[7]، وفي إطار ثأره لسيطرة المرينيين على تلمسان، خرج أبو حمو الثاني إلى المغرب ووجه ضربات للعديد

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص42.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص463.
[3] نفسه، ج7، ص191.
[4] الزركشي، المصدر السابق، ص157.
[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص87.مؤلف مجهول، نفسه، ص141.
[6] يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص149.
[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص145.

من حصون المرينيين، والذي كان أحدها بتاوريرت "فأمر بهدمه وخرابه ووكل به عامة محلته وأعرابه"[1]، ويبدو أنه خرب حصون أخرى في هذه الغارة وإن لم تسعفنا الايستوغرافيا بتفاصيل أكثر إلا أننا نستشف ذلك من رواية صاحب زهر البستان الذي وصفها بعبارة مقتضبة قائلا فيها "ثم تمادى على الحصون ينهب ويخرب"[2]، كما انتقم من أولاد عريف لمساندتهم معارضه أبو زيان بتخريبه لقلعة ابن سلامة أمنع معاقلهم[3].

ب-تخريب العمران المدني:

عانى العمران المدني من حالة الحرب السائدة التي لم تكتف فيها الأطراف المتصارعة بنهب الممتلكات وقتل الأنفس والتنكيل بالخصم، بل طالتها إلى حرمانه من منشآت عمرانية بذل جهدا ماليا وبشريا معتبرا في تشييدها في نزعة تسودها التشفي وارتكاب كل الأمور التي من شأنها القضاء على الخصم وتحطيمه نفسيا وماليا، وإذا كانت الحجة حاضرة في تخريب العمران العسكري، فإنها في العمران المدني لا تعتبر إلا همجية وحقد مكبوت في النفوس لاقى تنفيسا له في الإقدام على هذه الممارسات، فعلى مستوى السلطة فقد كانت قصورها عرضة للتخريب، من ذلك إقدام أبو حمو الثاني على تخريب قصر السلطان المريني بتازروتسنة 785هـ/1383م[4]،كما خرب في نفس السنة قصر ونزمار بن عريف أمير سويد المسمى بمرادة بأحواز بطوية[5]، إلا أنه دفع ثمن ذلك بانتقام المرينيين منه عقب سيطرة أبي العباس المريني على تلمسان فحثه ونزمار على تخريب قصورها، والتي شيدت من طرف أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين وكانت " لا يعبر عن حسنها"[6] وقد لاقت مصرعها "أسرع من لمح البصر"[7]، فكان لها أثر نفسي كبير على أبو حمو الذي " تفجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها"[8] ولم يقف عند حدود تلمسان بل طالها للقبائل الحليفة للسلطة الزيانية،

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، 104.
[2] نفسه، ص105.
[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص175.
[4] نفسه،ج7، ص188.
[5] نفسه،ج7، ص462.
[6] نفسه،ج7، ص190.
[7] نفسه،ج7، ص191.
[8] نفسه،ج7، ص191.

على غرار بني عامر التي تعرضت قصورها بالصحراء للتخريب سنة 772هـ/1370معلى يد الوزير المريني أبو بكر بن غازي[1].

فضلا عن ما سبق فإن القرى والمدن كان لها نصيب من التخريب الذي اعتبر هاجس ظل يلاحق العمران خلال المرحلة مدار الدرس، فقد انجر عن حملة يعقوب المريني على تلمسان مروره على وجدة والتي " وقف عليها حتى هدمت وعفا رسمها وجعل عاليها سافلها ولم يبقي لها رسما وتركها قاعا صفصفا"[2] وواصل طريقه بعدها في أحواز تلمسان يخرب عمرانها[3]كما قام محمد بن عبد القوي زعيم بني توجين بهدم مدينة البطحاء عقب معركة ايسلي سنة 670هـ/1271م وكانت تابعة للسلطة العبد الوادية[4]فعقب رفض عثمان تسليم الوزير ابن عطو للمرينيين، خرج يوسف بن يعقوب سنة 687هـ/1288م في حملة على أحواز تلمسان فعاث فيها "يخرب العمران"[5]، ونفس السبب تكرر مع أبو حمو الأول الذي رفض تسليم يعيش بن يعقوب أخ السلطان المريني أبو سعيد، وهو ما سبب خروجه في حملة أخرى على أحواز تلمسان سنة 714هـ/1314م وسار فيها "بالحطم والانتساف والعيث"[6].

تعرضت بجاية[7] لعدة حملات من الزيانيين تنفيذا لوصية يغمراسن بالتركيز على النواحي الشرقية وهو ما طبقه خليفته في الحكم أبو سعيد عثمان،ففي سنة 686هـ/1287م شن حملة على باديتها أحرق فيها الكثير من قراها[8]كما قام أبو حمو الثاني بحرق قرية بني ورار التي كانت تحت سيطرة المرينيين في إطار حركته لإحياء الدولة[9]وقام وزيره عبد الله بن مسلم الزردالي[10] بسلسلة من الغارات تحت عنوان التخريب فكان "لا يمر بمدشر

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،ص582.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص132.

[3] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص310.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص209.ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص135.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص284.

[6] نفسه، ج7، ص136.

[7] مدينة ساحلية كبيرة، شيدت من طرف الحماديين حيث اتخذوها عاصمة بدل قلعة بني حماد التي خربها عرب بني هلال عقب هزيمتهم للحماديينوالزيريين في معركة سبيبة قرب القيروان، بها داران لصناعة السفن، وبها مرسى كبير يقصده التجار من مختلف المناطق، كما أنها كثيرة الفواكه والثمار. مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، صص128-130.

[8] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص230.التنسي، المصدر السابق، ص129.

[9] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص26.

[10] وهو من بني زردال، وهي من بطون بني يادين إخوة بني عبد الواد، وقد اختلطوا بهم نظرا لقلة أعدادهم وصاروا منهم، نشأ في كفالة موسى بن علي الكردي، واشتهر بكفاءته القتالية خصوصا في حصار تلمسان على يد أبو الحسن المريني، وبعد سيطرته عليها اتخذ سياسة الجمع بين القبيلين

إلا أحرقه"[1] وفي محاولة استباقية بعدما أدرك أبو حمو عدم تكافؤ القوة بينه وبين المرينيين عمد إلى الخروج من تلمسان عقب تحركهم من تاوريرت إلى تلمسان للسيطرة عليها، إلا أن وجهته كانت إلى أراضي المغرب حيث حدد أهداف يقوم بشن غارات عليها وتخريبها حتى يثني أبو سالم المريني عن السيطرة على تلمسان، وهو ما يفهم من تصريح صاحب زهر البستان في وصفه توجه الجيشان كل لوجهته فكان خروج أبو حمو للتخريب كما يقول "هذا قاصدا للتمهيد وهذا قاصدا لتخريب والتنكيد"[2] وكانت قرية أجرسيف هدفا سهلا له بضعف حاميتها، فقام بحرقها "فأمست رميما"[3]، ويفسر ابن خلدون هذا الفعل بحقد من أبو حمو الثاني على ونزمار بن عريف جعله يقدم على تخريب قريته[4] كما دخل على وطاط وملوية "وخربوا عمرانها"[5] وعاد لنفس الوجهة سنة 766هـ/1364م التي حل فيها بكرسيفودبدو وعاث فيهما تخريبا لعمرانها[6].

خلاصة القول أن الحرب لم تكتفي بترك بصماتها على الجانب المادي خلال الفترة مدار الدرس، بل غاصت في غياهب النفس البشرية وألقت بظلالها على نفسية الإنسان في المغرب الأوسط، فعاش وسط دوامة عنوانها الخوف المتجدد من عدة هواجس، سواء خوف من القتل أو من الأسر بل وحتى خوف من الجوع، فكان لهذا الشعور سلوكيات ترجمت كمحاولة منه للحد من هذه التخوفات، فرأينا أن الساكنة حاولت تأمين أغذيتها تحسبا للحصار، كما ركنت إلى سلطة رأت فيها جانبا كبيرا من تحقيق نوع من الاطمئنان النفسي، إنها سلطة الولي الصالح الذي سخر حياته للوقوف مع الساكنة في مواجهة تحديات العصر، فرأينا أن الساكنة رأت فيه السلطة الروحية الكفيلة بالوقوف في وجه السلطان وتحديه؛ كما رأينا شيوع ذهنية تعبر عن احتقان وتعطش وصل للرغبة إلى تخريب كل ما يمت بصلة للعدو أو الخصم، وترجم هذا الشعور في حالات تخريب العمران العسكري والمدني التي رصدناها.

ليكون رئيس زناتة بدل رئيس بني مرين فقط، وعلى هذا الأساس انتقى خيار رجال بني عبد الواد وكان عبد الله بن مسلم شائع الذكر، فأرسله إلى درعة لقتال العرب، وبعد وصول أبي عنان المريني للحكم عينه حاكما عليها، ولما أحيا أبو حمو الثاني الدولة الزيانية لجأ إلى قبائل المعقل الذين أوصلوه لأبو حمو ومعه الكثير من المال والأتباع وقلده الوزارة. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، صص165-166.

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص82.

[2] نفسه، ص103.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج2، ص73.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص413.

[5] نفسه، ج7، ص167.

[6] نفسه،ج7،ص171.

ثانيا: الحرب والقتل:

من المرجح أن التصور الذهني لمصطلح الحرب يحيل مباشرة على القتل باعتبار أن للحرب وظيفة تدميرية تطال الإنسان قبل أن تنتقل عدواها إلى العمران، وبذلك فإن الجانب الديموغرافي يعتبر أولى المجالات وأكثرها تضررا من الحروب، باعتبار أن الإنسان محورها فيقتل ويقتل، زيادة على ذلك فإن ضريبة فقد الإنسان تعتبر باهظة بالنظر إلى طول عملية نموه إلى أن يصبح جاهزا للقتال، وهو ما أطلق عليها أحد الباحثين بعملية الاسترخاء الديموغرافي معتبرا أن الحرب تولد وضعا يتميز بكثرة الوفيات جراء القتل الفردي والجماعي، مع انخفاض في نسبة المواليد نتيجة قلة الرجال[1]، وهو وضع عانت منه السلطة الزيانية ممثلة في قبيلة بني عبد الواد التي كانت تعاني نقصا ديمغرافيا فادحا، ولم يقتصر القتل فيها بل طال كل القبائل التي كانت طرفا في الصراع، إلا أن التأريخ للانعكاسات الديمغرافية تعترضه مطبات عدة في ظل غياب شبه التام لثقافة الرقم في المصادر التي غلبت عليها النصوص الانطباعية[2] وهو ما يصعب كثيرا من مهمة الباحث في الإلمام السليم بحيثيات هذا الجانب، لذلك لا يمكننا والحال هذه الخروج عن طابع الوصف[3] بحكم أن تقديم أي رقم ولو كان تقريبيا لا يخلو من مجازفة[4]، وهو ما سنتطرق إليه عبر تخصيص فئات القتل بين الفردي والجماعي:

1-القتل الفردي:

أ-أمراء بني عبد الواد:

أثارت ظروف موت عثمان بن يغمراسن العديد من التساؤلات المتعلقة أساسا بأسباب موته، هذا إذا كان موتا طبيعيا، خصوصا وسط الظروف الصعبة التي عاشتها تلمسان في ظل الحصار المريني المفروض عليها، ويقف الباحث عاجزا أمام إعادة نسج خيوط القضية وتركيبها ليصل إلى نتائج تكون أقرب للصحة، خصوصا مع ندرة المعلومات حول الأوضاع العامة داخل البلاط الزياني، إلا أننا نقدر حجم الضغط الذي تعرض له عثمان الذي كان وجها لوجه أمام العديد من المشاكل، فمن جهة كان عليه الوقوف على التحصينات ومرافقة الجيش للدفاع عن المدينة، ومن جهة أخرى تهاوت عليه شكاوى العامة بسبب تعرضها لمجاعات قاتلة،

[1] حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، ص311.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ص72.

[3] حميد تيتاو، نفسه، ص311.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1998، ص54.

وهي مشاكل لا نشك في انعكاساتها السلبية على نفسيته خصوصا أنه وقف عاجزا أمامها في ظل شح الإمكانيات وضعف المعنويات.

ذكر عبد الرحمن ابن خلدون رواية نقلها على شيخه الآبلي[1] الذي كان يشتغل قهرمانا بالبلاط الزياني، وهي رواية تفيد أن عثمان بن يغمراسن لم يمت موتا طبيعيا وإنما انتحر، حيث ذكر أنه استحم وبعد خروجه عطش فطلب كأس لبن وشربه لينام بعدها وتفيض روحه، ويواصل حديثه بقوله "وكنا نرى نحن معشر الصنائع أنه داف فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم إياهم"[2] وهي رواية مهمة باعتبارها صادرة عن موظف عمل داخل البلاط الزياني، فضلا عن ذلك أنه عارف بالعلوم العقلية، إلا أنه مع ذلك يقف الباحث عاجزا أمام تفنيدها أو ترجيحها خصوصا أن الكتابات حول الحصار الطويل جد شحيحة، لكن ثمة تساؤلات يجدر بنا إثارتها وجلها متعلقة عن كيفية توصله أن عثمان أضاف السم إلى اللبن؟ وأي نوع من السم؟ وكيف حصل عليه؟ للأسف تساؤلات في غاية الأهمية تقف المصادر المتوفرة عاجزة عن الإجابة عنها. ونجد أن المقريزي سار في نفس الاتجاه حول ظروف موته حيث صرح أن اللبن الذي شربه ونام كان يحتوي سما "لما هو فيه من شدة الحصار"[3].

المتمعن في التاريخ السياسي للغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة لا يخفى عنه حديث المصادر عن كثرة عمليات الاغتيال في البلاطات، والتي كان الحكام أولى ضحاياها، في ظاهرة وسمها أحد

[1] محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الشهير بالآبلي، أصله من أبلة الأندلسية، ولد سنة 681هـ/1281م تتلمذ على ابني الإمام وأبي الحسن التنسي، ارتحل أواخر القرن السابع للهجرة إلى المشرق حيث زار مصر والشام والعراق والحجاز، إلا أنها رحلة لم تصقله من الناحية العلمية، حيث لم يتمكن من ذلك بسبب شربه الكافور الذي غيب عقله، فأدى فريضة الحج ورجع إلى تلمسان، برع في العلوم العقلية والحساب، وهو ما جعل الأمير أبا حمو موسى الأول يطلبه للعمل في ديوان الجباية، فرفض ذلك وفر إلى فاس ولجأ إلى شيخ التعاليم خلوف اليهودي وتتلمذ على يديه في هذا العلم، كما لازم ابن البنا وأخذ عنه العلوم العقلية والتعاليم، يعتبر من أبرز شيوخ عبد الرحمن بن خلدون، اشتغل بالتدريس وارتاد بلاط أبي الحسن المريني، وحضر معه وقعتي طريف والقيروان، توفي بفاس سنة 757هـ.أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج1، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989،صص411-413.أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب،ج5، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص244.بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2004، ص241.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7،ص127.

[3] تقي الدين المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج3، تحقيق وتعليق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002، ص483.

الباحثين بالتاريخ الدموي في بلاد المغارب[1] وهو ما حدث مرارا وتكرارا في البلاط الزياني، ونجد أن تاريخ منصب الحاكم الزياني تميز بمقتل معظم من تداول عليه، سواء في وقائع عسكرية أو عمليات مدبرة[2] وحتى بطرق عنيفة[3]. فقد خيمت على ظروف اغتيال أبي حمو موسى الأول مسببات عدة، لعل أكثرها أسرية بسبب العلاقة السيئة التي جمعته بابنه أبي تاشفين الأول، فالأب كان يسب ويشتم ابنه أمام الملأ وهو ما جعل شعوره نحو والده يتسم بالكراهية[4] جعلت هذا الأخير يحقد عليه ليترجم هذا الشعور بالحقد والاحتقان إلى عملية اغتيال في وضح النهار.

لكن إذا فككنا النصوص جيدا نجد أن الأعلاج كانوا وراء عملية الاغتيال هذه، أما السبب في ذلك فيعود حسب ابن خلدون إلى شدة أبي حمو الأول "فكان أولئك العلوجيين على رهب منه"[5]، فاستغلا توبيخه لابنه أمام الملأ والحط من قيمته أمام مشيخة بني عبد الواد، خصوصا أنه كان يرى في برهوم ابن عم والده منافسا له بحكم اصطفائه بالمشورة وإجزال العطايا والصلات له، فأدرك الأعلاج هذه الهوة بين الوالد وابنه، وحجم الاحتقان والضغط الذي كان يعيشه أبو تاشفين والانهزامية التي كان يشعر بها، فاستغلوا ذلك وزادوا في تعبئة نفسيته وتعمدوا استفزازه بحديثهم الدائم أمامه عن مكانة برهوم في بلاط والده، حتى أغروه بضرورة عزل والده مع مساندتهم له، لكنهم لم يعلنوا له أنهم سيقتلونه، وأقنعوه بأن العملية الانقلابية هدفها حجز أبي حمو الأول فقط، ونفذت العملية وراح ضحيتها أبو حمو الأول خلافا لما اتفق عليه[6].

تأكيدا لما قلناه عن المصير المحتوم لأمراء الدولة الزيانية المتمثل في القتل أو الانتحار، نفس التخريج نسقطه على أبي تاشفين الذي أثخن بالجراح أمام قصره وقطع رأسه[7]، وواجه أبو سعيد نفس المصير، فبعد انهزامه في

---

[1] محمد ياسر الهلالي، اغتيال السلطان يوسف بن يعقوب المريني: قراءة في نصوص تاريخية ومنقبية لحادثة المنصورة، ضمن كتاب التاريخ والفقه: أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني، تنسيق محمد حجي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002، ص259.

[2] بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، دار الغرب، وهران، 2003، صص163-164.

[3] حسيبة عمروش، انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)، أطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2017-2018، ص93.

[4] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ص17.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص140.

[6] عبد الحميد حاجيات، نفسه، ص17.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص341.القلقشندي، المصدر السابق،ج5، ص198.السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص788.بينما ذكر الصفدي أنه قتل وهو على ظهر جواده وبعدما قطع رأسه طيف به في دروب تلمسان ثم دفن.صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج3، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1998، ص47.

معركة أنكاد غير ثيابه وارتدى أسمال بالية وفر من أرض المعركة إلا أن المرينيين قبضوا عليه[1]، ونفس الرواية نجدها لدى أخيه عبد الرحمن فقد ذكر أنه بعد انهزامهم " منحوا أكتافهم وخاضوا بحر الظلماء"[2] إلا أن التنسي ذكر رواية أخرى تفيد أنه قبض عليه في أرض المعركة بعدما كبت به فرسه[3]، وكيفما كان الأمر فقد انتهى به الحال في قبضة أبي عنان الذي وبخه ببلاطه أمام جلسائه وأهل الفقه الذي استصدر منهم فتوى بقتله وكان له ذلك، وذبح بعد تسع ليالي من سجنه[4]، وسجلت المصادر محاولات لأمراء الدولة الانسحاب من أرض المعركة والتواري عن الأعين باعتبار أن الأمير يكون أول مبحوث عنه إلا أن الحظ لم يحالف البعض منهم مثلما كان الحال مع الأمير أبو ثابت الذي تمكن من الفرار إلا أن صاحب بجاية أرسل الجواسيس في طلبه وتقبض عليه ليرسله إلى أبي عنان[5] الذي لم يقتله بل سلمه لبني جرار ليثأروا منه جراء مقتل عمران وعثمان[6]. وعرف أبو حمو الثاني نفس المصير، ففي إحدى معاركه مع المرينيين الذين ساندوا ابنه أبا تاشفين الثاني الخارج عليه سقط عن فرسه ليقطع رأسه أحد فرسان الجيش المريني "وجاءوا برأسه إلى الوزير ابن علال وأبي تاشفين"[7] لينتهي بذلك صراعهم المرير الذي كلفهم ثلاثين سنة وهم يحاولون القضاء عليه ولم يتمكنوا من ذلك إلا بتواطؤ ابنه معهم[8].

كما عرفت نهاية القرن الثامن والقرن التاسع اغتيال العديد من سلاطين الدولة الزيانية، فلم يبلغ أبو الحجاج بن أبي حمو عشره أشهر على اعتلائه سدة الحكم حتى قتله أخوه أبو زيان[9]، وعرف هذا الأخير المصير نفسه سنة 805هـ/1403م أين قتل على يد محمد بن مسعود الوعزاني[10]، وتعرض السلطان أبو محمد عبد الواحد لنفس المصير أين قتل سنة 833هـ/1430م على يد أخيه محمد بن أبي تاشفين الثاني[11].

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص264.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص161.
[3] التنسي، المصدر السابق، ص154.
[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص381.
[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص265.
[6] التنسي، المصدر السابق، ص156.
[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص195.
[8] حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مجلة عصور الجديدة، العدد2، جامعة وهران، 2011، ص150.
[9] التنسي، نفسه، ص210.
[10] نفسه، ص228.
[11] الزركشي، المصدر السابق، ص129.

ب–موظفو السلطة ووجوه البيت العبد الوادي:

كان وزراء الدولة في مقدمة الجيش لخوض مختلف المواجهات العسكرية وبالتالي لم يكن القتل في صفوف الجنود فقط، فقد خلّف الحصار الذي ضرب على وهران سنة 636هـ/1239م مقتل وزير يغمراسن عموش بن مجن الذي شدخه حجر المنجنيق[1]، وهو من بني مجن[2]، ويعتبر بذلك يمثل مقتله خسارة كبيرة في دولة ناشئة بحاجة ماسة إلى كل فرد خاصة إذا كان من ذوي العقل والعلم كعموش الذي لم يحظى بالوزارة[3] إلا لصفات معينة توفرت فيه دون غيره أهلته لتبوأ هذا المنصب، ولم تكن المواجهات العسكرية مع الخصوم القناة الوحيدة لفقدان وجوه الدولة، بل حتى في المواجهات الثأرية التي وقعت داخل قبيلة بني عبد الواد، مثلما كان الحال مع مقتل وزير آخر من نفس البيت سنة 753هـ/1352م ويتعلق الأمر بيحيى بن داود بن علي بن مجن، حيث تم ذلك على يد بني جرار العبد الواديين في قضية ثأر تعود حيثياتها لسنة 749هـ/1349م[4].

استنزاف وجوه بني عبد الواد في المعارك كثيرا ما أرق السلطة الزيانية، لاسيما أنها كانت بحاجة ماسة لهم في إدارة العمالات وقيادة الأجنحة في الجيوش، فكانت كل معركة تنشب إلا ويخسر فيها بني عبد الواد خيرة فرسانهم ووجوههم، على غرار عبد الملك بن حنينة العبد الوادي حاكم سجلماسة، وهو ابن أخت يغمراسن، والذي قتل سنة 672هـ/1274م[5] عقب اقتحام المرينيين لها، كما قتل معه الفارس العبد الوادي يغمراسن بن حمامة[6]، فضلا عن مقتل كبير القرابة محمد بن يوسف بن عنان في معركة وهران سنة 749هـ/1349م[7].

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص226.

[2] من قرابة بني عبد الواد، يشتركون معهم في نسب محمد بن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله، ولمحمد أربعة أولاد أكبرهم يوسف، وهو جد جابر بن يوسف أول شيوخ بني عبد الواد في الربع الأول من القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلاد، ومن ولده أيضا زيان بن ثابت وكل أمراء الدولة الزيانية تنحدر منه وهو سبب تغيير اسم الدولة من العبد الوادية إلى الزيانية، وقد استعملهم يغمراسن في وظائف الدولة، فقد كان الزعيم حاكم مستغانم، ورغم خلاف يغمراسن مع يحي بن مكن وابنه الزعيم وانضمامها إلى المرينيين، إلا أن النعرة القبلية والحنين لبني عبد الواد راودهم فعادوا مجددا لحضن يغمراسن.عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص118.

[3] يبدو أن عموش كان وزير تفويض بحكم أنه قتل في معركة ما يوحي بمشاركته في حملة عسكرية، وهي من بين اختصاصات وزير التفويض، لأن الدولة في بداياتها كما يقول ابن خلدون أنها تحتاج لأرباب السيوف أكثر مما تحتاج لأرباب الاقلام.لسان الدين بن الخطيب،الإشارة إلى أدب الوزارة، دراسة وتحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص88،48.عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص442.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص265.

[5] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص312.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص250. وقد اختلف في سنة الواقعة مع ابن أبي زرع الذي ذكر وقوعها سنة 672هـ/1274م وابن خلدون 673هـ/1275م

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص156.

كما كانت كل عملية اغتيال تنفذ ضد سلطان إلا وتكون حاشيته ضحية لهذا الاغتيال، فقد قتلت مع أبي حمو الأول بطانته المكونة من عدة وزراء وموظفين في البلاط، نخص بالذكر منهم أبا سرحان، ووزراء بيت بني الملاح وهم الحاجب محمد بن ميمون الملاح، وابنه محمد الأشقر، وعلي بن عبد الله بن الملاح، ومن بني عبد الواد مسعود القتيل وحماموش بن عبد الملك بن حنينة، ومسعود بن أبي عامر، ومن الموالي معروف الكبير بن أبي الفتوح الذين قتلوا في عملية الانقلاب [1].

على أن الحزازات والتنافس بين النخب السياسية انجر عنه محاولة كل خصم الفتك بالآخر في إطار سباق الحظوة، فقد تميز عهد الأمير أبي تاشفين الأول بصعود نخب سياسية وعسكرية جديدة على الساحة السياسية، وأبرزهم العلج مسامح الذي كان أحد أبرز رجالات تنفيذ عملية الانقلاب، لكنه قتل سنة 723هـ/1323م بإفريقية، وكان موته مثار شك لدى أبي تاشفين الذي اتهم قائد الجيش موسى بن علي الكردي بقتله[2].

وكان موظفوا البلاط كثيرا ما يكونوا عرضة للقتل بسبب الصراعات التي نشبت بين أفراد الأسرة الحاكمة، فقد راح ضحية الاصطفاف بين أبي حمو الثاني وابنه عدة وجوه من البلاط الزياني، على غرار موسى بن يخلف الذي ساند أبا تاشفين الثاني، واستغل خروج أبي حمو بجيشه من تلمسان وسيطر عليها، لينتهي به المآل في قبضة أبي حمو الثاني الذي "أذاقه أليم عقابه ونكاله، وأمر به فقتل أشنع قتلة"[3].

ونسجل أيضا وقوع ضحايا خلال فترات الحصار التي فرضت على تلمسان فقد خلف حصارها من طرف المرينيين سنة 737هـ/1337م سقوط عدة قتلى، ففي المواجهات التي كانت تنشب بين الفينة والأخرى قتل فيها محمد بن سلامة زعيم بني يدللتن[4]، كما حصد الخندق الذي نصبه المرينيون قبالة مدخل تلمسان علية القوم من قادة الجيش الزياني على غرار عمر بن عثمان كبير الحشم، وقائد الجيش موسى بن علي الكردي، كما قتل عبد الحق بن عثمان الحفصي رفقة ابنه وابن أخيه[5]، إضافة إلى مقتل الفارس عنان بن نصر من بني

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، صص140-141.
[2] نفسه، ج7، ص143.
[3] نفسه، ج7، ص195.
[4] نفسه، ج7، ص217.
[5] نفسه، ج7، ص341.يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص243.التنسي، المصدر السابق، ص146.

يدللتن[1]. ولم يقتصر الأمر على النخبة السياسية، بل طال حتى النخب العلمية، فقد قتل في هذا الاقتحام إبراهيم بن حكم الكناني السلوي[2].

كما لاحق القتل بعض موظفي الدولة في إطار بعض المحاولات الانقلابية من طرف بعض الفرق العسكرية، وثمة ما يشير إلى ذلك بخصوص مقتل الفقيه أبي محمد غالب بن غالب كاتب الإنشاء في بلاط يغمراسن، الذي قتل يوم ثورة النصارى سنة 652هـ/1254م[3]، حيث كان ضمن موكب يغمراسن الذي خرج إلى باب القرمادين لاستقبال الجنود[4]، إضافة إلى حمزة بن علي بن راشد المغراوي حليف أبي حمو الثاني، الذي قتل سنة 771هـ/1370م على يد الوزير المريني أبي بكر بن الغازي بن الكاس[5]، كما عرفت السنوات الأخيرة لحكم أبي حمو الثاني عدة اضطرابات داخل البلاط الزياني بسبب التنافس على ولاية العهد بين أبنائه، وفي هذا الإطار قتل علي بن عبد الرحمن بن الكليب على يد أبي تاشفين الثاني سنة 788هـ/1386م بعدما وصلته أخبار عن وجود أحمال من المال لأبي حمو الثاني كانت مودعة لديه[6]، وقتل أيضا محمد بن عبد الله بن مسلم الزردالي وزير أبي تاشفين الثاني[7] ونسجل أن نفس الممارسات تواصلت في القرن التاسع، حيث انتهت ثورة أحمد بن الناصر العبد الوادي سنة 850هـ/1447م بمقتله بعدما وقع في قبضة السلطان أحمد العاقل[8]، ونفس المصير لاقاه محمد بن غالية العبد الوادي بعد ثورته سنة 866هـ/1462م[9].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص219.

[2] شهر باسم والده أبي إسحاق، برع في العلوم الدينية، ينحدر من المغرب الأقصى، وارتحل إلى تلمسان بعد سنة 720هـ/1320م واستقر بها لما يزيد عن خمسة عشر سنة، يبدو من خلال المسألة الأدبية التي نقلها عنه ابن القاضي أنه كان على باع كبير في الأدب، فقد سئل عن معنى البيتين التاليين:

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلنا بالرقمتين

كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

فأجاب أن المقصود من نظره للقمر هو نظره لعينها ومن كثرة صفائها رأى القمر فيه. أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص41. ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال،ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س، ص178.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص226.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص113.

[5] نفسه، ج7، ص178.

[6] نفسه، ج7، ص192.

[7] نفسه، ج7، ص194.

[8] التنسي، المصدر السابق، ص253.

[9] نفسه، ص258.

ج–أبناء الأمراء:

تعرض الكثير من أبناء الأمراء إلى القتل خصوصا في ساحات القتال، وثمة العديد من النصوص التي سنوردها، فقد حصدت سيوف بني مرين رأس ابن يغمراسن أبي حفص عمر سنة 666هـ/1268م، وهو كبير ولده وولي عهده[1]، ولا شك أن مقتله فتّ في عضده، كما رفع معنويات المرينيين بحكم أنهم تمكنوا من ابن غريمهم، وهنا يمكن اعتبار عملية القتل في الحروب يتباين حجم قيمتها السياسية والمعنوية بالنسبة للسلطة، من باب أهمية كل شخص يقتل ما إذا كان من علية القوم أم من أبسط جنودها، ولم تكن هذه المواجهة الوحيدة التي يتكبد فيها يغمراسن بفقد ابنه، إذ لم تمر عليه أربع سنوات حتى تجددت مواجهته مع المرينيين ليقتل في المعركة ابنه فارس[2].كما نجم عن اقتحام الجيش المريني لتلمسان مقتل ابني أبي تاشفين الأول أمام قصر المشور[3]، ويتعلق الأمر بكل من عثمان ومسعود[4].

كما كان القتل مصير العديد من وجوه السلطة خاصة في فترة ما بعد أبو حمو الثاني، فق طال القتل العديد من أبناءه سنة 789هـ/1387م وكان ذلك على يد أخيهم البكر أبي تاشفين الثاني، حيث تم ذلك في إطار الصراع الأسري على السلطة[5]، وفي نفس الإطار قتل بعدها بسنة كل من أبي زيان ابن أبي تاشفين الثاني[6]، كما قتل عمير ابن أبي حمو الثاني على يدي أخيه أبي تاشفين، وذلك بعدما وقع في قبضتهم عقب معركتهم الخاسرة معهم[7]، ونفس المصير لاقاه يوسف بن أبي حمو الثاني على يد أخيه أبي زيان[8].

د–وجوه حركات المعارضة:

تواصلت عملية تصفية الحسابات والقضاء على المعارضين من داخل بيت بني عبد الواد عقب مقتل أبي حمو الأول، فكان الدور على محمد بن يوسف خال أبي تاشفين الأول، ورغم أنه رفض أمر والده بالقبض عليه، إلا أن المعطيات تغيرت لما اعتلى سدة الحكم، فلم تصبح للقرابة أي معنى مقابل معارضة السلطة، فقبض عليه

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص239،117. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص305.ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص66.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص115 ،244.ابن أبي زرع، نفسه، ص310.

[3] نسبه بارجيه اسم هذا القصر إلى التشاور والمشورة. Bargés, Tlemcen Ancienne Capitale du Royaume de ce nom, imprimerie orientale demauricenicolas, paris, 1859,p186

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص341. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص243. التنسي، المصدر السابق، ص146.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص192.

[6] نفسه، ج7، ص194.

[7] نفسه، ج7، ص195.

[8] نفسه،ج7،ص483.

"وجيء به إلى السلطان أسيرا وهو في مركبه، فعدد عليه ثم وخزه برمحه، وتناوله الموالي برماحهم فأقعصوه، وحمل رأسه على القناة إلى تلمسان، ونصب بشرفات البلد"[1].

كما شهدت عملية إحياء الدولة سنة 749هـ/1349م مقتل عدة معارضين للسلطة من داخل بيت بني عبد الواد في العديد من المواجهات العسكرية، فقد حدث شقاق داخل القبيل، وذلك بخيانة عمران بن موسى بن جرار الذي انضم لأخيه عثمان بن جرار بتلمسان، وقد قتل في المعركة التي جرت بينهما بأسكاك[2]، أما عثمان فاختلفت الروايات بشأن مقتله من عدمه، فقد ذكر يحي ابن خلدون أنه استأمن على نفسه وكان له ذلك[3]، أما صاحب العبر فقد ذكر رواية أخرى تفيد إرسال أبي سعيد وأبي ثابت الجنود في البحث عنه، أين عثر عليه في إحدى زوايا القصر وأدخل المطبق ثم سرب له الماء في الحجرة التي كان فيها ومات غرقا[4]، وهي عملية اغتيال بعيدة عن إثارة الشكوك، لأنه لو صدر أمر بقتله سيتواصل الانقسام في بيت بني عبد الواد، ويبدو أن الموسم كان موسم أمطار وهو ما يجنب أي جدل حول سبب مقتله.

هـ-قتلى الجهة الغربية:

على أن القتل لم يقتصر على الجانب الزياني ومن سار في فلكه فقط، فقد سجلت لنا بعض المصادر عن سقوط كل من موالي السعيد الموحدي ناصح والخصي عنبر، كما قتل أيضا قائد جند النصارى الموحدي أخو القمط، وذلك في المواجهة التي جمعت بين يغمراسن والسعيد قرب تامزيزدكت[5]، وإذا كان مصيرهم هبرة سيف أو طعنة برمح، فإن السعيد لم يكتفى بقتله، بل احتز رأسه وقدم ليغمراسن الذي كان قد عاهد والدته سوط النساء[6] أن يأتيها برأسه عقب أن دعته لطاعة السعيد[1].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7،صص142-143.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، صص253-254.

[3] نفسه، ج1، ص254.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص372.

[5] قصر يقع على جبل بين تلمسان والمغرب، كان أمراء السلطة الزيانية يلجأون إليه كثيرا في حالة تعرض تلمسان لهجمة أو حصار، فهذا الموقع كان بمثابة حصن دفاعي يخول لهم تنظيم هجمات خاطفة على الجيش المريني الذي كان مضطرا في كل حركاته إلى تلمسان أن يمر على هذا الموقع، وما زاده أهمية إحتوائه على منبع هيدروليكي يتمثل في نهر التافنة الذي يمر عليه ويمكن بذلك مرتاديه من الحصول على المياه، إلا أنه في أواخر عهود الدولة سيطرت عليه القبائل العربية وتدهورت حالته كثيرا وتحول إلى اصطبل ومخزن لحبوبهم. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، صص11-12.

[6] من الغريب أن تتوسط لابنها لدى أبي زكريا سنة 639هـ/1242م ليتركه على حكم تلمسان ثم تدعوه بعد ست سنوات لطاعة السعيد الموحدي، فإما أن الرواية الأولى المتعلقة بتوسطها لدى أبي زكريا نراها صعبة التصديق خصوصا إذا علمنا أن ابن عذارى المراكشي لم يتطرق أبدا

طال القتل أيضا وجوه من بني مرين في المواجهات اللّاحقة التي جمعت بين الغريمين، ومن بين أبرز قتلاهم في معركة إيسلي أربعة من خيار فرسانهم وهم علي بن جدار الونجاسني، وعثمان البياضي، ويوسف الشيطان، وعيسى بن ماسين[2]. وشهدت أيضا معركة تيعزيزن مقتل الناصر بن أبي الحسن المريني[3]، وقائد أساطيله محمد بن علي بن العزفي، وصاحب أشغاله بركات بن حسون البواق وكاتبه علي بن القبائلي[4]، وقتل العديد من وجوه حلفائهم، لعل من أبرزهم شيخ قبيلة عريف عثمان بن ونزمار بن عريف سنة 759هـ/1359م[5]، وعامر بن ماساي الحاكم المريني على وهران الذي خرج لمواجهة المعقل حلفاء أبي حمو الثاني "فعندما لقيهم كان أول قتيل، فحزوا رأسه وحملوه إلى المولى أبي حمو الملك الجليل، فكان موته على بني مرين أعظم الضراء، وعند المولى أبي حمو من أجمل السراء"[6]، إضافة إلى مقتل أحد كبار فرسانهم وهو علي بن مسعود الونجاشني في مواجهة مع أبي حمو الثاني سنة 759هـ/1359م[7]، ومنصور بن خلوف الياباني الذي قتل على يد الفارس العبد الوادي علي بن أبي عدى سنة 761هـ/1361م وقطع رأسه وأرسل لأبي حمو الثاني[8]، إضافة إلى أحمد بن رحو أمير المعقل الذي "كبا به فرسه وقطع رأسه"[9].

و–وجوه القبائل الداخلية:

أفضت سياسة التفرقة التي سعى عثمان بن يغمراسن على بثها في صفوف قبيلة بني توجين إلى نشوب عدة مواجهات بين أفراد هذه القبيلة، وقد كان جهده مركزا في التحريض على شيخهم إبراهيم بن زيان لأنه سار فيهم سيرة حسنة، بدليل أن عبد الرحمن ابن خلدون ذكر أنه لم يلي أمر توجين أفضل من إبراهيم، وكانت سياسته ناجحة فيهم حيث اغتيل بالبطحاء على يد زكراز بن أعجمي بعد سبعة أشهر من توليه مشيخة

للدور النسوي في هذه الوساطة، وحتى أحد الباحثين فند ذلك معتبرا أن أبا زكريا لا يمكن أن يعود أدراجه بمجرد توسط والدة يغمراسن، أما الرواية الثانية التي انفرد بها التنسي فلا يمكننا في غياب مصادر أخرى للمقارنة غير التسليم بها مع تفنيد الأولى. فوزية كرزاز، دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص52.

[1] التنسي، المصدر السابق، ص119.

[2] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص133.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص159.التنسي، نفسه، ص153.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، صص261–262.

[5] نفسه، ج2، ص21.

[6] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص60.

[7] نفسه، ص45. يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص24.

[8] مؤلف مجهول، نفسه، ص111. يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص75.

[9] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص170.

القبيلة، وكان مصير سلفه القتل أيضا، فابن سيد الناس قتل على يد أخيه موسى، وهذا الأخير تهاوى في إحدى معاركه من حصن ومات، وخلفه ابن أخيه عمر الذي اغتيل على يد أولاد عمه زيان بعد أربع سنوات من حكمه[1]، أما بنو يدللتن الذين هم بطن من توجين، فقد دخلوا في حروب مع عثمان بن يغمراسن، أفضت في إحداها إلى مقتل زعيمهم يغمراسن بن سلامة[2].

أما مغراوة فقد أدت الاغتيالات التي وقعت داخل القبيل إلى تمكن يغمراسن من التحكم فيهم، فقد قتل محمد بن منديل على يد أخويه ثابت وعابد، وقتل معه ابن أخيه عطية بن منيف، فكانت فرصة سانحة ليغمراسن دعم فيها عمر بن منديل الداخل تحت طاعته[3] .كما أفضى الصراع على تولي وجوه القبيل ولاية العمالات إلى نشوب صراعات أفضت إلى حدوث عدة اغتيالات داخل البيت المغراوي، على غرار ما تعرض له عمر بن ويعزن بن منديل الذي اغتيل على يد راشد حفيد ثابت بن منديل بسبب تفضيل يوسف بن يعقوب له ومنحه ولاية شلف[4]، كما لم يتحمل علي بن راشد هزيمته على يد أبي ثابت فذبح نفسه حتى لا يقع في ربقة الأسر[5]، وتعرض ابنه حمزة لنفس المصير، فقد جر عليه خروجه عن المرينيين إلى مقتله[6] وتواصل هذا الصراع في فترة أبي حمو الثاني، الذي اقتحم أراضيهم وقتل رحمون بن هارون بن منديل المغراوي خنقا سنة 774هـ/1372م[7].

كما اعتقل شيخ بني عابد الكوميين[8] إبراهيم بن عبد الملك بعد محاولته الانفصال عقب الفتنة التي جرت داخل بيت بني عبد الواد، وكان مصيره القتل بعد ملازمة السجن عدة شهور[9]، والملاحظ في زعماء حركات المعارضة ضد السلطة الزيانية كلهم انتهى مصيرهم بالقتل، فالخروج عن السلطة اعتبر ذنبا لا يغتفر لا مصير له

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، صص210-211.

[2] نفسه،ج7، ص216.

[3] نفسه، ج7، ص89.

[4] نفسه، ج7، صص90-91.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص263.عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص94. التنسي، المصدر السابق، ص153.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص95.

[7] يحي ابن خلدون، نفسه،ج2، ص262.

[8] هي قبيلة عبد المؤمن بن علي، عرفت باسم قبيلة صطفورة، تنقسم إلى ثلاثة بطون: بنو يلول، صغارة،ندرومة، تميزت في العهد الموحدي بكثرة أعدادها باعتبارها عصبية السلطة الموحدية، إلا أنه مع توالي فترات الدولة الموحدية تناقصت أعدادهم بسبب الحروب والصراعات العسكرية في بلاد المغارب والأندلس، فنقصت تعدادهم كثيرا وتراجعت شوكتهم، إلى أن أصبحت من القبائل الغارمة في العهد الزياني، ولم تحفظ لنا المصادر من عشائرهم المتبقية سوى بني عابد وبني سنوس.بوزياني الدراجي، المرجع السابق،ج1، ص139.

[9] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص156.

سوى التخلص من رؤوس الفتنة، فكما تطرقنا آنفا حتى الأمان الذي منحوه لبعض المعارضين لم يكن سوى مناورة هدفها القضاء على الفوضى، واعتقل أيضا ابن أبي يحيى بن موسى شيخ بني راشد سنة 768هـ/1368م وقتل في السجن بعدما اتهمه أبو حمو الثاني بخيانته مع بني مرين[1]، وبنفس التهمة قبض أيضا على وزرائه بحجة اتهامهم بمداخلة غريمه خالد بن عامر "فأودعهم السجن وذبحهم ليومهم حنقا عليهم"[2].

وتمكن أبو تاشفين الثاني سنة 777هـ/1376م من قتل عدة وجوه من بني عامر حلفاء أبي زيان بن أبي سعيد، وهم عبد الله وملوك ابني سقير بن عامر، والعباس بن موسى بن عامر، ومحمد بن زيان الولادي[3]، ليتفرغ بعدها لسالم بن إبراهيم شيخ الثعالبة، حيث انتهى به الأمر في قبضة أبي حمو الثاني الذي أخرجه بساحة تلمسان أمام العامة " وقتل قعصا بالرماح، ونصب شلوه مثلا للآخرين"[4].

2-القتل الجماعي:

عانت الجيوش والساكنة من ويلات الحرب الدائرة رحاها بين مختلف الأطراف المتنازعة، والتي كان كل واحد منها يحاول قدر جهده في إخضاع الآخر، في جو عام يطبعه الصراع العسكري، بما يحيل عليه من تكبد خسائر بشرية بسبب القتل المستشري، وإذا كانت الجيوش بطبيعة الحال تعتبر المتجرع الأول للخسائر البشرية في المقاتلين، فإن هذا الأمر لم ينحصر في ساحة القتال، وطال حتى ساكنة المدن بسبب حالات الحصار التي تنتهي غالبا باقتحام المحاصر وعيثه فيهم بالقتل:

تكبدت قبيلة بني عبد الواد خسائر جمة فتّت في عضدها، فقد جر انهزام يغمراسن سنة 647هـ/1249م وقوعهم فريسة بين سيوف المرينيين الذين قتلوا الكثير منهم ومن مشاهير فرسانهم[5]، ليتكرر المشهد في معركة إيسلي سنة 670هـ/1272م حيث وقع القتل في العديد من الشرائح المشاركة في المعركة، فبالنسبة للمرتزقة النصارى فقد قتلوا جلهم، بحكم أنهم كانوا يشكلون سرية تقاتل حول يغمراسن، هذا الأخير الذي لم ينسحب إلا بعدما اكتسحت سريته جلها[6] والتي قدرتها بعض المصادر بخمسمائة فارس[1].

---

[1] عبدالرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص204.

[2] نفسه، ج7، ص180.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص307. عبدالرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص183.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص185.

[5] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص65.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص244.

كما قتل الكثير من بني عبد الواد وبني راشد[2] وبلغ أعداد القتلى نسبا معتبرة لدرجة أنه "تحدث الناس في جميع الأقطار بكثرة القتلى في هذه الهزيمة"[3].

وتمكن المرينيون من نصب فخ وقع فيه الكثير من جنود الجيش الزياني، ففي حصاره لتلمسان، أمر أبو الحسن المريني بحفر خندق واسع يمنع خروج ساكنة وجيش تلمسان للتضييق عليهم أكثر وتفادي هجماتهم الخاطفة في الليل، وكانت خطة ناجحة، فقد تمكن الكثير من الجنود من التسلل وتجاوزه، لكن الهجمة الخاطفة التي نفذها الجيش المريني نشرت بلبلة في الصفوف، فكانت مسارعتهم للرجوع خلف الأسوار غير منظمة انجلى إثرها سقوط الكثير منهم في الخندق " فكان الهالك يومئذ بالردم أكثر من الهالك بالقتل"[4]. وخلف اقتحامهم لتلمسان مقتل ثمانين ألفا حسب بعض المصادر[5]، وهو لا شك أنه رقم يعبر عن حجم البشاعة التي اتصف بها الجيش المريني، والتي تنم عن رغبة جامحة في القضاء النهائي على كل ساكنة تلمسان وبني عبد الواد الذين وقفوا سدا منيعا في وجه مشروع أبي الحسن المريني.

كما وقعت مجزرة في فلول الجيش الزياني المنسحب من معركة أنكاد سنة 753هـ/1352م[6]، ومباشرة بعد خروجه من بني ثابت توجه أبو حمو الثاني إلى بني وزان أين كبد السرية المرينية الكثير من الخسائر البشرية، ويصور صاحب زهر البستان في رواية انفرد بها أنه "دخل البلاد بالسيف، فمات من قدر الله عليه بالحتف"[7] وهو ما يرجح أن القتل طال حتى ساكنة بني وزان ولم يقتصر على الحامية العسكرية، وبالمثل أعمل أبو يعقوب السيف في المرينيين وأنصارهم من سويد وتوجين بجبل ونشريس سنة 760هـ/1359م[8]، ومباشرة بعد هذه الوقعة قاد أبو حمو الثاني حملة على الحامية المرينية بتلمسان، وتكبدت خلالها العديد من القتلى، خصوصا من

[1] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص67.
[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص310.
[3] ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن، ص113.
[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص148.أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج3، ص125.
[5] الزركشي، المصدر السابق، ص73.
[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه،ج7، ص381.
[7] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص26.
[8] نفسه، ص78.

أبرز فرسان الحامية واستمرت عملية القتل طوال مسافة ملاحقتهم إلى غاية خروجهم من باب تلمسان[1]، مما يعطي تصورا عن ضخامة العدد وإن لم تسعفنا المصادر ولو بأرقام تقريبية.

علاوة على ذلك تواصلت عمليات القتل في الجهة الشرقية للمغرب الأوسط، ففي حملة مشتركة بين أبي يعقوب وعبد الله بن مسلم على الجزائر، قتل خلالها ثمانية عشرا من مقاتليها، والكثير من الجرحى، حيث قدر عددهم بثمانين جريح[2]، والظاهر أن مخالفة أبي حمو الثاني للمرينيين في أراضيهم كان بدافع انتقامي ليكبدهم خسائر مماثلة كالتي ارتكبوها في تلمسان وأحوازها، فقد قتل كل حامية حصن أرجو عن آخرهم، ونفس المصير لاقته حامية حصن أوطاط[3].

على أن الأمر لم يقتصر على حملات المرينيين فقط، فقد تعرضت مغراوة لحملة قتل فيها جنودها "قتلا ذريعا"[4]، وأثناء دخوله الثاني لوهران "أمر بقتل أربعة من الخدام تقدمت لهم الجناية"[5]، وأفضت حملته الناجحة على العرب سنة 763هـ/1362م أن "وقع فيهم القتل الذريع"[6]، ويبدو أنهم ثأروا لهزيمتهم بعد انسحابهم من جيشه سنة 767هـ/1366م وكانت وقعة قتل فيها الكثير من جنوده، حيث "قتلوا أكثر رهطه"[7]، وفي حملة أخرى على أبي زيان سنة 775هـ/1373م قتل فيها الكثير من أنصاره خصوصا من القبائل العربية[8]، وبالمثل كرر عليهم المشهد سنة 777هـ/1375م "فأوسعهم قتلا"[9]، كما تكبد أحمد العاقل عدة خسائر في جيشه، وذلك عقب تلصص العديد منهم ودخولهم تلمسان ليلا، فكان مآلهم القتل على أيدي أهل تلمسان[10].

علاوة على الخسائر في الجنود، فإن القتل لم يطل هذه الفئة فقط، بل مس حتى العامة بمختلف فئاتها العمرية، فالجيش الحفصي عقب اقتحامه لتلمسان سنة 639هـ/1242م نجدهم قد "اقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص45.
[2] نفسه، ص86.
[3] نفسه، ص105.
[4] نفسه، ص112.
[5] نفسه، ص141.
[6] نفسه، ص212.
[7] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص171.
[8] نفسه، ج2، ص268.
[9] نفسه، ج2، ص305.
[10] التنسي، المصدر السابق، ص257.

والصبيان"[1]، وحسب رواية أخرى فإنه أباح لجنوده القتل لمدة يوم كامل[2]، وهو ما يعبر عن فداحة المجزرة التي تعرض لها ساكنة تلمسان، كما استباح المرينيون سجلماسة التي كانت تحت حكم بني عبد الواد، وقتلوا الكثير من ساكنتها من عرب المنبات وبني عبد الواد[3]، كما تعرض الكثير من ساكنة تلمسان للقتل على يد الجيش المريني سنة 696هـ/1297م[4]. وخلف الحصار المريني الطويل الكثير من الضحايا، فقد حددها يحي ابن خلدون بمائة وعشرين ألفا[5] وهو ما يعني حدوث إبادة جماعية، كما عانى ساكنة أحواز تلمسان من حملة مرينية عاثوا فيها قتلا[6]، وتتأكد الظاهرة نفسها في مجالات أخرى، فقد اقتحم أبو ثابت تنس سنة 749هـ/1349م " واستلحم من عثر عليه من مغراوة"[7]، واقتحم مجالات ندرومة "فاستباح الساحل كله قتلا"[8]، كما اقتحم أبو حمو الثاني مجالات العرب "وأسر جملة من سويد وقتلهم"[9]، أما زغبة فقد " استؤصلوا قتلا"[10] وفي متيجة "استباح الأنفس"[11]، وعانت القرى من الكثير من عمليات القتل التي كانت تحدث في إطار الغارات التي شنتها عليهم القبائل العربية، وهو ما كان يضطرهم إلى الدفاع عن أنفسهم، فقد سئل الزلديوي عن جواز قتل المحاربين الذين يغيرون على القرى[12]، وكانت هذه القبائل على تعداد كبير من المقاتلين ولا تمتهن سوى شن الغارات، وهو ما اضطر فقهاء المغرب الأوسط إلى استفتاء ابن عرفة حول جواز قتالهم نظرا لضررهم الكبير[13].

نخلص مما سبق أن الإنسان خلال الفترة مدار الدرس عانى من خوف دائم بسبب هاجس الموت الذي لازمه وسط حالة الحرب الدائرة في مجالات المغرب الأوسط، فقد وقفنا حسب النصوص على حالات قتل كثيرة

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص108.
[2] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص61.
[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص114.
[4] نفسه، ج7، صص290-291.
[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص234.
[6] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص339.
[7] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص94.
[8] يحي ابن خلدون، نفسه، ج1، ص259.
[9] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص31.
[10] يحي ابن خلدون، نفسه، ج2، ص242.
[11] نفسه، ج2، ص224.
[12] أبو العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص116.
[13] نفسه، ج2، ص436.

وقعت خلال المعارك والغارات، وكان الأمراء ورجال البلاط وقودا لها فكان مصيرهم القتل في ساحة المعركة في أحسن الأحوال، أو التنكيل بهم من قبل الخصم حتى يتمنوا الموت في كل لحظة، فضلا عن جنود الجيش الزياني من مشاة وفرسان على اختلاف أصنافهم سواء من قبيل بني عبد الواد أو المرتزقة، إضافة إلى المتطوعة من القبائل العربية والبربرية، دون إهمال عامة الناس العزّل الذين كانوا ضحايا الصراع السياسي والقبلي، فقد كانت كل غارة تحصد أرواح هؤلاء.

ثالثا: الحرب والنخب العلمية:

أفصحت مصادر التاريخ السياسي الإسلامي سواء في المشرق أم المغرب، أن السلطة السياسية باعتبارها مسيرة لدفة الحكم، بحاجة دوما إلى نسج شبكة من العلاقات مع مختلف الشرائح الاجتماعية، تدفعها في ذلك مجموعة من الأهداف والغايات التي تسعى إلى تحقيقها في إطار توجه الدولة واستراتيجيتها، ولعل من بين الشرائح الاجتماعية التي سعت السلطة إلى تكوين علاقات معها ضمن أولوياتها السياسية نذكر فئة العلماء، على أن نموذج السلطة في أدبيات الفلسفة السياسية الإسلامية كان يحتم هذه الأولوية، باعتبار أن مؤسسات الدولة المنبثقة من هذه الفلسفة تقوم في تسييرها على العلماء، كمؤسسة القضاء والحسبة ودواوين الكتابة وغيرها من المؤسسات، وليس كما حصره أحد الباحثين أن هذه الاستعانة بالعلماء لا تعدو أن تكون محاولة للتباهي بهم ولإضفاء الشرعية على حكمهم ودعم وجودهم السياسي[1].

ويجد المطّلع على التاريخ الإسلامي أن أنماط هذه العلاقة بين السلطان والنخب العلمية عرفت تذبذب في نوعية هذه العلاقة بين الحظوة والنكبة، وترتبط هذه الأخيرة بعدة معايير تؤدي بالعالم من التكريم والحفاوة إلى غياهب التهميش وغضب السلطان، ومن زاوية أخرى تتنوع أطر هذه العلاقة بين حالتين وهما السلم والحرب.

ويجد المطلع على مصادر تاريخ الدولة العبد الوادية أو الزيانية، أن أمراء هذه الدولة لم يشذوا على من سبقهم من أمراء الرستميين والفاطميين والحماديين والمرابطين والموحدين، فإذا كانت تجربة عبد الله بن ياسين بما انجر عنها من ترسيخ سلطة الفقهاء، وتجربة المهدي بن تومرت كعالم يضع أسس غير بعيدة عن أمراء الدولة الزيانية، وهو ما حذا بهم إلى نسج علاقات مع العلماء، قوامها التقريب والحظوة.

والجدير بالذكر أن العهد الزياني عرف انتشار كبير للعلماء، وبالخصوص في العلوم الدينية، وهو ما كان يفرض على السلطان التقرب منهم لأن هذه النخبة العلمية لم تكن من ذلك النوع المنطوي على نفسه، بل كانت نخبة فاعلة في المجتمع مؤطرة للمجتمع التلمساني تدريسا وإفتاء وتوجيها، لكل هذه الاعتبارات كانت ضربا من المجازفة أن يغض السلطان الطرف عنهم، على أنه يجدر أن نصرح بأن هذه النخبة كانت عملية أكثر منها

[1] كرطالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)، مذكرة ماجستير، جامعة وهران 1، 2013-2014، ص67.

طوباوية، فقد كانت الكثير من النخب أداة لخدمة مشروع الحاكم أكثر من خدمة المجتمع[1] ولا يمكن أن نغض الطرف عن إحدى الأهداف الواضحة للعيان والمتمثلة في سعيهم الحثيث لكسب نوع من الشرعية، خصوصا في شذوذهم عن الوصفة السياسية المتمثلة في العصبية القبلية والدعوة الدينية لتأسيس دولة، وبقراءة إحصائية لصراعات الدولة الزيانية مع المرينيين والحفصيين والمعارضين من القبائل العربية والبربرية نجد أن الوجود السياسي للدولة الزيانية كان في معظمه فترات حرب تتخللها فترات سلم وليس العكس.

وهو ما يحيلنا مبدئيا أن العلاقة بين السلطة الزيانية والمثقف تمت في أغلب الأحيان في إطار الحرب، وهو ما نسعى إلى التركيز عليه في هذا العنصر من خلال تتبع دقيق لأوضاع العلماء خلال فترة الحروب، وأنماط تعامل السياسي الممتشق للسيف معه، والارتسامات الذهنية للحرب في مخيلته وانعكاساتها على الإنتاج الفكري.

1-دور العلماء في السفارات:

في إطار الصراع العسكري المتواصل بين الزيانيين والمرينيين، فرضت بعض الفترات أن يحتكم الطرفان إلى الهدوء وأخذ قسط من الراحة ليس حبا في السلم، وإنما لتجديد النفس تحسبا لمواصلة الصراع، فكان وأن عقدت السلطة الزيانية عدة معاهدات سلمية مع المرينيين، ولم يكن يوجد أفضل من العالم ليتولى هذه السفارات بما يحيله كسفير للسلم، وأيضا بما تمتع به من مؤهلات علمية كالفصاحة والخطابة والتحصيل العلمي، إضافة إلى المؤهلات الأخلاقية[2]، والتأثير العاطفي والإقناع المنطقي حسب أحد الباحثين[3]، ورغم قلة المعلومات المتعلقة بهذا الجانب، إلا أن المصادر حفظت لنا بعض الشذرات، فبعد خروج زيري بن حماد زعيم برشك عن طاعة بني عبد الواد بعد الحصار الكبير الذي تعرضوا له من طرف المرينيين، تمكن أبو حمو الأول من استرجاع المناطق التي كانت تحت حكمهم فـ "خشيه زيري على نفسه وخطب منه الأمان على أن ينزل له عن المصر"[4]، لكن أبا حمو أدرك جيدا أن خضوعه يعقبه تمرد، فقرر التخلص منه، وكانت فرصة لأبي زيد عبد

[1] محمد بن حمادة، صراع النخبة في الغرب الإسلامي من خلال التجربة السياسية لابن الخطيب، ضمن كتاب " النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي: ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2015، ص97.

[2] أمال سالم عطية، دور العلماء والفقهاء في السفارة بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق13-14م)، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 7، عدد 19، جامعة زيان عاشور الجلفة، د.س، صص23-24.

[3] أمال سالم عطية، السفارات المتبادلة بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق13-14م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 3، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص108.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص133.

الرحمن بن الإمام[1] ليثأر لمقتل والده "الذي كان أبوه من أهل برشك، وكان زيري قد قتله لأول ثورته غيلة"[2]، فكانت سفارة انتقام لأن أبا حمو أذن له في ذلك فحتى هو كان يعتزم قتله.

كما أرسل بن مرزوق الخطيب[3] سرا من طرف الأمير أبي سعيد ليعقد الصلح مع أبي الحسن المريني[4]، غير أنه اتخذ هذا القرار دون مشورة أخيه أبي ثابت الذي سجنه وأهانه في مشهد يعبر عن الوجه الآخر للسلطان في علاقته مع العالم، الوجه الذي يبطش بكل من يقف في وجهه أو يعارضه أو حتى ينصحه، لذلك قبض على ابن مرزوق الخطيب " منتهبا رحله، منتهكة حرمته، وأسكن قرارة مطبق عميق القعر، مقفل المسلك، حريز القفل، ثاني اثنين"[5] وبقي في سجنهم تسعة أشهر[6] حتى " أيقن الناس بفوات الأمر فيه"[7] ورغم أن السلطة الزيانية قد أفرجت عليه واستعطفته، غير أنه تأثر كثيرا بهذه النكبة فارتحل على إثرها إلى الأندلس[8].

[1] عبد الرحمان المكنى بأبي زيد بن الإمام محمد البرشكي مولدا، علم شامخ في الحياة العلمية خلال العهد الزياني، ارتحل إلى تونس لطلب العلم، ثم إلى المشرق سنة 720هـ/1320م وسمع البخاري وناظر ابن تيمية وتفوق عليه، ووصل إلى شهرة علمية يعتدّ بها في المشرق، لدرجة أن علماء المغرب الأوسط لما يرحلون إلى المشرق ينتسبون إليه هو وأخيه أبي موسى حيث يقول المقّري:" فلما عرفته أتاني آت من أهل المغرب فقال لي: تعلم أن مكانك في نفوس أهل البلد مكين وقدرك عندهم رفيع وأنا أعلم انقباضك عن ابني الإمام فإن سئلت فانتسب لهما فقد سمعت منهما وأخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما فتضع من قدرك فإنما أنت عند هؤلاء الناس". وفدا على السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول وأكرمهما ببناء مدرسة ونصبهما للتدريس بها، وبعد حصار أبي الحسن المريني لتلمسان أكرم وفادتهما أيضا وأدناهما من مجلسه وحضرا معه وقعة طريف وتوفي أبو زيد بعدها سنة 743هـ/1342م أما أبو موسى توفي في طاعون سنة 749هـ/1348م. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص245-247. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000، ص264-265. بدر الدين القرافي، المصدر السابق، ص130.عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص134.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص133.

[3] شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الخطيب، ولد سنة 710هـ/1310م، ارتحل إلى المشرق رفقة والده سنة 718هـ، نشأ وتعلم بتلمسان ثم ارتحل إلى المشرق وتتلمذ على الكثير من الشيوخ على غرار الحسين بن علي الواسطي خطيب المدينة المنورة، محمد بن أحمد بن خلف المطري، علي بن محمد الحجار، أحمد بن محمد الصنعاني، وقد ذكر ابن فرحون أن عدد شيوخه يقرب من ألفي شيخ، له عدة مؤلفات نذكر منها شرح الجليل على عمدة الأحكام، شرح النفيس على الشفا، شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق، إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب، توفي سنة 781هـ/1379م. التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، صص 450-455، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج2، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1976، ص291.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص258.

[5] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج3، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1975، ص106.

[6] محمد بن مرزوق التّلمساني، المناقب المرزوقية، ص307.

[7] ابن الخطيب، نفسه، ج3، ص106.

[8] محمد بن مرزوق التّلمساني، نفسه، ص307.

كما أن أبا حمو ورغم إرساله لابنه أبي تاشفين على رأس السفارة الموجهة سنة 762هـ/1360م لعقد الصلح مع أبي سالم المريني، إلا أنه أرسل معه قاضي الجماعة بتلمسان أحمد بن الحسن " شاهدا على ما يسمع"[1]، كما أرسل محمد بن أحمد الشريف التلمساني[2] سنة 764هـ/1362م في سفارة لعقد الصلح مع أبي إسحاق الحفصي حاكم بجاية، وكان يحظى بمكانة خاصة لدى السلطة الزيانية، إذ لما وصل الخبر لأبي حمو بفرار محمد بن السلطان أبي سعيد، أرسل رسله ليستعيدوا الشريف التلمساني قبل أن يصل إلى بجاية[3]، ولما كان هذا الفقيه يحظى بمكانة رفيعة لدى أبي حمو الثاني، فإنه أرسله في سفارة أخرى إلى المغرب سنة 767هـ/1365م لاستكمال عقد الصلح مع المرينيين[4]، كما أرسله في سفارة أخرى سنة 770هـ/1368م إلى خالد بن عامر وأبي بكر بن عريف يحمل أمان أبي حمو لهما[5].

كما أرسل عبد الرحمن ابن خلدون من طرف أبي حمو الثاني سفيرا إلى استئلاف قبيلة الذواودة، غير أنه لم يمتثل لأمره كما يقول " وأجبته إلى ذلك ظاهرا" وانضم إلى أولاد عريف بجبل كزول ولحقت به أسرته، وكان سبب رفضه يعود إلى منعه من دخول تلمسان بعد عودته من الأندلس[6]، وجدير بالذكر أنه كان دائم التنقل بين البلاطات، إلا أن ما يلفت النظر لهذه الشخصية هو قدرته الكبيرة على إقناع القبائل على تحديد تحالفاتها، والغريب في الأمر أن نفس القبيلة وهي الذواودة قد أقنعها بالتحالف مع أبي حمو الثاني وبعد فترة

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص133.

[2] محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي، ولد سنة 716هـ/1316م، تتلمذ على يد ابني الإمام، ومحمد بن هدية القرشي، وأبي محمد عبد الله المجاصي، ومحمد بن أبي عمر التميمي، ومحمد بن محمد البروني، وأبي موسى عمران المشدالي وغيرهم من المشايخ، ارتحل إلى تونس سنة 740هـ/1339م فقرأ ببجاية وتفوق على علمائها، وقرأ بتونس على ابن عبد السلام التونسي، كما ارتحل إلى فاس وأخذ عن العالم السطي، تتلمذ عليه كل من الإمام الشاطبي، وابن زمرك، وإبراهيم الثغري، وأبي عبد الله القيسي، وعبد الرحمن بن خلدون، وابن السكاك، له كتاب مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول، كان " من أعلم الناس بالعربية وعلوم الأدب نحوا وبيانا، حافظا للغة والغريب والشعر والأمثال وأخبار الناس ومذاهبهم وأيام العرب وسيرها وحروبها وأخبار الصالحين وسيرهم، وإشارات الصوفية ومذاهبهم، حسن المجلس كثير الحكايات، ممتع المحضر عذب الكلام، منصفا في البحث والمناظرة" توفي سنة 771هـ/1369م. محمد بن يوسف الثغري التلمساني، المصدر السابق، ص85-92-93-98. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص437.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، صص126-127.

[4] نفسه، ج2، ص159.

[5] نفسه، ج2، ص201.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص638.

قصيرة تمكن من إقناعها بالتحالف مع المرينيين، وهي لا شك خبرة تمتع بها من خلال احتكاكه بهذه القبائل ومعرفته لطبائعها[1].

كما كان لبعض مثقفي المغرب الأوسط أدوار إيجابية خلال الحروب، فبعد معاناة أهل تلمسان لأضرار الحصار المريني سنة 698هـ/1298م يبدو أن ابن خميس قد حاول إقناع السلطة الزيانية بالاستسلام والدخول تحت طاعة يوسف بن يعقوب المريني، نستشف ذلك من خلال بعض أبياته الشعرية:

دعاهم أبو يعقوب للشرف الذي يذل له رضوى ويعنو له دمخ

فلم يستجيبوه فذاقوا وبالهم وما لامرئ عن أمر خالقه نخ

ومازلت أدعو للخروج عليهم وقد يسمع الصم الدعاء إذا أصخوا[2]

وهو ما يرجح سبب هروبه من تلمسان، حيث أرجع ابن الخطيب سبب فراره إلى تخوفه منهم[3]، ولا يمكن تصديق ذلك إذ ما دعوى هذا التخوف إن لم يكن له سبب يوجبه، فيكون ابن خميس لما رأى هول الحصار وشدائده قد دعا السلطة إلى الرضوخ حفاظا على أرواح ساكنة تلمسان، وهو ما قوبل بالرفض.

كما استغلوا وجاهتهم لدى السلاطين لتحقيق مطالب في صالح العامة، فبعد اقتحام أبي الحسن المريني لتلمسان سنة 737هـ/1336م استدعى علماءها وقد كان ابنا الإمام من أشهر فقهاء تلمسان آنذاك، فتوسطوا لأهل تلمسان لديه " ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب" فلم يكن لأبي الحسن من رد سوى أن " ركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية، وقبض أيديهم عن الفساد"[4]، ولما كان السلطان أبو فارس المريني محاصرا لتلمسان، خرج إليه عبد الرحمن السنوسي وابن عبد العزيز مع الأولاد الصغار " بألواحهم يطلبون من السلطان أبي فارس العفو عن أهل البلد"[5].

[1] بوبكر زاوي، عبد الرحمن ابن خلدون والسلطة الزيانية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 3، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص150.

[2] أحمد المقري، نفح الطيب،ج5، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص373.

[3] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص529.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص341.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، صص79-80.

2-العالم وتجاذبات الحرب:

إذا كانت أنماط النخب العلمية تنقسم إلى طبقات بحسب أهمية ودور كل واحد في نظر السلطة، فإن السلطة الزيانية كغيرها من السلطات التي سبقتها والمعاصرة لها سارت على نفس النهج، فإذا كان المثقف التقليدي الذي كانت له أدوار هامشية في المجتمع لم يحظى بالتفاتة من البلاط الزياني، فإنه على العكس من ذلك، فقد حظي المثقف المنسَق كما سماه إدوارد سعيد باهتمام منها، لا لشيء سوى أنه يشكل بالنسبة للسلطة جزء من مشروع سياسي يروم توظيف المثقف في تحقيق مصالحها وأهدافها، والسعي الحثيث لتحقيق واكتساب المزيد من الشرعية[1].

وبإلقاء نظرة على سير بعض النخب العلمية البارزة خلال الفترة مدار الدرس نجد أنهم قد انخرطوا في تجارب كانت في أكثر الحالات تكشف جوانب خفية من شخصياتهم، جوانب لا نجد لها ذكر في كتب التراجم التي حلتهم بأحسن الأوصاف، بينما إذا وضعنا هذه المواقف في ميزان النقد الموضوعي فإننا نجد أن البعض من هؤلاء النخب الذين كانوا على قدر كبير من العلم قد اتبعوا نزواتهم الشخصية، فكانوا دنيويين أكثر مما كانوا ربانيين، فنجد أن أبا الحسن التنسي الذي وصفه يحي ابن خلدون بأنه " من كبار العلماء العاملين"[2] إلا أنه لم يكن كذلك، فرغم أنه كان معظما عند السلاطين إلا أنه لم يرق له حال لأهل تلمسان القابعين تحت الحصار الوحشي من طرف المرينيين، ورغم أن مغادرته لتلمسان بسبب تهمة من طرف البلاط الزياني، إلا أنه لم يكن في مستوى تطلعات عامة تلمسان التي كانت تعظمه، فخلط بين السلطة والعامة التي كانت تعاني آنذاك، فلم يقاوم بر وإكرام السلطان المريني أبي يعقوب[3]، بل وحسب بعض المصادر فإنه لم يفر مباشرة، بل استغل السفارة التي أرسله فيها عثمان إلى يعقوب المريني، ليمكث بعدها في البلاط المريني[4]. ولم يجد " الفقهاء وأرباب الفتوى " بتلمسان حرجا من الوقوف في صف المنتصر، بعدما قبض أبو عنان على الأمير أبي سعيد الزياني، وأصدروا فتوى " بحرابته وقتله"[5].

---

[1] إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة وتقديم محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، صص33-34.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص151.

[3] نفسه، ج1، ص151.

[4] أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج5، تحقيق سعيد أحمد عراب، عبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، 1980، ص13.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص381.

كما لم يجد العالم حرجا من تغيير الولاء بين البلاطات الثلاث، فالتجوال السياسي ميز مسيرة الكثير من هؤلاء، على غرار ابني الإمام اللذين كانا في البلاط الزياني وغيرا الولاء إلى المرينيين دون تحرج، هذا لأن منصب القضاء الذي تولياه بمليانة تحت الحكم المريني[1] هو منصب سياسي بالدرجة الأولى وبالتالي فلا نزيد عليهما أو نحملهما تهم من نسج الخيال.

ونفس الأمر حدث مع يحي ابن خلدون كاتب أبي حمو الثاني، الذي انخزل عنه في سبخة زاغر وهو مطارد من طرف العرب بقيادة الوزير المريني أبي بكر بن الغازي، وعاد إلى تلمسان، حيث يقول "ومن هنا فارقته أيده الله لخيالات سوداوية اعترتني، ونزغات شيطانية تجاذبتني، وسوء بخت تقاعس عن إدراك الفخر برحلي، وشقاء مكتوب أهوى إلى درك الخسارة بي"[2] فما هو سبب تغيير ولائه المفاجئ هذا؟ للأسف لم يذكر لنا سبب تصرفه هذا، أو بالأحرى أي سبب سيجعله يغير الولاء سوى ذهنية التجوال السياسي السائدة آنذاك في أوساط النخبة والقبائل، لم يكن هناك سبب مقنع يجعله حجة له فاكتفى لنا بقول غامض ليس وراءه أي حجة تحفظ ماء وجهه، فقال " ولولا أن أفضح مستورا، وأخلد في بطون الأوراق وصما مشروحا، لأبنت وقلت كيف كان"[3].

وانضم إلى البلاط المريني بتلمسان ثم انتقل معهم إلى فاس عقب وفاة الأمير المريني عبد العزيز سنة 774هـ/1372م ومكث سنتين ليقرر بعدها العودة إلى بلاط أبي حمو الثاني، خصوصا أن صديقه لسان الدين ابن الخطيب قد قتل في سجنه، فهل كان أبو حمو سيستقبله مرة أخرى وهو الذي خانه إن صح التعبير؟ أو بعبارة أخرى لماذا يقبل بعودته؟ يمكن تفسير ذلك في أن أبا حمو الثاني ليست المرة الأولى التي يتم خيانته فيها فقد تعود على المفاجآت غير السارة على حد تعبير بروسلار[4]، ففي ظل حالة الحرب شبه الدائمة كان الولاء غير ثابت، فكثير من القبائل العربية فعلت معه نفس الأمر ثم عادت، لأن المهم آنذاك هو تحقيق المصلحة.

والأمر نفسه كان مع أخيه عبد الرحمن الذي قضى شطرا كبيرا من حياته في التقلب بين بلاطات دول ما بعد الموحدين وكان طرفا في العديد من المؤامرات السياسية وتولى عدة مناصب لم يقنع بها بسبب طموحه الزائد،

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص133.
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص230.
[3] نفسه، ج2، ص230.
[4] شارل بروسلار، المرجع السابق، ص77.

ويبدو أنه كان ذا شخصية براغماتية حيث لم يتورع عن الانقلاب على أقرب مقربيه من أجل السلطة والجاه[1] بل ولم يتورع في توظيف براعته في حشد القبائل العربية لخدمة البلاطات الثلاث لمن يستفيد منه أكثر، فالقبيلة التي يحشدها لخدمة الزيانيين نفسها التي يوظفها لخدمة المرينيين لا لشيء سوى لأن مصلحته الذاتية في هذا البلاط والأكثر من ذلك أنه قدم أبا حمو الثاني على طبق للمرينيين بإعلامهم عن مكان تواجده[2]، وهو ما حذا بأحد الباحثين إلى وصفه إلى الافتقار إلى أي التزام أو مبدأ، بسبب ما تميزت به شخصيته من عجب بالنفس وحب للظهور والغرور[3]

3-التنظير للحرب في مصنفات النخب:

يرتبط المنتوج الثقافي بما ينطوي عليه من حمولة معرفية ارتباطا وثيقا بالظروف التي يكون بها الأثر البارز في إنتاج الأنساق المعرفية، إضافة إلى ذلك فإن المعرفة لها ما يمكن تسميته بالعلاقة الجدلية مع أنساق تكوينها، وكذا واقع الظروف السياسية والثقافية التي ينشأ عنها الخطاب الثقافي، وعليه فإن وجود الحرب خلال معظم فترات الدولة الزيانية لاشك وأنها انطبعت في ذهنية المثقف ولعبت دورا كبيرا في تحديد مفاهيمه المعرفية ومصطلحاته[4]، كيف لا ومنطق السيف انطبع ليس على السلطة السياسية التي يعتبر من طبيعتها، بل حتى على مستوى القبائل، في معادلة ترتبط فيها البيئة ومكوناتها وأثرها على الإنسان والحاجات المادية له، والمطلع على أهم المصنفات التي ألفها علماء المغرب الأوسط يجد أن الحرب والتنظير لها قد كان له نصيب وافر في مؤلفاتهم، ولعل من أبرزها مقدمة ابن خلدون، والذي سنحاول لملمة المعلومات التي تطرقا إليها فيما يتعلق بموضوع الحرب.

بداية نطرح سؤالا على أنفسنا: هل نظر ابن خلدون للحرب كعامل منفصل عمّا سماه بعلم العمران؟ أو بعبارة أخرى كيف كانت رؤيته للحرب وارتباطاتها الاقتصادية والسياسية؟ إن المتمعن في المقدمة يلحظ جيدا أن الحرب حاضرة في مقدمة ابن خلدون أو بعبارة أخرى حضورها كان تفسير منه لعدة أحداث، فكانت كما يقول عبد الله العروي " كل شيء مهم مما يمس الحرب، موجود ضمنيا في أبواب المقدمة، وفي نفس الوقت

[1] محمود إسماعيل، نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، صص53-54.
[2] ايف لاكوست، العلامة ابن خلدون، دار الفارابي، ط2، بيروت، 2017، صص107-108.
[3] حميد الحداد، التاريخ والنفسانيات، مطبعة شمس برينت، سلا، 2019، ص131.
[4] حميد تيتاو، الحرب والجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، ص445.

لاشيء من ذلك موجود صراحة في المكان المقرر له"[1]، بمعنى أن ابن خلدون بنى نظريته للعمران على مبدأ عدوانية الإنسان سواء في دوافعه الكامنة في نفسه، أو في تصرفاته[2]، على أنه يجب التنويه إلى التفرقة بينها وبين الحالة الطبيعية التي افترضها فلاسفة الحق الطبيعي بأوروبا في القرن الثامن عشر بحكم أن هذه الحالة تفترض وجود إنساني قبل وجود المجتمع لتنتقل إلى مرحلة منظمة تسودها القوانين والمؤسسات، في حين أن ابن خلدون انطلق من مقولة مدنية الإنسان واستحالة خروجه عن المجتمع، وبالتالي مكمن اختلافه معهم تكمن في الفطرة والتي هي المجتمع عنده والحالة الطبيعية لديهم[3].

كما تجدر بنا الإشارة إلى ملاحظة مهمة جعلها ابن خلدون في نمط تلازمي تحتل فيه الحرب مكانة أساسية، ففي خضم حديثه عن ضرورة الاجتماع الإنساني، تطرق إلى أهمية هذا الاجتماع ليس لتحصيل الغذاء فقط، بل للدفاع عن نفسه، لأن الحروب " لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله"[4]، وقد حصر هذه الحروب في ثلاثة دوافع، " إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ودينه"[5].

فالعدوان أعطى مثالا عنه ما كان واقعا في عصره بحديثه عن طبيعة العرب البدوية الذين كانوا يعيشون على النهب والسلب والغارات على أهل البسائط[6] "فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، وأن رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه، بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه"[7].على أن هذا الدفاع في صفة الاجتماع الإنساني مرتبط بقدرة الإنسان على الإبداع في وسائل الدفاع عن النفس، فهذا الاجتماع الإنساني ليس في حد ذاته غاية، بل هو وسيلة، لأنه إذا " كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعته ما يصل إليه من عادية غيره، وجعل للإنسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد، فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر، والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع، مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة، والسيوف

[1] عبد الله العروي، مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، ط5، المغرب، 2012، ص323.

[2] نفسه، ص326.

[3] فتحي التريكي، السيف والقلم: ابن خلدون وإشكالية الحرب، مجلة آفاق وأفكار، العدد الأول، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011، صص2-3.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص457.

[5] نفسه، ج1، ص457.

[6] نفسه، ج1، ص286.

[7] نفسه،ج1، ص287.

النائبة عن المخالب الجارحة، والتراس النائبة عن البشرات الجاسية"[1] ولهذا كان ضروريا الاجتماع للدفاع المشترك.

وإذا كان إبداع الإنسان في صناعة أسلحة للدفاع عن نفسه قد حددها كغاية من غايات الاجتماع الإنساني، فإن هذا يفتح بابا آخرا للعدوان الداخلي بين هؤلاء البشر، بسيطرة القوي على الضعيف، أو كما سماها توماس هوبس حرب الكل ضد الكل[2]، من هنا وجب إنشاء سلطة تكون لها الغلبة وتفرض النظام داخل الجماعة، وهنا نستنتج أن ابن خلدون جعل الحرب سببا من أسباب تأسيس الدول[3]، كما أنها تكون سببا لزوالها وذلك نظرا لما يقع من التنافس بين مختلف العصبيات والقبائل على الملك " ثم إن الملك منصب شريف ملذوذ، يشتمل على الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية، والملاذ النفسانية، فيقع فيه التنافس غالبا، وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة، وشيء منها لايقع إلا بالعصبية كما ذكرناه آنفا"[4].

الحالة التي تحدث عنها ابن خلدون وانتشار الفوضى التي تؤدي إلى عدوان البشر على بعضهم البعض تكون في البدو لأنه هو الأصل كما قال، وهي وسيلة للبقاء في نظره بحكم شح الموارد في البادية[5]، وبتأسيس الدولة يتغير نمط الدفاع، بحيث يتولى السلطان هذه المهمة بما يكونه من جيش وما ينشأه من أسوار للدفاع عن المدينة، فيحدث بذلك تغير في ذهنية سكان الحضر، فإنسان ما قبل تأسيس الدولة، يتولى بنفسه مهمة الدفاع عن نفسه، لذلك وضع فصلا عنونه بـ "في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر" مرجعا سبب ذلك إلى حالة الدعة والسكون التي يتميز بها ساكنة الحاضرة بسبب توكيلهم أمر الدفاع إلى السلطان، بينما أهل البدو " لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم"[6]، وفي هذه الحالة يكون البدو أقدر في التغلب على الأمم نظرا لربطه الوثيق بين البداوة والشجاعة[7].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، صص137-138.

[2] توماس هوبز، الليفياثان، ترجمة ديانا حرب، بشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011، ص175 وما بعدها.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج1، ص138.

[4] نفسه، ج1، ص308.

[5] علي أومليل، الخطاب التاريخي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، بيروت، 1985، ص206.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج1، ص251.

[7] نفسه، ج1، ص271.

على أن صاحب العصبية الذي تكون له الغلبة ويتولى تنظيم الأمور ليمنع عدوان الناس بعضهم على بعض لا يقوم بذلك دون غاية، بل يسعى إلى الملك كما يقول " وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها، فإذا بلغ رتبة السؤدد والاتباع، ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس"[1]، كما ربط بين الوحشية والحرب باعتبار أن الأولى عامل مهم ومساعد لخوض الحروب والتغلب فيها لتحقيق الغلبة[2].

ولم يغفل في خضم حديثه عن الحرب في الإشارة إلى ما يعين المحارب على خوض المعارك وبالأخص على الجانب النفسي والتي لها دور في تحفيزه على الاستعداد والاستماتة في القتال[3]، فالسلطان إذا كان طبيعيا أن يتخذ شارات الملك الخاصة به، فإن ابن خلدون سلط عليها الضوء من الناحية السيكولوجية، فالطبول والألوية والرايات هي جزء من الجيش، ويقول عنها " ولعمري إنه أمر وجداني، في مواطن الحرب، يجده كل أحد من نفسه... وأما الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والأصوات، يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب، ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه"[4]، ففي حروب العرب " من يتغنى أمام الموكب بالشعر ويطرب، فتجيش همم الأبطال بما فيها ويسارعون إلى مجال الحرب" وفي زناتة الأمر نفسه " يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف، ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي" ويسمون هذا الغناء تاصو كايت[5].

وفي فصل بعنوان " في الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها" تحدث إلى مجموعة من الأمور المتعلقة بالحرب، من قبيل طرائق القتال، فهناك القتال بالزحف ويكون عن طريق وضع صفوف مرتبة وهذا دأب الجيوش النظامية التي تقاتل بطريق المواجهة المباشرة، والتي كانت تقسم في معظمها إلى ميمنة وميسرة والقلب والساقة[6] والنوع الثاني هو قتال الكر والفر أو حرب العصابات، وقد كان هذا النمط من القتال منتشر بكثرة في عهده[7]، فنظرة خاطفة على مصادر التاريخ السياسي للدولة الزيانية تبين لنا الكم الكبير للغارات التي كانت تشنها القبائل العربية والبربرية على بعضها البعض، كما بين أن الانتصار في الحروب لا يتحكم فيها كثرة عدد الجنود

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص272.
[2] نفسه، ج1، ص280.
[3] حميد الحداد، التاريخ والنفسانيات، ص36.
[4] عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج1، ص443.
[5] نفسه، ج1، ص443.
[6] نفسه، ج1، صص457-458.
[7] نفسه، ج1، ص458.

أو قوة الأسلحة فقط، مرجعا أن ترجيح كفة المعركة قد يكون بأمور خفية كالأمور السماوية " لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب، فيستولي الرهب عليهم لأجلها، فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة"[1].

خلاصة القول أن النخب العلمية قد وجدت نفسها ملزمة على التعامل مع الوضع الأمني السائد، فالسلطة الزيانية على غرار السلطتين الحفصية والمرينية استخدمت العلماء كسفراء في عقد المعاهدات بينهم، والحال أن الحرب قد كان لها أثر سلبي على العالم الذي كان في الكثير من المرات ضحية للصراع الدائر فقد كشفت علاقاتهم مع السلطة خوضهم تجارب تنم عن طموح للمناصب، وهو ما ترجم في التجوال السياسي لهم بين البلاطات الثلاث بحثا عن منصب يرضي لهم طموحهم، إلا أن الكثير كانوا ضحايا لهذا الطموح الزائد، والجدير بالذكر أن الحرب لاقت لها انعكاسا في المنتوج الثقافي فقد رأينا أن قلم المثقف راح ينظر للحرب وأنواع الزحف وترتيب الجيوش وغيرها من التفاصيل المتعلقة بظاهرة الحرب.

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص465.

خاتمة

بعد محاولتنا المتواضعة لمعالجة الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من خلال الإشكاليات المطروحة في مقدمة الأطروحة، حاولنا لملمة بعض النتائج التي رأينا أنها تكتسي أهمية في موضوع البحث، والتي نوجزها في النقاط التالية:

معاناة السلطة الزيانية بسبب موقعها في الوسط من أطماع المرينيين غربا والحفصيين شرقا، ولم يكن الصراع يهدأ على جبهة إلا ويحتدم في الأخرى، مما فرض على السلطة الاستعداد العسكري الدائم للدفاع عن العاصمة والمدن التابعة للدولة، وإذا حق لنا ترجيح شدة الصراع فإننا لن نتردد في اعتبار الجبهة الغربية كانت مصدر متاعب جمة وهو ما اكتوى بنارها مؤسس الدولة يغمراسن مما جعله يقيم الوضع ويضع سبل استراتيجية حربية لخلفه بتوصيته على تركيز الحملات في الجبهة الشرقية ومناشدة السلم مع المرينيين متى سمحت الظروف بذلك، مع اللجوء إلى أسلوب التحصن بالأسوار بدل المواجهة المباشرة بحكم النقص العددي للجيش الزياني.

الصراع الداخلي كان أيضا على أشدّه مع القبائل العربية والبربرية، بل يمكن القول أنه أضعف كثيرا القدرات العسكرية للجيش الزياني الذي كان مضطرا في العديد من الحالات للخروج في حملات تأديبية للقبائل العربية والبربرية سواء في عمليات لجباية الضرائب من الممتنعة عن تسديدها أو انتقام بسبب تحالف هاته القبائل مع المرينيين والحفصيين في حملاتهم على تلمسان، فقد رأينا أنهم كانوا خير حليف لأعداء بني عبد الواد من منطلق عدو عدوي صديقي، ومن خلال المعطيات الإحصائية فإننا نستنتج أن الصراع مع القبائل البربرية كان على أشده بسبب غيرتها من بني عبد الواد على تأسيسهم لدولتهم فقد خاضت السلطة ضدهم حوالي سبعة وخمسون بين غارة وحملة عسكرية، وتأتي في المرتبة الثانية القبائل العربية التي كثيرا ما خانت السلطة وكانت سببا في انهزامها في عدة معارك، حيث خاضت ضدها حوالي عشرين بين حملة وغارة، وما زاد السلطة ضعفا وفتَّ في عضدها ما نشب من صراعات أسرية في فترات مفصلية من تاريخ الدولة الزيانية، بل كان العديد من المعارضين من داخل البيت العبد الوادي يستعينون بالغريم الحفصي والمريني ليعتلوا سدّة الحكم ويرهنوا سلطة القرار بيد البلاطين المريني والحفصي.

توصل يغمراسن أن الاعتماد على القوة العسكرية لقبيلته لا تمكنه من قطع أشواط بعيدة في التمكين لدولته الناشئة والدفاع عن أراضيها، بحكم أن قبيلة بني عبد الواد لم تكن بأعداد كبيرة مقارنة مع المرينيين، وقد رصد ذلك ابن خلدون مقارنا إياهم مع المرينيين الذين كانوا يفوقونهم بثلاثة أضعاف، وهو ما جعل أمراء الدولة يتخذون سياسة استقطاب القبائل العربية والبربرية واستغلال توازنات التحالفات والعداء لتجنيد مختلف القبائل ضمن

جيشها، على أننا رأينا أن اعتمادها عليهم كان متباينا تحكمت فيه علاقات هذه القبائل مع السلطة سلما وعداء بحسب ما تدره عليها السلطة من إقطاعات وغنائم، كما رأينا أن حضور القبائل العربية في جيش أبي حمو الثاني كان كبيرا بل كان لهم الفضل في إحياء الدولة الزيانية، وتعدت عملية التجنيد إلى المرتزقة الاسبان وهو تقليد موحدي تواصل حضوره في دول ما بعد الموحدين، فقد كان لهم الحضور البارز منذ فترة يغمراسن، ورغم محاولتهم الانقلاب عليه إلا أن حضورهم استمر في الجيش الزياني، إضافة إلى الغز الذين شكلوا إضافة نوعية للجيش الزياني باحترافهم الرماية.

تجسيدا لحالة الحرب شبه الدائمة تحتم على السلطة الزيانية منح أهمية معتبرة لتكوين جيش يتولى مهمة الدفاع عن أراضي الدولة خصوصا العاصمة تلمسان، وتجلت هذه الاستعدادات في مباشرة السلطة بتطبيق إجراءات كان من شأنها تطوير الجيش، على غرار تأسيس إدارة عسكرية يترأسها المزوار خولت لها مهام تحديد تعداد وأجور الجند إضافة إلى قضاء العسكر والذي تنحصر مهمته في المنازعات داخل الجيش، كما لاحظنا أن مشكل تعداد الجيش قد ألقى بظلاله على الجيش الزياني الذي حاولت السلطة الرفع من تعداده في مختلف المعارك بمختلف الأساليب والوسائل لاستقطاب القبائل، فإذا كان يغمراسن قد اعتمد في الكثير من معاركه على قبيلته مع اللجوء للحشد في البعض منها، فإن خليفته في الحكم أبا سعيد عثمان قد تخلى عنه لأسباب تتعلق بمواجهات مع قبائل أقل منهم عددا، بينما لجأ إليه كل من أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين الأول والأخوين أبي سعيد وأبي ثابت، أما أبو حمو الثاني فقد فاق اعتماده على الحشد كل سابقيه من أمراء الدولة بسبب علاقاته القوية مع القبائل العربية التي كانت مكونا رئيسيا في جيشه، وقد تطلب هذا الاهتمام توفير الدعم المالي الكافي وهو ما قامت به السلطة الزيانية في تخصيصها لنصف مداخيلها على الجيش إضافة إلى بذل الإقطاعات لحلفائها.

أولت السلطة الزيانية اهتماما بترتيب جيشها في ميادين المعارك على اختلافها بين البسائط والجبال وحرب العصابات، فقد اتبعت التقسيم المعهود السائد لدى الجيوش الإسلامية والذي يقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب وساقة، مع مراعاة لمواصفات مقاتلي كل جهة في أدبيات السلطة ما يعطي انطباع بمتابعة هذا التنظيم من السلطان الزياني نفسه، وقد استعدت المعارك الصغيرة إسنادها لكتائب معدة خصيصا لمثل هذه المهمات والتي تعتبر الوحدة الأساسية للكراديس، على أن هذه الأخيرة مرتبة وفق نظام الصفوف، وتنوعت الفرق من ناحية الأسلحة والترتيب، فهناك فرقة الفرسان التي تمتطي الخيول وتقاتل في مقدمة الجيش، وقد كان لها الدور الأساسي في ترجيح كفة الجيش بالعديد من المعارك، فضلا عن الأدوار التي قاموا بها كالضربات الخاطفة على محلات العدو،

إضافة إلى فرقة المشاة الذين يرتبون خلف الفرسان ويقاتلون بالرماح الطويلة والسيوف، كما كانت تُوكل لهم مهمة حماية أسوار المدن، دون نسيان الفرق غير المقاتلة والتي كانت لها أدوار مهمة مكملة لأداء الجيش، على غرار الفعلة المختصين ببناء الأسوار والحصون والمحارس وحفر الآبار في طريق مرور المحلة وأيضا فرقة الكفلاء المختصة بحماية حريم السلطان وخبائه وتتكون في معظمها من العبيد والأعلاج، كما اعتبر الجواسيس من أهم هذه الفرق لدورها المهم في التجسس على الخصم والحصول على المعلومات التي يتحرك الجيش بناءً على معطياتها.

كانت الحرب دائما مدعاة لأخطار وصعوبات تخيم بظلالها على المجتمع وتضطره إلى التفكير في إيجاد أساليب وابتكار حلول يتعايش من خلالها مع الأزمة خصوصا ما تعلق منها بمعيشته اليومية من مأكل ومشرب، وهي متطلبات يومية لا غنى له عنها، ورأينا أن حالات الحصار التي عانت منها مدن المغرب الأوسط خاصة تلمسان قد كانت حالة مؤذنة بضنك العيش وظهور شبح الجوع والندرة في الأغذية والتموينات لأن الحصار يحيل على منع ممارسة الأنشطة اليومية وتكبيل لسيرورة حياة المجتمع، وقد توصلنا من خلال إحصاء عدد حالات الحصار كرونولوجيا أن القرن الثامن للهجرة تصدر بثمان وثلاثين حالة حصار، يليه القرن السابع بسبعة عشر حالة ثم القرن التاسع بأربع حالات، على أن أكثرها شهرة كان الحصار المريني على تلمسان في نهاية القرن السابع، والذي صمد أمامه ساكنة تلمسان رغم شدته وحالات التضييق التي مارسها الجيش المريني عليه، ورأينا من خلال المصادر أنه لجأ لأغذية بديلة كتناول الأطعمة المقززة والجيفة من الحيوانات واللجوء إلى تناول الحشائش وثمار الأشجار المنتشرة داخل تلمسان، والتي تحولت إلى وصية من أهم الوصايا التي نص عليها أبو حمو الثاني في واسطة سلوكه، فضلا عن وقوف السلطة مع رعيتها بذبحها لأحصنة الجيش وتدعيم أسعارها، ونعتقد أن جداول الأسعار التي حفظتها لنا المصادر عن الأثمان المرتفعة لبعض اللحوم والفواكه والتموينات لا تعبر لنا سوى عن ممارسة الجيش المريني للتجارة مع ساكنة تلمسان واستثماره في الأزمة لتحقيق الأرباح وهو ما ترجم في أمر يوسف بن يعقوب بمعاقبة كل من يمرر الغذاء إلى داخل تلمسان.

كان النهب أحد أبرز الآثار الاقتصادية الناجمة عن حالة الحرب السائدة خلال الفترة مدار الدرس، فالسلطة الزيانية وجدت نفسها بحاجة إلى الغنائم لتسيير دواليب الدولة وتغطية نفقاتها، فكان النهب ملجأها لتحقيق ذلك، فقد رأينا أنه بعد زوال الحصار الطويل على تلمسان لم تجد لإنعاش الخزينة سوى الخروج في عمليات عسكرية للحصول على الغنائم،كما كانت في الكثير من الفترات تغير على القبائل الأضعف منها سواء البربرية أم العربية، إضافة إلى تركيز بعض السلاطين حملاتهم على النواحي الشرقية لتحقيق الهدف نفسه خصوصا

عثمان وأبي حمو وأبي تاشفين، على أنها وقعت ضحية لنفس المنطق في العديد من المعارك التي انهزمت فيها وبالأخص أمام المرينيين والحفصيين فقد كانت المحلة الزيانية عرضة لنهب المنتصر في كل معركة تنهزم فيها.

فرضت الحرب وضعا خاصا للأرض خلال الفترة مدار الدرس، فبسبب انعدام الأمن تحولت الفلاحة إلى معاش للمستضعفين بسبب كثرة الغارات من جهة والمغارم من جهة ثانية، وهو ما نتج عنه تراجع النشاط الزراعي، فمع اقتراب كل موسم حصاد كان الفلاحون يعانون من غارات القبائل المتنقلة وحتى من السلطة الزيانية، وهو ما كان له سبب مباشر في القضاء على كل محفزات زراعة الأرض، وأدى إلى إخلاء البسائط وتحول ديمغرافي إلى السكن في الجبال والمرتفعات، فضلا عن سياسة الإقطاع التي اتبعتها السلطة الزيانية لاستقطاب القبائل العربية في جيشها، وإذا كان بإمكانها انتزاع الإقطاع في مرحلة القوة، فإنه في مراحل ضعفها كانت عاجزة عن ذلك ولم تتجرأ على استرجاع أراضيها المقطعة لشيوخ القبائل العربية، وكان لهذه السياسة أثرها السلبي على الأراضي حيث غيرت هذه القبائل نمطها من الزراعي إلى الرعوي، كما شهدنا من خلال النوازل أن الإقطاع كان يمنح للأفراد إلا أنه عانى من نقائص بسبب تخوف الفلاحين من انتزاعها منهم في أي لحظة.

لم تكتف الحرب بترك بصماتها على الجانب المادي خلال الفترة مدار الدرس، بل غاصت في غياهب النفس البشرية وألقت بظلالها على نفسية الإنسان في المغرب الأوسط، فعاش وسط دوامة عنوانها الخوف المتجدد من عدة هواجس، سواء خوف من القتل أو من الأسر بل وحتى خوف من الجوع، فكان لهذا الشعور سلوكيات ترجمت كمحاولة منه للحد من هذه التخوفات، فرأينا أن الساكنة حاولت تأمين أغذيتها تحسبا للحصار، كما ركنت إلى سلطة رأت فيها جانبا كبيرا من تحقيق نوع من الاطمئنان النفسي، إنها سلطة الولي الصالح الذي سخر حياته للوقوف مع الساكنة في مواجهة تحديات العصر، فرأينا أن الساكنة رأت فيه السلطة الروحية الكفيلة بالوقوف في وجه السلطان وتحديه؛ كما رأينا شيوع ذهنية تعبر عن احتقان وتعطش وصل للرغبة إلى تخريب كل ما يمت بصلة للعدو أو الخصم، وترجم هذا الشعور في حالات تخريب العمران العسكري والمدني التي رصدناها.

عانى الإنسان خلال الفترة مدار الدرس من خوف دائم بسبب هاجس الموت الذي لازمه وسط حالة الحرب الدائرة في مجالات المغرب الأوسط، فقد وقفنا حسب النصوص على حالات قتل كثيرة وقعت خلال المعارك والغارات، وكان الأمراء ورجال البلاط وقودا لها فكان مصيرهم القتل في ساحة المعركة في أحسن الأحوال، أو التنكيل بهم من قبل الخصم حتى يتمنوا الموت في كل لحظة، فضلا عن جنود الجيش الزياني من مشاة وفرسان على اختلاف أصنافهم سواء من قبيل بني عبد الواد أو المرتزقة، إضافة إلى المتطوعة من القبائل العربية والبربرية،

دون إهمال عامة الناس العُزَّل الذين كانوا ضحايا الصراع السياسي والقبلي، فقد كانت كل غارة تحصد أرواح هؤلاء.

وجد المثقف نفسه ملزما على التعامل مع الوضع الأمني السائد، فالسلطة الزيانية على غرار السلطتين الحفصية والمرينية استخدمت العلماء كسفراء في عقد المعاهدات بينهم، والحال أن الحرب قد كان لها أثر سلبي على المثقف الذي كان في الكثير من المرات ضحية للصراع الدائر فقد كشفت علاقاتهم مع السلطة خوضهم تجارب تنمُّ عن طموح للمناصب، وهو ما ترجم في التجوال السياسي لهم بين البلاطات الثلاث بحثا عن منصب يرضي لهم طموحهم، إلا أن الكثير كانوا ضحايا لهذا الطموح الزائد، والجدير بالذكر أن الحرب لاقت لها انعكاسا في المنتوج الثقافي فقد رأينا أن قلم المثقف راح ينظر للحرب وأنواع الزحف وترتيب الجيوش وغيرها من التفاصيل المتعلقة بظاهرة الحرب.

الملاحق

وجهة الحملة	تاريخ الانطلاق	تاريخ العودة	مدة الحملة	المصدر والصفحة
برشك	693هـ		أكثر من أربعين يوما	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص133
بلاد توجين	12 ربيع الأول 698هـ	3شعبان 698هـ	خمسة أشهر	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص231
بلاد مغراوة وتوجين والسرسو	أواخر ذي الحجة 706هـ	رمضان 707هـ	9 أشهر	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص130

الملحق رقم 01: مدد بعض الحملات العسكرية خلال عهدي أبو سعيد عثمان وأبو زيان[1]

[1] محمد ناصري، خالد بلعربي، الحرب والأسرة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني–رؤية تاريخية أنثروبولوجية–، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 16، العدد02، تلمسان، 2020، ص324.

وجهة الحملة	تاريخ الانطلاق	تاريخ العودة	مدة الحملة	المصدر والصفحة
وادي ورك ببلاد العطاف	1 محرم 750هـ	أواخر ربع الثاني 750هـ	أربعة أشهر	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص157
بلاد مغراوة	شوال 750هـ	ربيع الأول 751هـ	ستة أشهر	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص157-158
تنس	محرم 752هـ	منتصف شعبان 752هـ	سبعة أشهر ونصف	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص160
	منتصف ذي القعدة 752هـ	ربيع الثاني 753هـ	خمسة أشهر ونصف	عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص161
وادي ورك ببلاد العطاف	10 محرم 750هـ	اخر ربيع الثاني 750هـ	4 أشهر	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص260.
وادي رهيو	23 شوال 750هـ	26 ذو القعدة 750هـ	شهر وثلاثة أيام	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص260.
تيعزيزن بشلف	6 رجب 751هـ	1 شوال 751هـ	ثلاثة أشهر	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص261، 262.
تنس	1 محرم 752هـ	18 رمضان 752هـ	تسعة أشهر	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص262.
	15 ذي القعدة 752هـ	3 ربيع الثاني 753هـ	خمسة أشهر	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، صص 262-263.

الملحق رقم 02: مدد بعض الحملات العسكرية خلال فترة حكم الأخوين أبو سعيد وأبو ثابت[1]

[1] محمد ناصري، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص325.

وجهة الحملة	تاريخ الانطلاق	تاريخ العودة	مدة الحملة	المصدر والصفحة
	2 جمادى الأولى 760هـ	2 جمادى الثانية 760هـ	شهر	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص48-49.
الصحراء	29 رجب 761هـ	8 رمضان 761هـ	أربعين يوما	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص74.
	18 رمضان 761هـ	2صفر 762هـ	4 أشهر ونصف	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص75-81
	21 رجب 763هـ	16 شوال 763هـ	شهرين و27يوم	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص100-106
	13 رجب 764هـ	4 شوال 764هـ	شهرين و21يوم	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص127-128.
	2رمضان 766هـ	4شوال 766هـ	32يوم	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص149.
	12 شوال 767هـ	15 ذو الحجة 767هـ	شهرين و3 أيام	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص171-172
	27 جمادى الأولى 768هـ	21 رمضان 768هـ	شهرين و22يوم	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص188،186.
	6ذو القعدة 768هـ	15 ربيع الأول 769هـ	أربع أشهر وأسبوع	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص188، 193.
	6شعبان769هـ	21شوال 769هـ	شهرين وأسبوعين	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص194 ،197.
	12 ذو القعدة 770هـ	1ربيع الأول 771هـ	3 أشهر و19يوم	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص212 ،217.
	18 ربيع الثاني 771هـ	13 جمادى الثانية 771هـ	شهر و25 يوم	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص224.
	14 محرم 772هـ	24 جمادى الأولى 774هـ	سنتين و4 أشهر	يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج2، ص229، 258.

الملحق رقم 03: مدد بعض الحملات العسكرية خلال فترة حكم أبو حمو الثاني[1]

[1] محمد ناصري، خالد بلعربي، المرجع السابق، صص325-326.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1-المصادر المخطوطة:

-المازوني، أبو زكريا يحي المغيلي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج2، شبكة الألوكة.

2-المصادر المطبوعة:

1-ابن أبي زرع الفاسي، علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

2- ابن أبي زرع الفاسي، علي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

3- ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري النصري، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بور سعيد، 2001.

4- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

5- الإشبيلي، أبي الخير، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

6- البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك، ج2، تحقيق أدريان فان ليوفن، أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 .

7- البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، تحقيق الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، د.س.

8- ابن البيطار، عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س.

9- التلمساني، عبد الله بن محمد الثغري، مناقب التلمسانيين، تحقيق قندوز بن محمد الماحي، دار الوعي، الجزائر، 2018.

10- التلمساني، محمد ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

11- التلمساني، محمد ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008.

12- التنبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000.

13- التنبكتي، أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ج1، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.

14- التنسي، محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

15- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983.

16- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

17- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

18- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، د.س.

19- ابن الحضرمي، محمد بن الحسن، الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

20- الحميري، عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.

21- ابن حوقل النصيبي، أبي القاسم محمد بن علي الموصلي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

22- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، ج2، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.س.

23- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1975.

24- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الإشارة إلى أدب الوزارة، دراسة وتحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.

25- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق وتعليق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، د.ت.

26- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.

27- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

28- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق حياة قارة، منشورات دار الأمان، الرباط، 2015.

29- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6-7، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

30- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ج1، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ج1، دمشق، 2004.

31- ابن خلدون، عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

32- ابن خلدون، يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1-2، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر،2011.

33- ابن رضوان المالقي، أبي القاسم، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، المغرب، 1984.

34-الزركشي، أبي عبد الله محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضوي، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 2002.

35- الزهري، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.

36- الزياني، أبو حمو موسى، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار النعمان، الجزائر، 2012.

37- ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958.

38- ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

39- شهاب الدين، أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، 1996.

40- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، النهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

41-الصفدي، صلاح الدين، أعيان العصر وأعوان النصر، ج3، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1998.

42-الطرطوشي، أبي بكر، سراج الملوك، ج2، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994.

43- ابن عاصم الغرناطي، محمد، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، تعليق أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق الرقمية، القاهرة، 2014.

44- العاملي، ابن سماك، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.

45- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب(قسم الموحدين)، تحقيق محمد بن إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

46- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج1، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

47- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2002.

48- ابن القاضي المكناسي، أبي العباس أحمد بن محمد، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.

49- القرافي، بدر الدين، توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.

50- القريشي، التلمساني علي بن محمد بن الخطيب، كتاب نسب زغبة ومنتهى أصلهم، تحقيق طيب بوجمعة نعيمة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2019.

51- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915.

52- القلقشندي، أبي العباس أحمد، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980.

53- ابن القنفذ القسنطيني، أحمد بن الحسين بن علي، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

54- كاربخال، مارمول، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، 1989.

55- المازوني، أبو زكريا يحي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج2-3-4، تحقيق مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.
56- المازوني، موسى بن عيسى، مناقب صلحاء الشلف، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
57- المالكي، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج2، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1976.
58- المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

59- ابن مريم، أبي عبد الله محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010.
60- المقري التلمساني، أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج5، تحقيق سعيد أحمد عراب، عبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، 1980.
61- المقري التلمساني، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج5، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
62- المقرئ، أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.
63- المقريزي، تقي الدين، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997.
64-والمقريزي، تقي الدين، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج3، تحقيق وتعليق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002.

65- الملزوزي، أبي فارس عبد العزيز، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، 1963.
منظور، جمال الدين محد بن مكرم، لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، د.س.
66-مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.س.

67- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
68- مؤلف مجهول، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب، دراسة وتحقيق أحمد عزاوي، مطبعة الرباط نيت، الرباط، 2008.

69- النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

70- الهرثمي، أبو سعيد الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.س.

71- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج1-2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983.

72- الونشريسي أبو العباس، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب، ج2، تخريج جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

73- الونشريسي أبو العباس، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب، ج4، تحقيق محمد عثمان، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

74- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860.

ثانيا: المراجع

1-المراجع العربية والمعربة

1-ابن الأعرج أبو عبد الله محمد السليماني، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، تحقيق مختار حساني، ضمن كتاب التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

2-أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.

3-اجميلي حميد، جوانب من التاريخ الديموغرافي بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، منشورات مركز تافيلالت للدراسات والتنمية والأبحاث التراثية، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2016.

4-أحمد موسى عز الدين، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة، 1983.

5-إسماعيل محمود، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج6، سينا للنشر، بيروت، 2000.

6-إسماعيل محمود، نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

7-إسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج1، الدار البيضاء، 1985.

8-أومليل علي، الخطاب التاريخي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، بيروت، 1985.

9-البارودي رضوان، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007.

10-برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

11-برودیل فرناند، البحر المتوسط والعالم المتوسطي، ترجمة عمر بن سالم، تونس، 1990.

12-بروسلار شارل، كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان، عربه وقدمه الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

13-بسيوني رسلان صلاح الدين، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، كتب عربية، القاهرة، د.س.

14-بشاري لطيفة زوجة بن عميرة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.

15-بلعربي خالد، إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018.

16-بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية (633-681هـ/1235-1282م)، الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

17-بلعربي خالد، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية، دار الألمعية، الجزائر، 2011.

18-بلعربي خالد، ورقات زيانية، دار هومة، الجزائر، 2014.

19-بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر، 2013.

20-بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2013.

21-بنحمادة سعيد، الغرب الإسلامي-مباحث في العلوم التجريبية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013.

22-بنمليح عبد الإله، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، 2002.

23-بوتشيش إبراهيم القادري، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، 2002.

24-بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993.

25-بوتشيش إبراهيم القادري، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 2006.

26-بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1998.

27-بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

28-بوعقادة عبد القادر، مقاربات في تاريخ المغرب الأوسط، دار الخلدونية، الجزائر، 2019.

29-بوقاعدة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م، ميم للنشر، الجزائر، 2015.

30- بوقاعدة البشير، فن الحصار في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10-14م)، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان،2017.

31-بولعراس خميسي، النخب العسكرية بالغرب الإسلامي، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018.

32-بولعراس خميسي، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018.

33-البياض عبد الهادي، أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب والأندلس، كتاب المجلة العربية، الرياض، 1434هـ.

34-البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ)، دار الطليعة، بيروت، 2008.

35-البياض عبد الهادي، المناخ والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، كتاب المجلة العربية، الرياض، 1436هـ.

36-تابليت عمر، هوارة ودورها في تاريخ المغرب، الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

37-تيتاو حميد، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2009.

38-الجابري محمد عابد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

39-الجبوري خالد محمد عباس، الإستطلاع ودوره في التاريخ العربي الإسلامي لغاية 23هـ-645م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.

40-جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1930م، تعريب محمد مزالي، بشير سلامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، تونس، 1978.

41-حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

42-حاجيات عبد الحميد، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والغرب الإسلامي، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

43-الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، دمشق، 1981.

44-الحداد حميد، التاريخ والنفسانيات، مطبعة شمس برينت، سلا، 2019.

45-الحداد حميد، النفي والعنف في الغرب الإسلامي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2013.

46-الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1987.
47-حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، ج1-2، دار الهدى، الجزائر، 2013.
48-حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
49-خطيف صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
50-خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 6-9هـ/12-15م، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2011.
51-الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
52-الدراجي بوزياني، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 2013.
53-الدغمي محمد راكان، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985.
54-دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
55-زبير لوبنى، الماء والحرب بالمغرب زمن السعديين، دار الأمان، الرباط، 2016.
56-سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999.
57-سامعي إسماعيل، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
58-سعيد إدوارد، المثقف والسلطة، ترجمة وتقديم محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
59-الشقراني الراشدي أحمد بن عبد الرحمن، القول الأحوط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم، ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
60-الطيبي أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1997.
61-عارف عبد الغني، نظم الإستخبارات عند العرب المسلمين، دار الهدى، الجزائر، د.س.
62-عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، دار الغرب، وهران، 2003.
63-العروي عبد الله، مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، ط5، المغرب، 2012.
64-عزاوي أحمد، قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، مطبعة الرباط نيت، الرباط، 2010.
65-عزاوي أحمد، محطات في تاريخ المغرب الوسيط، مطابع الرباط نت، الرباط، 2017.
66-العلام عز الدين، الآداب السلطانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2006.

67-علوي حسن حافظي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1997.
68-علوي محمد أمراني، سجلماسة وتأثير التجارة في العهد المريني، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2015.
69-عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس-عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990.
70-عون عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، 1961.
71-عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، القاهرة، 1980.
72-فاليرين دومينيك، بجاية ميناء مغاربي، ج1، ترجمة علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014.
73-فرحات كرم حلمي، تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، 2007.
74-فيلالي عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، 2012.
75-فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1-2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
76-قرني حسن، المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012.
77-قويدر بشار، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب والمشرق، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2011.
78-كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج2، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1997.
79-كرراز فوزية، دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
80-لطيف محمد عادل، الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، زينب للنشر، تونس، 2019.
81-مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004.
82-محبوبة عبد الهادي محمد رضا، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.
83-المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، ج1، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
84-مزيان عبد المجيد، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي-دراسة فلسفية اجتماعية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2001.
85-المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
86-معلوف لويس، المنجد في اللغة العربية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،د.س.

87-الناصري أبو العباس، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
88-هوبز توماس، الليفياثان، ترجمة ديانا حرب، بشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011.
89-هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1980.
90-الوردي علي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان، ط2، لندن، 1994.

2-المراجع الأجنبية:

1-Bargés, Tlemcen Ancienne Capitale du Royaume de ce nom, imprimerie Orientale Demauricenicolas, paris, 1859.
2-Chantal de la Véronne, Yaghmurasan Premier Souverain de la Dynastie Berbére des abd-al Wadides de Tlemcen 633/ 1236-681/ 1283, editions bouchene, France, 2006.
3-Charles Emmanuel Dufourcq, L'Espagne Catalane et le Maghrib aux 12 et 13 siécles, presses universitaires de France, Paris, 1966.
4-Dhina Amar, califes et Souvrains, entreprise national du livre, 3bd, ziroudyoucef, alger, 1991.
5-Fatima Zohra Bouzina Oufriha, au temps du royaume Zeiyyanide la vie économique, enag edition, alger, 2017.
6-Générale G.Faure-biguet, histoire de l'afrique septentrionale sous la domination musulmane, Paris.
7-Henri Fournel, étude sur la conquéte de l'afrique par les Arabes, l'imprimerie impériale, Paris.
8-Ismael Hamet, Histoire du Maghreb ,edition sernestleroux, Paris, 1923.
9-Kably Mohamed,Société pouvoir et religion au maroc à la fin du moyen àge,paris ,1986,p73.

10-Mas Laterie, Traités et documents divers concernants les relation des chrétiens avec les arabes de l'afrique septentrionale au moyen age, henripalon, imprimeur de l'empereur, paris, 1866.
11-William Marcias, Georges Marcias, les monument arabes de tlemcen, Ancienne Libraire Thorin Et fils Albert Fontemoing, Paris, 1903.

3-الرسائل الجامعية:

1-أعزيبي زهوة، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، أطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2019.
2-بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية بالمغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2017-2018.
3-بكاي عبد المالك، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2013-2014.
4-بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007-2008.
5-بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (7-8هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر لابن خلدون، مذكرة ماجستير، جامعة وهران السانيا، 2009-2010.
6-تواتي حسين، حكامة التسيير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017-2018.
7-عباس قويدر، الجيش في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016.
8-عمروش حسيبة، انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)، أطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2017-2018.
9-كرطالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)، مذكرة ماجستير، جامعة وهران 1، 2013-2014.
10-كرطالي أمين، سلطة شيوخ العرب بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2017-2018.
11-مكيوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2007-2008.

12-نقادي سيدي محمد، إسهامات الإمام الآبلي في الحياة الفكرية بالمغرب الكبير-تلمسان-، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2009-2010.

13-هيصام موسى، الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2000-2001.

4-المقالات بالعربية:

1-بشاري لطيفة بن عميرة، علاقة بني عبد الواد(بنو زيان،تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن 7-10هـ/13-16م، مجلة أفكار وآفاق، العدد 3، جامعة الجزائر 2، 2012، صص60-72.

2-بلعربي خالد، الصراع العسكري الزياني المريني: أسبابه ونتائجه، مجلة الحضارة، العدد 14، جامعة وهران، 2010، صص185-190.

3-بنحمادة سعيد، الأغذية والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: مدخل لدراسة العوائد والقيم، ضمن كتاب النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، منشورات الزمن، الرباط، 2016، صص53-121.

4-بنحمادة محمد، صراع النخبة في الغرب الإسلامي من خلال التجربة السياسية لابن الخطيب، ضمن كتاب " النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي: ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2015، صص90-112.

5-بوتشيش إبراهيم القادري، عبد الهادي البياض، ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها زمن المجاعات: المغرب والأندلس من القرن 6هـ حتى القرن 8هـ/ 12-14 أنموذجا، مجلة عصور الجديدة، العدد 7-8، 2012،2013، وهران، صص31-49.

6-بوتشيش إبراهيم القادري، نصائح الآداب السلطانية كآلية استباقية لتجنب العنف بمغرب العصر الوسيط، ضمن كتاب " العنف في تاريخ المغرب"، منشورات ملتقى الطرق، الدار البيضاء، 2015، صص85-108.

7-التريكي فتحي، السيف والقلم: ابن خلدون وإشكالية الحرب، مجلة آفاق وأفكار، العدد الأول، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011، صص1-9.

8-تيتاو حميد، المشهد الزراعي بالمغرب الأقصى أواخر العصر الوسيط، ضمن كتاب الفلاحة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2019، صص67-127.

9-دحماني سهام، المصطلحات الاقتصادية في كتب النوازل-نوازل المازوني نموذجا-، ضمن كتاب المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، تنسيق بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

10-زاوي بوبكر، عبد الرحمن بن خلدون والسلطة الزيانية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 3، جامعة سيدي بلعباس، 2016، صص147-154.

11- لدرع آمال، الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي "غياب الأمن" "غزو تلمسان وحصاراتها أنموذجا"، مجلة منتدى الأستاذ، العدد الثامن عشر، 2016، صص163-189.

12-عبيد بوداود، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية، مجلة عصور، عدد 6-7، جامعة وهران 1، 2005، صص189-197.

13-عطية أمال سالم، السفارات المتبادلة بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق13-14م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 3، جامعة سيدي بلعباس، 2016، صص101-116.

14-عطية أمال سالم، دور العلماء والفقهاء في السفارة بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق13-14م)، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 7، عدد 19، جامعة زيان عاشور الجلفة، د.س، صص23-30.

15-فيلالي عبد العزيز، الأقلية المسيحية في تلمسان الزيانية ودورها في المجال العسكري والتجاري والعمراني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 19، العدد 1،جامعة الأمير عبد القادر، 2004، صص190-203.

16-القاضي وداد، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، ضمن كتاب مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، صص129-222.

17-نشاط مصطفى، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، 1995، صص117-135.

18-الهلالي محمد ياسر، اغتيال السلطان يوسف بن يعقوب المريني: قراءة في نصوص تاريخية ومنقبية لحادثة المنصورة، ضمن كتاب التاريخ والفقه: أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني، تنسيق محمد حجي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002، صص229-259.

19-الهلالي محمد ياسر، الاشتغال بالفلاحة في مغرب أواخر العصر الوسيط "علاقة التمثلات بالواقع التاريخي"، ضمن كتاب الفلاحة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2019، صص129-166.

20-يخلف حاج عبد القادر، "العلاقات الخارجية للدولة الزيانية"، مجلة عصور الجديدة، العدد2، جامعة وهران، 2011، صص143-158.

–أ–

إبراهيم الحفصي: 35.
إبراهيم العقباني: 165.
إبراهيم بن حسن الكناني السلوي: 199.
إبراهيم بن زيان: 202.
إبراهيم بن عبد الملك الكومي: 52-76-203.
إبراهيم بن عمران: 90.
إبراهيم بن يخلف التنسي: 120.
الآبلي: 194.
ابن أبي تجلى: 25.
ابن أبي زرع: 93-98-164.
ابن أحشمي: 151-178-188.
ابن الأعرج السليماني: 93.
ابن الخطيب: 133-213.
ابن جرار: 20.
ابن جلاب: 155.
ابن حسون: 155.
ابن خميس التلمساني: 213.
ابن عرفة: 207.
ابن علال: 196.
أبو إسحاق الحفصي: 212.
أبو الحجاج بن أبي حمو الثاني: 196.
أبو الحسن التنسي: 214.
أبو الحسن المريني: 20-21-52-81-92-120-133-147-151-156-157-180-205-211-213.
أبو العباس الحفصي: 36.
أبو العباس بن الخياط: 184.
أبو الفضل العقباني: 165.
أبو الليل بن أبي موسى: 80-191.
أبو بكر بن الغازي بن الكاس: 26-199-215.
أبو بكر بن خطاب: 50.
أبو بكر بن عريف: 43-177-188-191-212.

أبو تاشفين الأول: 20-26-33-34-35-36-42-44-63-64-76-91-92-96-98-99-100-106-107-112-117-121-150-151-156-157-159-163-180-184-184-185-189-190-191-195-198-200.

أبو تاشفين الثاني: 43-54-64-65-66-69-76-77-86-87-88-101-153-154-179-181-187-191-196-198-199-200-204-211.

أبو ثابت: 20-21-26-42-43-44-52-53-55-64-76-83-91-92-98-99-100-107-108-112-114-150-151-157-158-159-175-177-178-180-182-187-191-196-201-203-207-211.

أبو حمو موسى الأول: 19-20-33-36-42-44-51-52-55-62-63-76-95-100-105-106-112-121-150-156-159-170-180-191-195-198-200-210-211.

أبو حمو موسى الثاني:21-22-23-24-25-26-35-36-37-43-44-53-54-55-64-65-74-76-77-100-102-103-108-109-110-111-112-113-114-115-116-117-118-119-120-121-133-140-144-147-151-152-153-154-158-159-163-168-175-176-177-178-179-180-181-182-185-187-188-189-190-191-196-198-199-200-202-203-204-205-207-211-212-215-216.

أبو زكريا الحفصي: 32-49-155-174.

أبو زيان المريني: 189.

أبو زيان بن أبي تاشفين الثاني: 65-200.

أبو زيان بن أبي حمو الثاني: 69-88-196-200.

أبو زيان بن أبي يحيى الراشدي: 76.

أبو زيان: 42-44-51-55-62-75-99-149-170.

أبو سالم المريني: 24-25-84-119-189-211.

أبو سرحان: 198.

أبو سعيد المريني: 156.

أبو سعيد عثمان بن عامر: 120.

أبو سعيد عثمان: 19-32-36-42-44-50-51-53-55-75-93-97-104-105-111-112-119-120-149-156-159-161-170-187-193-194-202-203-214.

أبو سعيد: 20-21-26-44-52-53-55-64-76-83-92-98-99-100-107-108-112-114-150-175-178-182-184-187-195-201-211-214.

أبو عامر إبراهيم: 169.

أبو عبد الله محمد بن المعلم: 97.

أبو علي بن أبي سعيد المريني: 20.

أبو عمران موسى: 95.

أبو عنان المريني: 21-22-35-43-52-64-83-91-141-176-178-184-196-214.
أبو فارس الحفصي: 36-66.
أبو فارس عبد العزيز المريني: 26-87-213.
أبو مالك عبد الواحد: 36-37-44-66-70.
أبو محمد عبد الواحد: 196.
أبو مدين شعيب: 155.
أبو يحيى الحفصي: 33-34.
أبو يحيى بن أبي حمو الثاني: 66-70.
أبو يحيى بن يغمراسن: 75.
أبو يعقوب الزياني: 23-24-94-113-121-152-176-205-206.
أبو يعقوب يوسف المريني: 51-134-156-164-184- 203-213-214.
أبو يوسف يعقوب المريني: 155-181.
أبي إبراهيم بن مظفر: 188.
أبي الحسن علي بن سعود: 188.
أبي بكر بن عبد الحق المريني: 14-15.
أبي دبوس: 16-17.
أبي عبد الله ابن سيد الناس: 34-35-36-202.
أبي عبد الله الأكبر بن مرزوق: 157.
أبي عبد الله المدخس: 155.
أبي عمر بن أبي سعيد المريني: 20.
أحمد العاقل: 66-70-199-206.
أحمد الغماري: 188.
أحمد بن أجانا: 151-178-188.
أحمد بن الحسن: 211.
أحمد بن الناصر العبد الوادي: 199.
أحمد بن رحو: 202.
أحمد بن قاسم بن الحاج: 120.
إدوارد سعيد: 214.

-ب-

بركات بن حسون البواق: 202.
بروسلار: 48-215.
بيدرو الرابع: 190.

بيرنيس: 178.

-ت-

تاشفين بن أبي الحسن المريني: 20.
تاغزوت: 187.
التنسي: 100-141-143-175-196.
توماس هوبس: 154-190-217.
التيفاشي: 186.

-ث-

ثابت بن منديل: 49-50-203.

-ج-

جا الخير: 36-66.
جاك الثاني: 96-185-189.
جوم بيريز: 95.

-ح-

الحسن الوزان: 110-111-141.
حماموش بن عبد الملك بن حنينة: 198.
حمزة بن علي بن راشد المغراوي: 199-203.
حمزة بن عمر بن أبي الليل: 33-34.
الحميري: 186.

-خ-

خالد بن عامر: 43-54-64-77-85-87-153-178-184-204-212.

-د-

داود بن هلال: 170.
دي فيلارجو: 95.

-ر-

راشد بن محمد المغراوي: 51.
رحمون بن هارون بن منديل: 203.
رحو بن عثمان: 188.
رودريقو سانشيز دي فيرغاس: 95.

-ز-

زكراز بن أعجمي: 202.
الزلديوي: 207.
زيان بن عمر الوطاسي: 65.
زيرم بن حماد: 50-210.

-س-

سالم بن إبراهيم: 204.
سعادة: 65.
السعيد الموحدي: 90-95-149-187-201.
السعيد بن أبي حمو الثاني: 70.
سعيد بن عثمان: 188.
سقير بن عامر: 177.
سقير بن عامر: 87.
سوط النساء: 201.
سيدي الشريف: 170.

-ش-

شعيب بن إبراهيم المعطاوي: 23-76-121.
شعيب بن عامر: 64.

-ط-

طالب بن مهلهل: 34.

-ع-

عابد بن منديل: 49-203.
عامر بن ماساي: 23-202.
العباس بن موسى بن عامر: 204.
عبد الحق بن عثمان الحفصي: 198.
عبد الحق بن عثمان السليمي: 34.
عبد الرحمن ابن الإمام: 210.
عبد الرحمن ابن خلدون: 14-48-63-79-81-82-87-90-96-97-140-141-148-150-161-168-169-170-182-191-194-195-196-202-212-215-216-217-218-219.
عبد الرحمن ابن مخلوف الشامي: 23-85.
عبد الرحمن السنوسي: 213.
عبد الرحمن الواغليسي: 170.

عبد الرحمن بن الكليب: 65.
عبد الرحمن بن عريف: 177-188.
عبد الرحمن بن محمد بن خولة: 66-88.
عبد الرزاق بن عبد الواحد: 188.
عبد العزيز المريني: 215.
عبد القوي بن عطية: 90-92.
عبد الله العروي: 216.
عبد الله بن أبي الحسن المريني: 21-188.
عبد الله بن سقير: 87-204.
عبد الله بن مسلم: 24-35-77-85-94-110-114-152-153-162-176-177-191-206.
عبد الله بن ياسين: 209.
عبد الملك ابن حنينة: 16-121-197.
عبد المؤمن بن علي: 52.
عبد الواحد بن محمد اللحياني: 33.
عبو بن سعيد بن أجانا: 158.
عثمان البياضي: 202.
عثمان بن أبي حمو الثاني: 179.
عثمان بن جرار: 201.
عثمان بن داود بن هلال: 81.
عثمان بن ونزمار: 202.
عطية بن منيف: 203.
عطية بن موسى: 53-54-64-180.
علوش الصباحي: 188.
علي ابن أبي عدى: 25-53-202.
علي بن القبائلي: 202.
علي بن جدار الونجاسني: 202.
علي بن راشد: 92-203.
علي بن سعيد بن أجانا: 188.
علي بن عبد الرحمن بن الكليب: 199.
علي بن عبد الله بن الملاح: 198.
علي بن عمر الموحدي: 83.
علي بن عمر: 16.
علي بن محسود: 141.

علي بن مسعود الونجاشني: 202.
علي بن هارون المغراوي: 53-54.
عمر بن عبد الله بن علي: 85.
عمر بن عثمان: 198.
عمر بن محمد بن مجن: 86.
عمر بن منديل: 49-203.
عمر بن موسى المطهري: 35-121.
عمر بن ويعزن: 203.
عمر بن يغمراسن: 18-200.
عمران بن فارس اللؤلؤي: 76-121.
عمران بن موسى بن جرار: 201.
عمران بن موسى بن فارس: 64.
عموش بن مجن: 197.
عمير بن أبي حمو الثاني: 179-187-200.
عنان بن نصر: 198.
عنبر: 201.
عنتر بن طراد: 169.
عيسى بن أبي الفتوح: 180-198.
عيسى بن ماسين: 202.
عيسى بن مزروع الياتكتني: 35-121.

-غ-

غالب بن غالب: 199.

-ف-

فارح:24-177.
فارس بن أبي حمو الثاني: 179.
فارس بن يغمراسن: 200.
فيليب دي مورا: 95.

-ق-

قاسم العقباني: 157.
قراقوش التقوي: 79-93.
قيوم استيريس: 96.
قيوم قالثيران دي كارتيلا: 95.

–م–

الماوردي: 186.
المتوكل: 44-54-55-66.
محمد ابن قضيب الرصاص: 179.
محمد ابن مرزوق: 111-117-143-165-211.
محمد الأشقر: 198.
محمد الفقيه: 19.
محمد المعتمد: 36.
محمد بن أبي بكر بن مرزوق: 155.
محمد بن أبي حمو الثاني: 182.
محمد بن أحمد الشريف التلمساني: 212.
محمد بن الحمراء: 36-37-70.
محمد بن برهوم: 52.
محمد بن زكراز: 25.
محمد بن زيان الولادي: 204.
محمد بن سلامة: 198.
محمد بن عبد الله بن مسلم: 65-199.
محمد بن عبد عبد القوي: 50-90-155-187.
محمد بن عثمان: 77.
محمد بن عريف: 43.
محمد بن علي بن العزفي: 202.
محمد بن عمر الجمي: 52-83.
محمد بن غالية: 66-70-199.
محمد بن مسعود الوعزاني: 196.
محمد بن مسكين الحكيمي: 34.
محمد بن منديل: 49-203.
محمد بن ميمون الملاح: 198.
محمد بن ونزمار: 178.
محمد بن يحيى: 86.
محمد بن يوسف بن عنان: 197.
محمد بن يوسف: 33-52-63-64-68-76-107-121-191-200.
المرتضى: 14-16-93.

مسامح: 33-51-63-121-198.
المستعين: 44-54-55.
مسعود القتيل: 198.
مسعود بن أبي تاشفين الأول: 200.
مسعود بن أبي عامر: 198.
مسعود بن برهوم: 33-63-121.
مسعود بن سلطان بن زمام: 79.
معروف الكبير: 180-198.
المقريزي: 194.
ملوك بن سقير: 204.
المنتصر: 65.
منصور ابن خلوف اليابابي: 25-53-77-153-202.
المهدي بن تومرت: 209.
موسى بن عطية: 65.
موسى بن علي الغزي: 20-33-34-63-93-121-150-180-198.
موسى بن علي بن برغوث: 22-23-64-76-91-114-121-178.
موسى بن يخلف: 65-198.

-ن-

ناصح: 201.
الناصر بن أبي الحسن المريني: 20-52-202.
نيكولاس الرابع: 96.

-هـ-

هارون المطغري: 19.
هلال القطلاني: 185.

-و-

وادفل بن عبو: 85.
الوزجوني: 22-151.
ونزمار بن عريف: 25.

-ي-

يحي ابن خلدون: 22-52-53-76-77-83-87-91-92-95-96-98-146-149-191-201-207-214-215.

يحي ابن يغمراسن: 16.
يحي بن داود بن مجن: 197.
يحي بن علي بن عبد الرزاق البطوي: 24-177.
يحي بن علي: 186.
يحي بن موسى السنوسي: 43-143.
يعقوب بن عبد الحق المريني: 15-17-18-19.
يعقوب بن علي بن أحمد: 191.
يعيش بن راشد: 121.
يغمراسن بن حمامة: 121-197.
يغمراسن بن سلامة: 203.
يغمراسن: 13-14-15-16-17-18-19-26-32-36-41-48-49-50-55-62-74-75-80-81-82-83-90-91-92-93-95-96-97-98-99-100-103-104-105-110-111-112-115-121-149-155-156-157-164-168-169-174-176-178-180-181-187-190-197-199-200-201-203-204.
يوسف الشيطان: 202.
يوسف بن أبي حمو الثاني: 66-70-200.
يوسف بن تاشفين: 93.
يوسف بن حسن بن عزيز: 63.
يوسف بن عبد القوي: 90.
يوسف بن مهدي: 169.

–أ–

أبي سليط: 15-28.

أجرسيف: 31-152-163.

أجرواو: 52-128.

أذربيجان: 93.

الأربعاء: 34.

أرجّو: 31-117.

أطار ان وفاطيس: 61.

إفريقية: 20-33-98.

الأندلس: 18-19-79-179-211-212.

أنكاد: 29.

أوطاط: 31-206.

أوماكرا: 31.

إيسلي: 14-18-19-28-29-49-75-91-92-95-98-155-158-178-181-202-204.

إيغيل ان توفلين: 21-29.

–ب–

باجة: 78.

بجاية: 22-32-33-34-35-36-39-40-51-52-79-85-86-88-98-99-106-118-125-126-127-132-133-134-156-159-178-192-212.

برشك: 50-51-52-58-59-60-126-210.

برشلونة: 95-152.

البطحاء: 64-65-69-81-169-192-202.

بقود: 153.

بلاد الزاب: 79.

بلاد الهبط: 79.

بلاد مليكش: 63.

بلحني: 26-31.

بني حسن: 35-40-176.

بونة: 34-40.

بيطار: 176.

-ت-

تابريديا: 25-31.

تازة: 14-25-88-130.

تاسابيت: 82.

تاغزوت: 40-176.

تافريست: 16-28.

تافيلالت: 82.

تامة: 126-164.

تامزيزدكت: 35-40-75-98-100-118-121-156.

تامنصرت: 31.

تاوريرت: 20-25-29-30-31-152.

تاوغزوت: 90.

تاونت: 18-29.

تدلس: 35-36-40-129.

تسالة: 81-86-169.

تغالين: 46.

تل بني راشد: 43-54-81-90.

تلاغ: 17-18-28-115-158-181.

تلمسان: 13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-25-26-30-32-33-34-35-36-39-40-41-42-43-48-51-53-54-63-64-65-66-69-70-75-76-77-79-80-81-84-85-86-87-88-89-91-97-99-100-101-110-114-116-118-119-125-126-127-128-130-132-133-134-135-137-139-140-141-143-144-147-150-151-152-153-154-155-156-157-159-161-162-164-165-168-174-175-177-181-182-189-190-191-193-198-200-201-204-206-207-211-212-213-214-215-222-223-224.

تمزغران: 55-62-65.

تمنطيط: 82.

تنس: 23-25-30-49-50-52-53-54-57-58-61-62-65-76-128-129-132-178-188-207.

توات: 82.

تونس: 20-21-35-39-49-52-66-83-151.

تيط وشقوف: 22-30.

تيعزيزن: 20-29.

تيكورارين: 82.

تيمزوغت: 54-61.

-ث-

ثنية تاغروطت: 31.

-ج-

جاجرت: 20-29-150.

جبل أشير: 80.

جبل أغبال: 166.

جبل الزان: 151.

جبل المستند: 81.

جبل بني أبي خليل: 47.

جبل بني بوسعيد: 126-166.

جبل بني ثابت: 22-29-33-39-151-175.

جبل بني ورنيد: 65-66-69-70-166.

جبل بني يزناسن: 26-31-141-166.

جبل تيطري: 47-82-129-130.

جبل جزول: 47.

جبل حصين: 47.

جبل حنش: 42.

جبل زاتيما: 53-61.

جبل عياض: 35-40-151.

جبل كيدزة: 169.

جبل مديونة: 89.

جبل مطغرة: 166.

جبل مغراوة: 166.

جبل موصاية: 127-191.

جبل هوارة: 87.

جبل واشيلاس: 30-76.

جبل وانشريس: 24-30-61-64-69-126-129-166.

جبل ولهاصة: 166.

جبل يلسيت: 54-61-154-176.

الجزائر: 21-24-25-30-35-43-48-53-65-76-94-127-129-130-132-133-182-188-206.

الجعبات: 90.

جلدامان: 149.

-ح-

حصن تاحجموت: 130.

حصن تافركينت: 49-50-51-57-58-59-125-132.

حصن توكال: 68-127.

حصن متيجة: 48.

حمزة: 35-40-42-47-80-81-91-111-153-162-169-176-192.

-خ-

خراسان: 93.

خرزوزة: 19-29-50.

-د-

دبدو: 25-26-31-163.

درج: 84.

درعة: 82.

الدهوس: 81.

الدياس: 40.

-ذ-

ذراع الوسط: 43-47-176.

-ر-

رباط تاسكدلت: 59-154.

ريغ: 47-146-181.

-ز-

زرقون: 146.

-س-

ساروج: 93.

سجلماسة: 15-16-20-28-75-83-87-89-125-129-132-133-197-206.

السرسو: 46-47.

سعيدة: 180.

سيرات: 81-169.

-ش-

شرشال: 52-60.

شلف: 20-21-51-53-59-64-65-69-86-89-90-180-182-203.

شهرزور: 93.

-ط-

طرابلس: 79.

طريف: 21.

غرناطة: 17.

فاس: 14-15-78-89.

قابس: 79.

قسنطينة: 33-34-36-39-40-79-84-127-128-132-141-144-145-150.

قطلونية: 177.

قلعة بني سلامة: 50-51-58-59-126.

قلعة هوارة: 43-48.

كارث: 163.

كلدامان: 16-28.

مازونة: 50-52-53-58-60-61-65-69-125-126-132-169-176.

متيجة: 25-31-42-44-46-50-54-58-82-88-154-162-176-207.

المدية: 24-30-50-52-54-58-60-61-63-64-69-80-91-92-169-176-177.

مديونة: 90-169.

مراكش: 17.

مرماجنة: 34-39.

مستغانم: 55-62-65-190.

المسيلة: 79.

مصاب: 146.

المغرب الأدنى: 92.

المغرب الأقصى: 13-79-82-90-92-131.

المغرب الأوسط: 21-23-32-51-52-53-79-80-87-111-119-131-134-136-150-162-163-167-169-174-175-186-188-192-194-206-207-213-216-224-225.

المغرب: 14-17-84-152-212.

المغرب: 212.

المقرمدة: 15.

ملاتة: 48.

ملاكو: 43.

ملالا: 87.

ملوية: 31-82-89.

مليانة: 24-30-49-52-54-57-60-62-63-64-65-129-169-177-214.

منداس: 90.

منورقة: 177.

ميلانة: 169.

ميلة: 22-29-128-175.

ميورقة: 177.

ندرومة: 52-60-111-126-207.

نفطة: 35-40.

نفوسة: 186.

نهل: 52-59.

هنين: 16-52-60-133-179-190.

الواد الشارف: 34-40.

وادي اصطفصيف: 30-65-69-76.

وادي الجنان: 42-47.

وادي تمل: 51.

وادي رهيو: 52-111.

وادي شلف: 61.

وادي ملال: 43-47-151-175-177-180-187.

وادي مينة: 25-31.

وادي ورك: 20.

وارجلان: 47-146.

وجدة: 14-21-30-75-111-127-152.

وهران: 22-23-24-25-30-31-55-62-65-66-70-126-128-129-132-133-153-164-177-184-188-190-197-202-206.

يابسة: 177.

يلل: 53.

فهرس المحتويات

مقدمة .....أ

الفصل الأول: كرونولوجيا الصراع العسكري للدولة الزيانية.....11

أولا: المواجهات العسكرية الخارجية:.....12

1- الحروب مع المرينيين: 12

2- الحروب مع الحفصيين: 32

ثانيا: المواجهات العسكرية الداخلية: 41

1- القبائل العربية: 41

2- القبائل البربرية:.....47

3-الصراعات الأسرية: 62

الفصل الثاني: الجيش الزياني: الحضور والتنظيم.....71

أولا: التركيبة البشرية: 73

1-بنو عبد الواد: 74

2-القبائل العربية: 77

أ- رياح: 77

ب-زغبة: 78

ج-المعقل:.....80

د-الحضور العسكري للقبائل العربية:.....81

3-القبائل الزناتية: 87

أ-مغراوة:.....88

ب–بنو راشد: 88
ج–بنو توجين: 89
د–الحضور العسكري للقبائل الزناتية: 89
4–الغز: 91
5–العبيد والأعلاج: 93
6–المرتزقة المسيحيون: 93
ثانيا: إدارة الجيش: 96
1–ديوان الجند: 96
2–تعداد الجيش: 96
3–رواتب الجند: 108
ثالثا: تقسيم الجيش: 112
1–تعبئة الجيش: 113
2–فرق الجيش: 114
أ–الفرق المقاتلة: 114
ب–العناصر غير المقاتلة: 116
3–قادة الجيش: 119
الفصل الثالث: الانعكاسات الاقتصادية 122
أولا: الحرب والغذاء: 123
1–الحصار وآثاره على توفير الغذاء: 123
2–التدابير الغذائية لمواجهة الأزمة: 139
3–الحرب والماء: 144

ثانيا: الحرب والنهب: 148

1–أمراء الدولة الزيانية والنهب: دافع مشترك 149

2–تضرر الجيش وأحواز تلمسان من النهب: 154

أ–نهب عمالات الدولة الزيانية: 154

ب–نهب المحلة الزيانية: 157

ثالثا: الحرب والأرض 160

1–تضرر المجال الفلاحي: 160

2–الإقطاع وتغيير نشاط الأراضي: 166

الفصل الرابع: الانعكاسات الاجتماعية والذهنية 172

أولا: الترسبات الذهنية للحرب: 173

1–الحرب والخوف: 173

2–الضغوطات النفسية للحصار: 175

3–الحرب والتصوف: 177

4–الحرب والإدخار: 184

5–ذهنية التخريب: 186

أ–تخريب العمران العسكري: 186

ب–تخريب العمران المدني: 189

ثانيا: الحرب والقتل: 192

1–القتل الفردي: 192

أ–أمراء بني عبد الواد: 192

ب–موظفو السلطة ووجوه البيت العبد الوادي: 196

ج–أبناء الأمراء: 199
د–وجوه حركات المعارضة: 200
هـ–قتلى الجهة الغربية: 200
و–وجوه القبائل الداخلية: 20
2–القتل الجماعي: 203
ثالثا: الحرب والنخب العلمية: 208
1–دور العلماء في السفارات: 209
2–العالم وتجاذبات الحرب: 213
3–التنظير للحرب في مصنفات النخب: 215
خاتمة 220
الملاحق 226
قائمة المصادر والمراجع 230